عبدالمنعم المحجوب

ما قبل اللغة

الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية





تانيت

ما قبل اللغة

الجذور السومرية لنشأة اللغة العربية

واللغات الأفروآسيوية

عبدالمنعم المحجوب

ما قبل اللغة

الجذور السومرية لنشأة اللغة العربية واللغات الأفروآسيوية



عبدالمنعم المحجوب

ما قبل اللغة

الجذور السومرية لنشأة اللغة العربية واللغات الأفرآسيوية

الطبعة الأولى
2008

تانيت
tanit@africamail.com

2008-13760817

- صورة الغلاف: نقش سومري عن گلگامش. 2600 ق.م.
- أسفل الغلاف: أثر ختم أسطواني من أور، الألف الثالثة ق.م، يمثل غلغامش وأنكيدو.

مَارِسْ الكتَابةَ بجَهْدٍ، ولسَوفَ تَكشفُ لَكَ الأَسْرَار.

أثر سومري

لقد وهبتني الآلهة كل علم الكتابة
حذقت آيات الأرض والسماء
أتقنت فن الكتابة السومرية الأكدية الصعبة جداً
ولكني أحببت أن أقرأ الأحجار والأنصاب
المكتوبة من أزمنة ما قبل الطوفان!.

أشوربانيبال

***

كانوا أمة وسطاً بين الناس، لا ينسبونهم إلى أرض ولا إلى أمة، وأرضهم العراق، **ولسانهم كل لسان**، وهم مع كل أحد ومن كل أحد.

ياقوت الحموي – معجم البلدان

***

أجاب الملك.. ها أنت، في هذه الساعة، وبصفتك أباً لحروف الكتابة، قد عزوتَ لها أن تطبع أرواحهم بالنسيان، لأنهم سيكفّون عن استعمال ذاكرتهم بوضعهم ثقتهم في المكتوب.. سيتذكرون الأشياء من خارج، بفضل علامات غريبة، وليس من داخل، بالاعتماد على أنفسهم.

افلاطون– محاورة فيدروس

المحتويات

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

علامات الكتابة الصوتية

(النقل الحرفي - النقحرة)

الحروف الصامتة

الهمزة	ء	’ (ءَ = ’a ، ءِ = ’i ، ءُ = ’u)
الباء الشديدة	ب	b
الباء المهموسة	پ	p
التاء	ت	t
الثاء	ث	ṯ
الجيم	ج	j
الحاء	ح	ḥ
الخاء	خ	ẖ
الدّال	د	d
الذال	ذ	ḏ
الراء	ر	r
الزاي	ز	z
السين	س	s
الشين	ش	š
الصاد	ص	ṣ
الضاد	ض	ḍ
الطاء	ط	ṭ
الظاء	ظ	ż
العين	ع	‘ (عَ = ‘a ، عِ = ‘i ، عُ = ‘u)

الغين	غ	ġ
الفاء	ف	f
القاف	ق	q
الكاف	ك	k
الگاف	گ	g (القاف البدويّة أو الجيم غير المعطّشة)
اللام	ل	l
الميم	م	m
النون	ن	n
الهاء	هـ	h
الواو	و	w
الياء	ي	y

يضيف البعض حرف السامخ (س^{2}، ś) في قراءة العلامات السومرية، وهو يُنطق بين السين والشين، ولا يرى الباحث ضرورةً لاعتماده في هذا البحث من باب التأكيد على البنية المعجمية التي يقع فيها إبدال الحروف ذات الحيّز الواحد أو الحيوز المتقاربة. كما أنه لا يبدو صامتاً مستقلاً في الكثير من الدراسات، لاندماجه في š .

أما حرف (ن^{2} أو گ^{2})، (ĝ ، ŋ) وهو ينطق باجتماع حرفي (نْ) و(گْ) [القاف البدوية] معاً، كما في كلمة rang الإنكليزية، فيفضّل الباحث العودة به إلى مكوّنيْه: النون والگاف، كما يرد في الكتاب، أنظر مثلاً: ĝar كُتبت: ngar (نْگَرْ): شكل، هيئة. وهي العربية: (نجر ، *njr*)، نَجْرُ الإنسان: شكله وهيئته. كما يتحول هذا الحرف غالباً إلى أحد إبدالين هما القاف أو الجيم (انظر مثلاً: [سـ] niĝba ← [ع] نقب (*nqb*)، نقيبة: هبة، أعطية). فلا سبب إذن يدعو إلى اعتبار الحرفين حرفاً واحداً يُلفظ بإدغام النون والكاف، ولكن دارسي الأشوريات والسومريات

درجوا على اعتباره كذلك إمعاناً في إثبات مقطعيّة اللغة السومرية، وتأكيد عدم استرسال الصوامت فيها.

الحركات والمدّ

الفتحة	ـَ	a
مد بالألف	آ، ا	ā
الكسرة (الخفضة)	ـِ	i
مد بالياء	ي	ī
الضمّة	ـُ	u
مد بالواو	و	ū
الإمالة	~	e
مد مُمال	≈	ē ، ō
المركب من فتحة فواو	aw	ṷ
المركّب من فتحة فياء	ay	i̯

التضعيف (الشدّة)

يشار إلى تضعيف الحرف بإضافة خطّ يتوسّطه: وّ = w̶ ، مّ = m̶ دون تكراره.

مختصرات وعلامات اصطلاحية

أ- اللغات

(سـ) سومرية.

(اك) أكدية.

(ع) عربية.

(مـ) مصرية.

وتُكتب هذه العلامات مرفوعةً أعلى يمين الكلمات لتمييزها.

مثلاً: (قا. (سـ) urin، (سـ) hurin، (مـ) ḥor، (ع) ḥur : طائر الحر)، أما اللغات الأخرى فيشار إليها بأسمائها.

ب- اختصارات

ج. جمع.

مف. مفرد.

جذ. الجذر العربي للمفردة.

را. راجع.

قا. قارن.

ج- علامات اصطلاحية

❊ : را. المادة في المعجم الاشتقاقي.

= : يكافئ.

< : علامة تسبق تأثيل الضمائم مقطعياً.

: مثلاً: a-šà: **حقل.** < (a: بذور + šà: رَحِم).

↔ : قلب.

← : إبدال.

د- مختصرات بعض المراجع

آلهة : علي فهمي خشيم، *آلهة مصر العربية*.

قواعد : فوزي رشيد، *قواعد اللغة السومرية*.

اللسان : ابن منظور، *لسان العرب*.

مدخل : موسكاتي، *مدخل إلى نحو اللغات الساميّة المقارن*.

EL : Wallis Budge, Egyptian Language

HER : A. Erman, A Handbook of Egyptian Religion

PBS : Publications of the Babylonian Section

PSD : Pennsylvania Sumerian Dictionary

SL : John Halloran, Sumerian Lexicon

SM : Samuel Noah Kramer, Sumerian Mythology

تعاريف

أهم الاصطلاحات مقيَّدةً بحسب استخدامها في الكتاب

الحرف: الصوت المفرَد المنطوق، وهو الفونيم التّام، أصغر وحدة صوتيّة. والحرف **صامت**، تذيّله **حركة**، أو يعقبه **مدّ**. فلا يوجد حرف صائت مستقلّ[1]، كما في المفهوم الغربي.

الحركة والمدّ والسكون: إمكان نُطق الحرف الصامت فتحاً (َ)، خفضاً (ِ)، ضماً (ُ)، أو إمالةً (~)، لاستحالة إخراجه بدءًا على السكون. والحركة مستحيلةٌ بذاتها، إنما تتبع الحرف وتلازمه، وهي تامةٌ متى كانت، لا نِصْف لها كما في المفهوم الغربي، بل هي نصفُ مُدّة الـمَدّ وبعض زمنه [2]؛ ولا تكون الـحركة إلا مجهورة [3].

1- «أقصى الحروف كلها العين ثم الحاء.. ثم الهاء.. فهذه ثلاثة أحرف في حيّز واحد بعضها أرفع من بعض. ثم الخاء والغين.. في حيّز واحد. ثم القاف والكاف.. ثم الجيم والشين والضاد في حيّز واحد. ثم الصاد والسين والزاء في حيّز واحد. ثم الطاء الدال والتاء في حيّز واحد. ثم الظاء والذال والثاء في حيّز واحد. ثم الراء واللام والنون في حيّز واحد. ثم الفاء والباء والميم في حيّز واحد. ثم الألف والواو والياء في حيّز واحد. والهمزة في الهواء لم يكن لها حيّز تنسب إليه». الخليل، كتاب العين: ج1، ص53- 57 .

2- «إعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين وهي: الألف والواو والياء، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي: الفتحة والكسرة والضمة. فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة: الألف الصغيرة، والكسرة: الياء الصغيرة، والضمة: الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة». ابن جني، سر صناعة الاعراب: ج1، 19.

3- تقسيم الحروف إلى صائت ونصف صائت وصامت استقاه النحاة وعلماء الصوت من الفكر اليوناني القديم، وهو من آثار أرسطو في كتاب فنّ الشعر، إلا أن العرب فرّقوا بين الحروف

أما السكون فهو الوقف على حركة صامتٍ ينتهي بها لفظ مقطع من صامتين [1]. وهو الأغلب على المعادلة الصوتيّة للحروف العربية، ونستعيض بالحركات وأصوات المدّ والسكون في هذه المعادلة عن إثبات الصوائت في نقحرة الكلام العربي بالخطّ اللاتيني. dab مثلاً تلفظ دَبْ، وتمثيل مقطعيّتها يُنقل •| [2] (حركة فسكون) لا CVC، بينما dāb تلفظ داب وتنقل ••| (حركة فمدّ فسكون) لا CVC. أي بحسب تصويت المقاطع لا بحسب رسمها وكتابتها.

المقطع: لا يبدأ إلا بصامت، وهو نوعان: (أ) **المقطع المفرد**، وهو صامت متبوع بحركة، مثلاً: بَ ba. ويمكن تمثيل هذا المقطع بعلامة الصامت | مثلاً: كَتَبَ kataba ، تُنقلُ: ||| . (ب) **المقطع المركّب**، وله صيغ ثلاث: (1) لفظُ صامتٍ يليه مدٌّ، مثلاً: با bā . ويمثّل هذا المقطع على شكل: •|، مثلاً: كاتَبَ kātaba ، تُنقلُ ||•|. (2) لفظُ صامتٍ متبوع بحركة يليه صامت موقوف على السكون، مثلاً: بَرْ bar . ويمثّل هذا المقطع على شكل •| ، مثلاً: عَبَرْن abarna' تُنقل: |•|| . (3) لفظُ صامتٍ متبوعٍ بحركة يليه مدٌّ فصامت موقوف على السكون، مثلاً: بَارْ bār . ويمثّل هذا المقطع على شكل: ••| ، مثلاً: غُبارْ ġubār ، تُنقلُ: ••|| . وفي مثل هذه الصيغ البادئة جميعها بصامت، ما يُخالف القراءة الدارجة للغة السومرية، وذلك مبدأ في

الصامتة والمصوّتات الثلاث (الألف والواو والياء، وأخواتها الفتحة والضمّة والكسرة)، وهذا قياس عامّ ينسحب على أغلب اللغات الأفروآسيوية، ونحن نعتمد عليه في إسناد فرضيات الكتاب.

1- «المبتدأ لا يكون إلا متحركاً و.. الموقوف عليه لا يكون إلا ساكناً»، ابن جنّي، الخصائص: 1، 56.

2- من اليسار إلى اليمين، لإمكان عقد المقارنة بالتمثيل الغربي للأصوات الذي يعتمد على رمزي الصامت والصائت.

فرضيّات الكتاب.[1]

المقطع الجذري: مقطع (بالتعريف السابق) دالّ على معنى قياساً بوحدات الكلام. وهو أصغر الوحدات في سياق الكلام، ويماثل الكلمة في سياق الجملة قياساً بوحداتها. ويمثّل المقطعُ جزءًا من أجزاء الكلمة العربية ينتهي بحركة أو مدّ أو سكون، والمقطع الجذريّ سومريّ أينما ورد في الكتاب. (يمكن تقريبه إلى «مورفيم» Morpheme : أصغر وحدة لغويّة مجرّة ذات معنى).

الضميمة: مقطعان (أو أكثر) يؤديان كلمةً. والضميمة في تصنيف اللغات الأفرو- آسيوية (وغيرها) عائلةُ مجموعةٍ من الفروع اللغوية.

الكلمة: اجتماع مقطعين أو أكثر (ضميمة) للدلالة إما على معنى اشتقاقيّ متّصل لفظاً، وإما على معنى مأخوذ على كناية أو استعارة غير متّصل لفظاً. والكلمة العربيّة ليست أصغر وحدات الكلام كما هو دارج في الدراسات الألسنية، بل المقطع الجذري السومريّ المكوّن للكلمة.

السّياق: المفرَدُ وهو الذي يتواتر فيه استخدام مقطع (أو أكثر) في عدّة كلمات

1- درج لدى الدارسين أن النحاة العرب لم يعرفوا المقطع، وهو على العكس تماماً مما نجده لديهم، يقول ابن جني، (سر صناعة الاعراب : ج1، ص6): «إعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت عنه راجعاً منه أو متجاوزاً له ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين».

عربيّة مع احتفاظه بالمدلول الأساسي في اللغة السومرية، والتركيبيّ هو الذي يتواتر فيه تداول واستخدام وانتشار الدوال في تواشجِ وتحوّلِ ما تحمله وتشير إليه من دلالات، ويكون إما عربيّاً، وهو الأغلب، أو سومرياً، أو ذا صلة بلغة أفروآسيوية أخرى.

النَّقْحَرة: عمليّة النقل الحرفي. (اصطلاح نحته منير البعلبكي في «المورد»، وأشاع استخدامه د. علي فهمي خشيم).

الصّوْرَفَة: المعالجة الصوتية الصرفية (morphoneme) للألفاظ، واستظهار خصائص النّظام اللغوي. (اصطلاح نحته الباحث).

تقديم

هذه الحفريّات !

(1)

يتجه هذا العمل ليس فقط نحو التشكيك في المسلمات التي سيطرت لعقود طويلة على قراءة التراث اللغوي الأفروآسيوي، بل ويسعى من خلال طرح نظريته الجديدة في قراءة اللغة السومرية إلى إعادة ترتيب صورة هذا التراث في الذاكرة الإنسانية. الصورة التي صُنعت بتراكمات استغرقت علماء الأشوريات والمصريّات، والمستشرقين عامةً، أكثر من قرن متصل من البحث والتدقيق.

إن المنجز الإستشراقي فذّ في حدّ ذاته، وقد استغرقت الخلاصات المعروفة جيداً في الوقت الحالي، والمنتشرة بما يجعلها أقرب إلى المصنفات المدرسية، عقوداً طويلة من الجهد المضني والبحث الدؤوب بدءا من أواخر القرن التاسع عشر، عندما كانت كلّ خطوة صغيرة إلى الأمام تعدّ فتحاً علمياً صاخباً. ولكن للاستشراق إلى جانب سيرته الملحميّة هذه أوضاع كثيرة، وبعض هذه الأوضاع ليس صحيحاً، أما فيما يتعلق بسومر وباللغة السومرية بالذات، فإنه يبدو واقفاً رأساً على عقب.

إن الهدف من هذا العمل بقدر ما هو لغوي بحت، بقدر ما يتصل بإعادة قراءة التاريخ أيضاً؛ فإذا كنا عادةً نَعْبر من اللغويات التاريخية لنحقق معرفة معجميّة أكثر أصالة، وإذا كنا نعود إلى اللغويات التقابليّة لنحقق معجماً مؤثّلاً ينبئنا بصلاحية الدلالات التي نلجأ إلى تضمينها في استخدام معمّق للمفردات، فإن التاريخ مرئياً من موقع التطوّر اللغوي ليس هو التاريخ في كرونولوجياته القومية المتعارف عليها. واللغة في ترحالها ليست هي المدخلات الصماء للمعجم، الواضحة المفسّر اشتقاقها كما اعتقدناه.

لقد سبق لدي سوسير أن أشار إلى الوهم الكبير الكامن وراء القول بإمكانية العودة عبر العصور لإعادة بناء ألسنة تحدثت بها شعوب ما قبل التاريخ، في عملية تتداخل فيها اللغات بالأنساق الاجتماعية، بحيث يتوزع البحث بين الكلمات

والعادات والمعتقدات في توليفة لغوية، أنثروبولوجية، إثنولوجية. لكن اعتراضه كان يتعلق أساساً بالذهاب إلى أبعد مما تتيحه لنا المعرفة اللغوية، كأن نعمد من وراء قرابة لغوية إلى بعث قرابة سلالية أو عرقية (إثنية) لا منطق يسوّغها سوى عدد من التشابهات المعجمية. إننا نستطيع التأكيد على أن مطابقةً ما تجري بين «الحقيقة اللغوية» و«الحقيقة التاريخية» سوف تقود إلى فتح القراءة على تأويلات لا منتهية، إلا أننا نستطيع التأكيد من ناحية أخرى على أن هذين الحدّين تجمعهما تماسات ثابتة هي أوضح من أن يتم إغفالها.

(2)

استغرق العمل على اثبات فرضيّات هذا الكتاب حوالي عشر سنوات، ونتجت بالتوازي مع عملي الأساسي عدّة مئات من الصفحات، لعلّ أهمها المعجم التأثيلي السومري العربي الذي يعِدّ الآن 1000 مدخل، انتخبتُ منها المسرد الاشتقاقي المدرج هنا، على أن يصدر المعجم كاملاً بشكل منفصل، في وقت لاحق.

إن عملي هنا يرتكز على تتبّع واستظهار التغيرات الصوتية (الفونيطيقية) التي أصابت سلسلة الألسن الأفروآسيوية، باللجوء إلى مقارنة أساسية بين السومرية والعربية. ولقد وجدت باستمرار البحث أن التداخل السومري– الأكدي، يتجاوز في الحقيقة ما عُرف من استخدام مشترك لعدد من المفردات، شاع أنه كان نتاجاً لتمثيل اللغتين بالخط المسماري نفسه، يتجاوز ذلك إلى صلة وثيقة تتبدّى فيها المقاطع السومرية كطبقة لغوية مضمّنة Substrata في الأكدية والعربية، **وقد خلصتُ إلى أن الضمائم اللغويّة الأفروآسيوية متحدّرة من السومرية، وإن المقاطع السومرية المفردة والمثنّاة متوطّنة قارّة في الأكدية والعربية والمصريّة.. وغيرها من**

بقية لغات الفروع والضمائم الأفروآسيوية، ولهجاتها المحكيّة. أما المعجم التأثيلي المتاح الآن فإنه يلبي اشتراطات هذه الفرضية، بدءا من استظهار الفونيمات المفردة إلى الكلمات المقطعية السومرية في تحولاتها التدرّجية إلى جذور ثنائية وثلاثية في اللغة العربية، الأمر الذي دفعني، بعد تحديد ما يكفي من مواد معجميّة ومقارنات تأثيليّة، إلى سحب هذا التصور على مجمل اللغات الأفروآسيوية، كما هو وارد في عنوان الكتاب.

(3)

لقد عُدّت السومرية لغة منعزلة، لا صلة لها بما جاورها من لغات، ولم تُفلح مقارنتها بالعديد من اللغات، ولم تسفر عن شيء. وهذه في الأصل قراءة الرواد الأوروبيين انتشرت وغلبت على الوسط العلمي، فتحدّث بها الدارسون من علماء الآشوريّات والسومريّات، وجعلوا التسلسل السامي يبدأ من الأكدية، التي كتبت بالخط المسماري المقطعي نفسه الذي كتبت به اللغة السومرية، دون أن يقيموا تماثلاً بين اللغتين، إلا أن تتبّع المقطع السومري يشي بمسارات شتى هاجرت فيها المفردات، تبدّلت وتحوّرت، كَمَنَتْ وظهرت، اتصلت وانعزلت، إلى آخر ذلك من أشكال التآثر والتواصل. ولا يتوقف ذلك عند حدّ التشابهات والتماثلات الصوتيّة، التي يمكن العثور عليها كحمولة لغويّة بدئيّة في جميع لغات المنطقة، بل يتّصل أيضاً بتشكّلات بنيويّة أنتجت جزءًا مهمّا من مفردات المعجم العربي بشكل خاص، والأفروآسيوي بشكل عام، ويمكن للقاريء العودة إلى الفصل السادس الذي يقدّم واحداً من الأمثلة الدقيقة، في هذا الشأن، أعني دخول نون النفي السومرية على الجذور الثنائية، لتشكيل المفردات ثلاثية الجذور البادئة بحرف النون في المعجم العربي.

بهذه الرؤية كانت اللغات القديمة من سومرية وأكدية وليبية قديمة (أمازيغية) وأمهرية وتگريّة وغيرها، تتبدى لي، طوال هذا البحث، كلحظات زمنية متّصلة لا بدّ منها لفهم التشكّل الحضاري للفضاء التاريخي الأفروآسيوي، فهي مادةّ هذا التشكّل وخامته التي جعلت هذا الركن الأفروآسيوي شعوباً وقبائل تعارفت وتناحرت، اتصلت وانفصلت، مدّت وجزرت، لتخلق أبجديات العالم، وتصنع أعرق مدنياته، وتؤسس أقدم أسواقه، وتنتج جزءاً كبيراً من نصوصه المقدّسة.

(4)

أعتبر ما قمت به حتى الآن خطوة نحو إعادة تصور ما تمكن تسميته «وضعاً لغوياً» لمنطقة الشرق الأدنى الذي يشمل شمال الجزيرة وجنوبها، وشمال أفريقيا وشرقها، مع ما يمكن أن يرفد هذا التصوّر من شواهد أنثروبولوجية وأركيولوجية؛ واثقاً أننا نستطيع بإعمال نوع من المنهج الاسترجاعي، وبإعادة التفكير على أساس الانتشار المتحوّل، إنجازَ هذا التصور خطوةً خطوة، مع ما يترتّب على ذلك من ضرورات أوليّة، كاستحداث ما يحتاجه البحث من أدوات، وعلى رأسها تحديد مدخلات متّفق عليها لنقحرة اللغة السومرية بحروف عربية، وإعادة تصنيف المدوّنات بحسب أزمنتها، أي ببحث ونشر كرونولوجيا شاملة، يمكن من خلالها التعرف على تطوّر المفردات وتحديد ما أصابها من تغيرات في أزمنة مختلفة، وما مرّ به تداولها من تآثر وتقارض خاصة مع اللغة الأكديّة؛ مع الاحتراس دائماً خشية الوقوع في الإطلاق والتعميم، فالإطلاق والتعميم لن يقودا سوى إلى بعث ميثيّة جديدة، تنضاف إلى الميثيّات الكثيرة التي تحيط باللغة.

الفصل الأول

تحولات العصر شبه التاريخي

1-1

يتفق[1] معظم علماء الآثار على تسمية المرحلة السابقة للعصور التاريخية في بلاد الرافدين بالعصر شبه التاريخي proto-history[2]، ويمتدّ من أزمنة متداخلة غير محددة بدقة إلى 2800 ق.م، ويتألف هذا العصر من خمسة أدوار، يتّسم كل منها بخصائص تميّزه عن غيره من الأدوار الأخرى. وهي على التوالي: دور سامراء (حسونة)، دور حلف، دور العُبيد، دور الوركاء، ودور جمدة نصر المتعارف عليه بالدور شبه الكتابي proto- literate.[3] وسوف نقوم بتتبع هذه الأدوار لغرضين:

- التعرف على التطورات التي أدّت إلى ظهور الكتابة، وجعْلِ تمثيل اللغة ممكناً.

1- إن الغاية من هذا الفصل التمهيدي هي إعادة استظهار الإحداثيات التاريخية والجغرافية لما أصاب بلاد الرافدين من تحولات سبقت ظهور الكتابة، وخاصة من خلال التعرّف على أساليب الفِخَارة والعمارة، لذا يمكن للمتخصصين وذوي الإطلاع الانتقال مباشرة إلى الفصل الثاني، وإن كنت أفضّل في كل الأحوال الإنتباه إلى ما يرد في ختامه من نقاط تمثّل خلاصته. يجدر بي هنا الإشارة إلى أنني كنت قد رسمت إطاراً نظرياً عاماً للمجتمعات البدائية المعبّر عنها في هذا الفصل، في كتاب «مجتمع اللادولة.. بحث في التشاركيات البدائية» الصادر عام 1987.

2- البادئة proto تشي بدلالات أخرى أهمها: الأوليّة وقابلية التطور من مستوى بدئي إلى مستوى أكثر تعقّداً، وهذا ما نضمّنه في كلمة: شبه، الدارج استخدامها تعريبياً.

3- يلي العصرَ شبه التاريخي العصرُ التاريخي القديم، ويسمى أيضاً عصر فجر السلالات، أو العصر السومري (2800 - 2371 ق.م)، وهو عصر ظهور المدن- الدول، ثم العصر الأكدي (2370 إلى 2230 ق.م)، ثم العصر السومري- الأكدي (2112 إلى 2004 ق.م)، ثم العصر البابلي القديم (2004 إلى 1595 ق.م). انظر الفصل الثالث لتقسيم يعتمد على انتشار وانحسار اللغة السومرية.

- استخدام هذه المعطيات لمناقشة مسارات التحوّل والانتشار، ما نعرضه مفصّلاً في الفصل الثالث.

إننا نلجأ عادة إلى اصطلاح «دور»، تمييزاً له عن الاصطلاح «حضارة»، باعتبار أن العناصر المميزة لهذه الفترة (الدور) أو تلك تمتح أصولها مما يسبقها، أي أن الشواهد الآثارية تميل هنا إلى اكتساب شكل جديد متطور عن سابق له، دون أن يكون في إمكاننا نسبة هذه الشواهد من حيث ظهورها إلى دور محدد دون غيره. وإن كان هناك من الأسباب ما يجعلنا نعبّر عن التطورات التي شهدتها نهاية دور أوروك بكلمة حضارة دون تردد، وهو ما سيتابعه القارئ في الفصل القادم.

وبالرغم مما للدورين الأول والثاني من أهمية في فهم تسلسل الأدوار، وربطها ببعضها البعض، ومعرفة التواصل الحضاري دون انقطاع قد يخلق فجوة في السياق العام لمتابعة هذه الأدوار، إذ من المستحيل تقريباً معرفة «تاريخ» أحد المواقع بشكل منفصل غير ممهد له بمعرفة موقع أو مواقع أقدم منه، إلا أن التركيز غالباً ما يتجه لدور العبيد كلما أردنا الحديث عن شواهد السهل الرسوبي في القسم الجنوبي لبلاد الرافدين، الذي شهد نشأة أولى الحضارات والمعروفة جيداً باسم **سومر**. ولعله من المفيد في هذا الفصل أن نركز على تقديم مَدْونة مختصرة لمجمل الأدوار الخمسة، مما يساعد في الإلمام أكثر بجذور ما شهده جنوب الرافدين من تطورات، أدت ضمن سياقها العام إلى نشأة الحضارة السومرية.

2-1 : دور سامراء

أو دور حسونة، وتنسب التسمية إلى تل حسونة الواقع على بعد اثنين وعشرين ميلاً شمال مدينة الموصل. وقد عثر في هذا الموقع، الذي يعد نموذجياً بالنسبة

للدور الذي يمثله، على ستة عشر طبقة تنتظم في أربعة عصور.[1]

ويبدو أن سكانه قد اتخذوا من الخيام والأكواخ منازل لهم، إلا أنه عثر فوق الطبقات الاستيطانية البدائية على ست طبقات سكنية ذات منازل أكبر حجماً وأفضل بناءً، ويتكون كل بيت من ست أو سبع غرف مرتبة في قاطعين ممتدين حول فناء، وقد شيدت بالطوب ورصفت الأرضية بخليط من الطين والتبن.[2]

وتتكون غالبية المكتشفات من أدوات حجرية وطينية، كالهاونات وفصول المناجل والمحاريث والمعازق والرحي والمجارش والفؤوس وأقراص المغازل. وقد اتبع السكان نمطاً انتاجياً يجمع بين الزراعة والرعي، حيث زرعوا أنواعاً بريّة من القمح والشعر، ودجنوا الأغنام والماعز.

ويمكننا إلى حدّ ما تلمّس معتقداتهم الدينية فيما عثر عليه من دمي صغيرة تشير إلى نوع من عبادة الالهة- الام Mother-goddess ، وهو نمط تكرر كثيراً وإلى حدّ ملفت للنظر في قرية جرمو الأقدم، لعله أحد أشكال عبادة الخصب المبكرة؛ كما اتبعوا طقساً خاصاً بالدفن تشير إليه أوان كبيرة تحوي عظام الأطفال، وقد أرفقت معها أكواب وأوان صغيرة ربما لاستعمالها في تجربة العالم السفلي أو الحياة الأخرى[3] إلا أن هذا الطقس قد خُص به الأطفال دون البالغين الذين كانوا يكوَّمون في قبور أشبه بالصناديق الكبيرة دون أعطيات طقسيّة أو هدايا ترافقهم.

أما الفخار الممثل لهذا الدور فهو ذو نقوش وزخارف ويقسم عادة إلى:

1- تقي الدباغ «الفخار في عصور ما قبل التاريخ»، حضارة العراق. ج3، ص16-22.

2- جورج رو، العراق القديم، ص89.

3- م. س، ن. ص.

1-2-1 : النمط القديم.

وهو ذو سطوح غير مستوية ونسب يعوزها الانتظام، ويتكون في معظمه من الجرار والطاسات، إلا أنه في مرحلة تالية، وضمن النمط القديم نفسه، ظهرت أشكال صقيلة ملوّنة وأكثر حرفية، تميزت بصغر حجمها وانتظام نسبها مثل الطاسات والقدور والأقداح والأواني المزخرفة بخطوط ونقوش على شكل أشرطة ومثلثات.[1]

وبالنظر إلى اتساع الرقعة الجغرافية التي عثر فيها على نفس هذا النمط من الأواني الفخارية فإننا «نجد أنفسنا إزاء برهان أكيد يدل على وجود مجموعة حضارية انتشرت في كل منطقة الهلال الخصيب، من البحر الميت إلى نهر دجلة، وتتركز بشكل متميز على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط».[2]

2-2-1 : النمط القياسي.

أو النموذجي، ويتميز بألوان أكثر عمقاً ونقوش أكثر إتقانا من النمط القديم. وقد كانت أوانيه ناعمة وملونة بلون واحد هو البرتقالي أو الأحمر أو البني أو الأسود، باستخدام الفرشاة أو أصابع اليد. وهي في معظمها طاسات بقواعد مستوية وأجسام مدورة، وجرار بقواعد وأعناق، وجرار كروية، أما الزخارف فهي حزوز مائلة أو مستقيمة أو متجمعة في صفوف أو في خطوط منكسرة، والنقوش الملونة عبارة عن خطوط متقاطعة وأشرطة ومثلثات ودوائر ومربعات.

1- اعتمدنا في معظم وصفنا للصناعات الفخارية للأدوار الخمسة على: تقي الدين الدباغ، البيئة الطبيعية والإنسان، حضارة العراق، ج1، ص16-22.

2- رو، ص90.

ويتميز هذا النوع بأنه لم يحظ بانتشار النوع السابق له، مما يدل على اقتصار السكان على خبراتهم الخاصة وعلى مواد خام محلية، على الرغم من أنه أكثر حرفيةً وتطوراً.

3-2-1 : النمط المتطور.

وهو لا يختلف كثيراً عن النمطين السابقين، لكنه يتميز بتعدد ألوان أوانيه، وزخارفه التي جاءت في معظمها على شكل مجاميع هندسية من المثلثات المتعاقبة أو المرصوفة (عمودياً أو أفقياً) أو من مربعات أو أشكال محوّرة لحيوانات وطيور وحشرات وأسماك وبشر. ويدل الانتشار المحدود للخزف السامرائي على استمرار الاعتماد على الخامات المحلية مع تطوير مستوى الأداء ودقة الصنع.

أمام هذه المعطاة الهامة (الانتشار الواسع للنمط القديم، ثم الانتشار المحدود جداً للنمطين القياسي والسامرائي) تنشأ فرضية أولية تتمثل في اعتبار سكان دور حسونة قد وفدوا من مكان ما في الغرب، خاصة: أريحا، وإن كانت هناك نقاط أخرى محتملة هي: سقجي غوزو في جبال الأمانوس، ومرسين في كيلكيا، وسهول أنطاكيا. وهي المواقع التي عثر فيها على صناعات فخارية شبيهة بفخارات حسونة القديمة، ويدعم هذه الفرضية ما يذكره جورج رو في «العراق القديم» من أن جماجم سكان حسونة التي تمت دراستها تعود إلى نوع ذي أسنان طويلة يتميز بها جنس البحر الأبيض المتوسط ذي الرؤوس الطويلة[1] Dolichocepalic، مع اعتقادي أنه بقدر ما يكون هذا التوصيف ذا أهمية في دراسة المراحل المتقدمة زمنياً، بقدر ما يفقد هذه الأهمية في المراحل المتأخرة التي شهدت حراكاً ثقافياً واجتماعياً يجعل من المستحيل الإشارة إلى شعب ما بعدد من الأوصاف العرقية.

1- رو: 90.

وقد تنهض فرضية مقابلة لذلك، وهي أن يكون سكان هذا الدور الممثَّل بتل حسونة، قد انتقلوا من شمال الرافدين إلى المناطق الآنفة الذكر، إلا أن هذا يتناقض تماماً مع الانتشار في المرحلة الأولى، والانحسار في المرحلتين الثانية والثالثة، وستكون هذه الفرضية محتملة في حالة واحدة فقط، وهي أن تكون فخاريات حسونة قد تميزت بخصائص محلية أولاً، فاقتصرت على حيز جغرافي ضيق، من حيث الاستعمال وتوفر الخامات وأسلوب التصنيع، ثم انتشرت في تلك المناطق ثانياً. لا العكس.

1- 3 : دور حلف

تعود تسمية هذا الدور إلى تل حلف على نهر الخابور، قرب قرية رأس العين، على الحدود السورية التركية. لكن معالم هذا الدور لم تكتمل بالتنقيب في حلف وحده، وقد ساعدت حفريات نينوى وتل شتل بازار (في الجزيرة) وتل الأربجية (قرب الموصل) في وضع فترة حلف في مكانها التاريخي وأعطت صورة متكاملة لمحتواها الحضاري وأهميته،[1] ويعتبر الموقع الأخير نموذجاً لتمثيل هذا الدور.

تقع الأربجية، أو تبة رشوة كما تسمى في الوقت الحاضر، على بعد ثمانية كليومترات شمال شرق نينوى العاصمة الأشورية القديمة، وقد أسفرت الحفريات عن تمييز دورين رئيسين في عدة خنادق اختبار، وتشير سعة القرية المكتشفة إلى أسلوب متقدم في التنظيم وطرق البناء، ما يجعل من الأربجية مدينة صغيرة ذات بيوت سكنية من الطين، واللبن، جرى تصميمها على شوارع مبلطة بالحجارة.[2]

وقد ظهر في الأربجية نوعان من دور السكن. بيوت قروية، وهي الأكثر

1- م. س، ن. ص.

2- تقي الدين دباغ «الثورة الزراعية والقرى الأولى»، حضارة العراق، ج1، ص 132- 134.

انتشاراً، وتعد امتداداً لنمط دور حسونة مع تميزها بمساحة أوسع وبناء أفضل، وأبنية مدوّرة، أقل عدداً، (اثنان في كل طبقة من الطبقات العشر) شبيهة بما عثر عليه في قرية زاوي جمي، وهي ذات سقوف مقبّبة، ومداخل أقل ارتفاعاً على شكل حجرات مستطيلة، ويعتقد معظم الباحثين أن لها صلة بالثولوي Tholoi المكتشفة في قبور مسينا المتأخرة وقبرص وكريت، وقد تراوحت الآراء حول هذه الأبنية بين اعتبارها مقابر أو دوراً سكنية مميزة أو نوعاً من المجلس العام للسكان، وقد أهمل الرأي الأول لعدم وجود ما يشير إلى ذلك، كما هو معتاد في مخلفات المقابر، ويرجح الرأي الأخير بنسبة أكبر، خاصة وأن القرى العراقية حتى وقت قريب كانت تضم مضافات شبيهة يجتمع فيها السكان كلما لجأوا إلى مناقشة أمر عام، فإذ صحّ ذلك يمكننا اعتبار الأربجية قد عرفت أقدم شكل تنظيمي للكومونات القروية.

1-3-1

وتتكون غالبية المكتشفات الأخرى في دور حلف من أدوات زراعية ورؤوس عصي وقلائد وتمائم على شكل رأس ثور أو حافره، أو على شكل فأس ودمى حيوانات وطيور. ومما يلفت النظر هنا، أن تماثيل الإلهة الأم تظهر في وضع القرفصاء بركبتين مرتفعتين بوضوح، بينما يحيط ذراعاها بثدييها الكبيرين، ربما أراد صانعها الإشارة إلى أنهما مثقلين باعتبارها مرضعاً، أما الرأس فيأخذ شكلاً تجريدياً بحيث يظهر ككتلة يغلب عليها الطول دون ملامح، وتبدو بقية الجسد طبيعية، وقد لونت التماثيل بخطوط ونقاط، لعلها تمثل حليّاً أو ملابس[1] أو وشماً، ويعتبر رو أن هذه التماثيل ربما كانت تستخدم كتعاويذ ضد مخاطر الوضع أو

1- رو: 94.

العقم أكثر من كونها صوراً حقيقية لإله ما، ونفضل في كل الأحوال إظهار صلتها بتماثيل دور حسونة وجرمو وغيرهما من القرى، ملاحظين أن تطور الأشكال (التجريد، إضافة الألوان، الأوضاع) إنما يشير إلى معتقد لم يتغير كثيراً منذ ظهور أقدم القرى في العصر الحجري القديم، ولذلك علاقة بلا شك بما عرفته هذه المجتمعات من أنماط ماترياركية أنتجت معتقداتها الدينية التي غابت بعد ذلك دون أن تعلن عن نفسها سوى في أصداء بعيدة، قليلاً ما ننجح في التقاطها وتوضيعها في مكانها الصحيح.

2-3-1

ومن بين المكتشفات يمكننا تمييز القلائد والأقراص الحجرية الصغيرة المثقوبة، وهي من الحجر الصابوني steatite الهش، وذات أشكال متنوعة ونقوش جاءت في معظمها على شكل خطوط مستقيمة ومتقاطعة، فإذا صح أنها استخدمت لختم السدادات الطينية للجرار، وهو الاحتمال الوحيد المرجح لاستعمالها، إلى جانب كونها نوع من الحلي العملي، فإنها بذلك تكون الأصل المباشر تماماً لما انتشر لاحقاً من أختام منبسطة.

3-3-1

وتعتبر فخاريات حلف، حسب حفريات الأربجية بالدرجة الأولى، متطورة جداً عن سابقاتها، والكثيرون يميّزونها عن الفخاريات اللاحقة لها نظراً لثراء نقوشها ودقة صنعها وألوانها.

ويمكن تقسيم فخاريات هذا الدور إلى فترتين. الأولى، وتضم أوان مصنوعة باليد، ناعمة، مطلية بطلاء من نفس طينة الأواني، وبعضها ذو طلاء تبني أو أبيض، وأصباغها معدنية الأصل، وقد لونت غالباً بلون واحد: الأصفر أو

البرتقالي أو الوردي أو البني أو الأسود، باستخدام الفرشاة أو أصابع اليد.

وفي الفترة الثانية تبدو الأواني أكثر اتقاناً، بألوان أكثر ثباتاً وتنوعاً، فقد تعددت الألوان في بعض الأحيان من لون واحد متدرّج إلى ثلاثة ألوان. وقد جاءت معظم الأواني في الفترتين على شكل قدور وجرار وصحون وأطباق وأقداح، وهي بقواعد مستوية أو حلقية، وجوانب كروية أو متعرجة أو مستقيمة، وحافات مدببة منفتحة إلى الخارج، أو مائلة إلى الداخل، ولبعض الأقداح قوائم عالية. أما الزخارف فهي إما هندسية تتألف من أشرطة ملونة أو خطوط متصالبة أو متقاطعة أو متموجة أو منكسرة في اتجاهات عمودية أو أفقية، ومن مثلثات ومربعات ومعينات ودوائر وصلبان ومروحيات، وإما زخارف طبيعية تتألف من نجوم وأقمار وشموس وأوراق نباتات وأزهار وأشجار وطيور وغزلان وأفاعٍ ورؤوس ثيران أو قرونها. وبالرغم من افتقار بعض النقوش والزخارف إلى الانسيابية المميزة لفخاريات سامراء إلا أنها منفذة بدقة وإتقان، بطريقة تجعل من فخاريات حلف فعلاً واحدة من الروائع عبر جميع العصور الرافدينية.

4-3-1

من بين النقوش المميزة لفخاريات حلف ما يسمّى، حسب رو، بالمربّع المالطي Maltese Square المتكون من مربع بزوايا مثلثة، والذي يمكن أن يرمز إلى معتقدات دينية، مجهولة الآن، وكذلك البُكرانيوم bukranium أو رأس الثور المنمّط[1] أو قرناه، وهو ما يمكن أن نلمح فيه تأكيداً على قِدم التاج المقرّن الذي سيكون طوال العصور القادمة رمزاً للجمع بين الملوكية والألوهية في نفس الوقت.

1- رو: 95.

5-3-1

ومن الجدير بالملاحظة أن دور حلف يتصل بدور حسونة السابق، خاصة من خلال فخاريات الفترة الأولى، كما يتصل بدور العبيد القادم من خلال فخاريات الفترة الثانية، وإن كان هناك من الدلائل ما يفيد أن نهاية هذا الدور كانت فجائية بسبب غزو تعرضت له المنطقة من قبل أقوام ربما وفدت من الجنوب الغربي لإيران، الأمر الذي سرّع الدخول في الدور التالي.

4-1 : دور العُبيد

تعود التسمية إلى تل العبيد، على بعد أربعة أميال شمال غرب أور. وعلينا منذ البداية أن نلاحظ أن دور العبيد يبدو متعدداً بشكل يصعب معه اكتشاف سماته المشتركة بين المواقع العائدة إليه، أي أننا هنا سنفتقد، إلى حد ما، طابع التوحّد الذي ميّز الدورين السابقين، خاصة فيما يتعلق بالفخاريات ودور السكن والمعابد، التي قد تبدو مختلفة للوهلة الأولى ولا يمكن جمعها تحت تسمية واحدة. ويعود السبب الرئيسي بالطبع إلى أن الطبيعة الديمغرافية لبلاد ما بين النهرين قد شهدت في هذه الفترة حراكاً كَسَر السياق السابق الذي كان باستطاعتنا أن نرى فيه عدداً من القرى المتباعدة التي لا تعتمد على الاتصال ببعضها البعض بشكل دائم، وإن وجدت بينها صلات تتضح أو تضطرب صورتها بقدر أو بآخر، ولكنها في كل الأحوال تُخرج إلى السطح سماتها المشتركة، فيسهل ردّها إلى دور محدد. سنأخذ، إذن، هذا الاختلاف بعين الاعتبار خاصة وأن الصورة القديمة لدوري حسونة وحلف لن تتكرر.

ويجمع دور العبيد بين عدة مواقع على امتداد بلاد الرافدين، ويمكن اعتبار أريدو (على بعد ستة عشر ميلاً جنوب غرب أور) نموذجاً للقسم الجنوبي، وتبة

گورا (على بعد خمسة عشر ميلاً شمال الموصل) نموذجاً للقسم الشمالي.

1-4-1

كانت البيوت في أريدو أقرب إلى الأكواخ، حيث صنعت من البردي والخشب والطين، ويعود السبب في ذلك إلى خلو المنطقة من الحجر تقريباً، ويلاحظ أن استعمال أساليب أخرى في البناء مستقاة من البيئة، مثل استعمال الآجر، قد اقتصر على بناء المعابد التي تألفت غالباً من غرفة رئيسية مستطيلة الأبعاد مع غرف أصغر في الزوايا. أما في تبة گورا فقد شيدت كامل البيوت من الآجر والحجر المتوفر في الشمال، وجاءت المعابد على شكل أبنية محيطة بفناء، مع ملاحظة أن البناء في هذا الدور قد تميّز بالتركيز على المعابد التي سيقوى دورها تدريجياً من الآن فصاعداً.

2-4-1

وفي أريدو تم تخصيص ضاحية لاستعمالها كمقبرة، مع أسلوب مميز في الدفن حيث كانت الأجساد تسجّى على ظهورها في قبور محددة ومغطاة بالآجر. أما في تبة گورا فمعظم المقابر لا تعدو كونها حفراً بسيطة حول المعابد تسجّى فيها الأجساد واحداً إلى جانب الآخر، باستثناء الأطفال الذين كانوا يدفنون في الجرار، وهو ما يذكرنا بطقوس الدفن في تل حسونة، الشمالي أيضاً.

3-4-1

وقد أخذت تماثيل الإلهة الأم، أو ما اصطلح عليها هكذا، وضعية الجلوس في تبة گورا وهو ما يعتبر امتداداً للأدوار السابقة، أما في الجنوب، فقد أخذت وضعية القيام مع تحويرات جوهرية في شكل الرأس الذي جاء على هيئة أفعوانية مع

تيجان من القار، كما تحوّر الحجم حيث أخذ الجسد يميل إلى الرشاقة بدلاً عن البدانة، مع كفين مضمومين عادة إلى الصدر أو الخصر، ونهدين بارزين بدلاً عن الثديين الكبيرين، النموذج الذي سيمثّل الشكل المعروف للإلهة إنانا.

وتفيد نماذج القوارب المكتشفة في أريدو وأور أن حركة الاتصال بين القسمين الشمالي والجنوبي كان أمراً معتاداً، هذه على الأقل هي القراءة السائدة، حيث كان بإمكان السكان الاعتماد على وسائط نقل مائية لغرض التبادل التجاري والمقايضة، إلا أننا بالاعتماد على معاينة الأختام الحجرية المنبسطة، المتطورة عن الأختام- القلائد في دور حلف (حملت الأولى رسوماً حيوانية وبشرية بدل الخطوط والأشرطة التي حملتها الثانية) نجد أنها شائعة الاستعمال في تبة گورا، حيث وجدت بأعداد كبيرة، ونادرة جداً في القسم الجنوبي. الأمر الذي يشير إلى ضعف الاتصال بين القسمين.

4-4-1

وبالرغم من أن فخاريات العبيد قد قسمت إلى فترتين أولى وثانية، إلا أن الأواني (من جرار وأقداح وصحون) في كلتيهما قد نفذت بتقنيات بدائية تفتقد المهارة والإتقان كما تفتقد المخيلة الجيدة، وإن شهدت الفترة الثانية تحسناً بسيطاً، غير أنه لا يرقى بأي حال إلى مستوى فخاريات حلف السابقة، وحتى لا يبدو هذا الإنقطاع مرجّحاً مسبقاً، يكفي أن نشير إلى افتقاد تلك الأواني إلى الطلاء، كما أن الألوان لم تزد عن لون واحد هو البني المسودّ، هذا من ناحية ما يمكن اعتباره تردّياً جمالياً، أما من ناحية أخرى، فقد ظهرت، للمرة الأولى، «الصنابير والعروات؛ فمن بين الأشكال النموذجية نميز كؤوساً ذات أشكال شبيهة بالجرس،

وجرار ذات مقابض شبكية وأوان مزدوجة التحدّب ذات صنبور طويل».[1]

إن هذا الفخار يتواجد عملياً في كل أرجاء وادي الرافدين، لكن حجم الاختلافات، وهي حادّة مقارنةً بالأنماط السابقة، تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بنشأة دور العبيد على أنقاض دور حلف، كبديل مفاجئ، لا كوريث تطور عنه بالتدريج. ومما يؤكد ذلك أيضاً، أن النقوش والزخارف جاءت في معظمها على شكل رسوم هندسية (خطوط متقاطعة ومفردة ومثلثات ومربعات ودوائر)، مع عدد أقل من الرسوم النباتية أو الحيوانية، فإذا افترضنا بمنطق التطوّر المتتابع إضافةَ المزيد من الرسوم وإعطائها أسلوباً مميزاً في الحركة والوضعية أكثر تحديداً وإتقاناً، أمكننا عزو هذه الحالة إلى فرضية التأثير الخارجي الذي تعرض له تصنيع الفخاريات.

5-4-1

كما غاب من النقوش التي حملتها الآنية الفخارية في هذا الدور، رأس الثور وقرناه. وهذان الرسمان، بشكل خاص، هما نتاج محلي محض، نرى أنهما تعارضا بشكل ما مع رسومات أخرى تشي بترميز معتقدي يعود إلى جنوب غرب ايران، مما أجبر خزّافي العبيد على تغييبهما، إلا أنهما سوف يعاودان الظهور مجدّداً محبسّدَيْن لمعتقد رافديني سيزداد انتشاراً بمرور الوقت إلى أن يصبحا علامة مميزة لحضارات وادي الرافدين المتعاقبة.

6-4-1

كانت العناصر المحلية في الدورين الأول والثاني هي السائدة، سواء في

1- حول التباينات ودلالات الوحدة في مواقع دور العبيد، انظر رو. (م. س).

المعتقدات (تمثال الإلهة الأم، رأس الثور وقرناه، ...) أو في الأنماط والأساليب (الفخاريّات، الأبنية، ...) أو في الحياة العامة (أنظمة السكن، الأدوات، ...) وكمثال على ذلك يمكننا أن نرى إلى التطور الملاحظ على فخاريات هذين الدورين، من حيث تصنيعها المتدرج من السماجة إلى الرهافة، ومن تنافر النسب إلى انتظامها، أو من حيث النقوش والزخارف التي تصبح أكثر ثراءً وتنوعاً كلما اقتربنا من نهاية الدور الثاني.

بيد أن التغيرات التي تعرض لها القسم الجنوبي في الدور الثالث، والتي أنهت بشكل فجائي الدور الثاني، قد أحدثت ما يشبه إعادة توزيع للأدوار مصحوباً بقَطْع حضاري جعل العوامل المعتقدية والاجتماعية والمادية تبدو وكأنها نشأت فجأة في الجنوب، مع استثناءات لايمكن إهمالها بالطبع، وإن كانت قليلة وغير مؤثرة على تصورنا العام لهذا الدور؛ وكما أشرنا فإن التركيز غالباً ما يتجه إلى دور العبيد كلما أردنا الحديث عن القسم الجنوبي لبلاد الرافدين، وتبرز أهمية هذا الدور في أنه شهد ما يُعتقد أنه أول استيطان قارٍّ لمنطقة السهل الرسوبي، أي أن ما يمكن تسميته تمركزاً حضارياً أخذ في الانتقال إلى الجنوب، منذ هذا الدور تحديداً.

إن الدلائل تشير إلى أن القسم الجنوبي قد تم استيطانه طوال الأزمنة السابقة، أي منذ أن بدأت المستنقعات تجف نسبياً وتتحول إلى أرض صالحة للاستيطان، إلا أن قرى وتجمعات هذا الدور الذي سيتلاشى تدريجياً في الدور القادم (الوركاء) سوف تلعب دوراً بالغ الأهمية في التمهيد لنشأة أولى الحضارات، وفي تكريس القسم الجنوبي كرائد للتطورات التي ستشهدها المنطقة، ومنذ هذا الوقت ستستمر سيطرة الجنوب قائمة طوال العصور القادمة حتى يتمكن الآشوريون أخيراً من إعادة التمركز إلى الشمال.

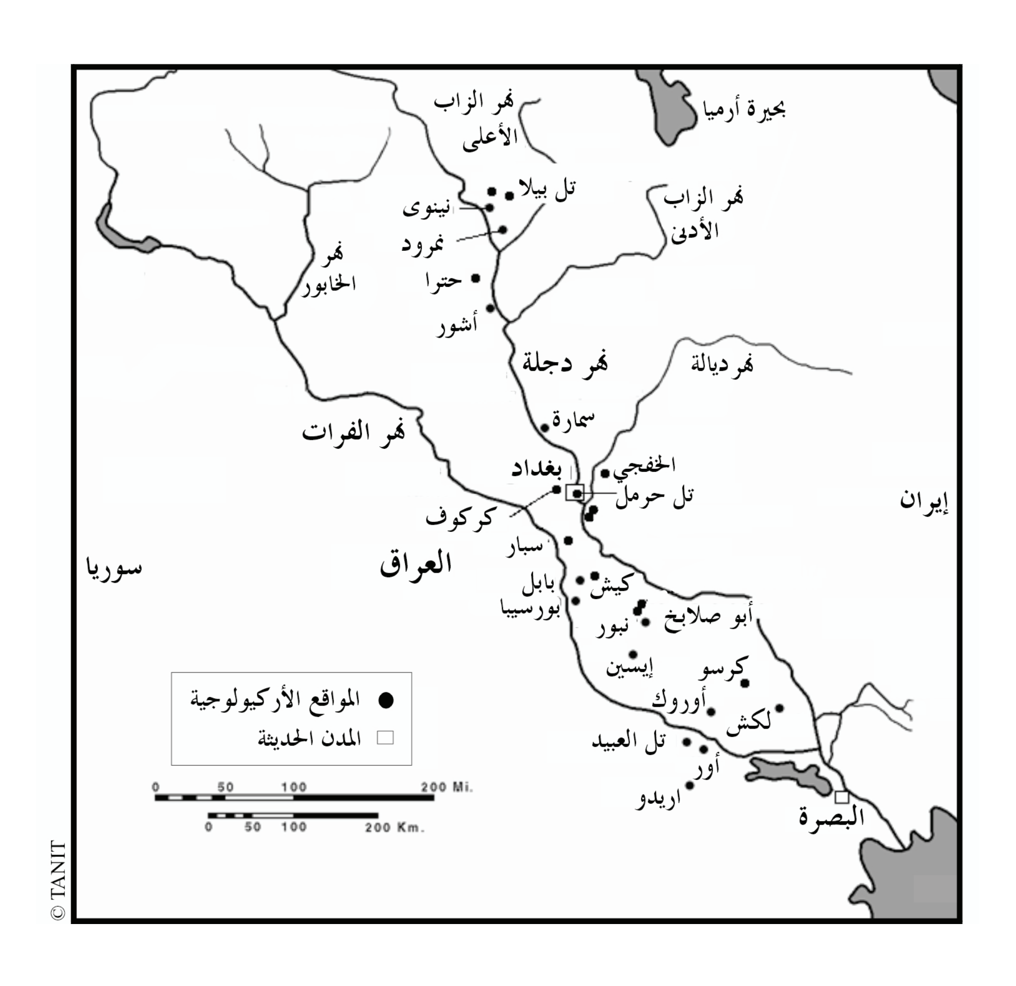
5-1 : دورا الوركاء وجمدة نصر

تقع الوركاء (أوروك القديمة) في جنوب شرقي مدينة السماوة في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة، وهي تعتبر موقعاً نموذجياً لتمثيل الدور المسمَّى بها.

بدأ في هذا الدور ظهور المعابد[1] كمحور (مركز) تتآلف حوله القرى السكنية التي ازدادت سعتها بازدياد عدد سكانها، ونمت تدريجياً إلى مدن صغيرة، آخذة

1- كان المعبد غرفة واحدة، تطور ليصبح بناءً مربعاً أو مستطيلاً أو بيضوياً، يحيط به سور كبير، وغالباً ما تتجه أضلاع السور إلى الجهات الأربع، ويحتوي المعبد السومري النمطي على ساحة، قد تكون مكشوفةً، وقد تكون مغطّاة (مسقوفة) بالجريد والأغصان، يتوزع على جوانبها عدد من الغرف، أهمها: الحرم، وهي الغرفة التي يوضع فيها تمثال، أو تماثيل، الإله المعبود، ثم سكن الكاهن، والمخزن الذي يحتوي أغراض المعبد وحاجياته. وغالباً ما تزيّن واجهات المعابد بمنحوتات من العاج أو الصدف أو الحجر، وتتنوع الزخارف والتزيينات بين أشكال الحيوانات والطيور والنباتات، وقد تمثل بعض الأعمال الأسطورية أو اليومية كحلب الأبقار وصنع اللبن وهو عمل اختص به المعبد في المراحل القديمة. وبشكل تدريجي تطور بناء المعبد السومري القديم في العصر الأكدي ثم في العصر السومري- الأكدي إلى الزقورات، واسمها السومري هو ءِتِمْ.ءِن.ءَنكِ Etemenanki ، أي: أساس (قاعدة) السماء والأرض، وهي أبنية متدرّجة تتكون غالباً من ثلاث إلى سبع طبقات، تكون أسفلها أكبرها، وأعلاها أصغرها، وغالباً ما يحتوي الطابق الأخير على غرفة واحدة هي المخصصة لراحة الإله، ويمكننا تصوّرها مقتصرة على كاهن واحد هو السادن الأول للمعبد، أو على عدد قليل من الكهنة. وترتفع طبقات الزقورة بين 30 إلى 50 متراً. وقد تصل إلى 90 متراً كما في زقورة مردوخ. وقد تم اكتشاف حوالي ثلاثين زقورة تنتشر بين تل براك في الشمال الغربي، إلى دُر شرّكِن في الشمال، إلى ءُرْ و ءِرِدُ في الجنوب، إلى سوسا في الشرق، ولعل زقورة ءِرِدُ هي الأقدم بينها، وتعود إلى دور العبيد (4300- 3500 ق.م)، أما زقورة ءُرُكْ المسماة بالبيت الأبيض فتعود إلى دور جمدة نصر (3100- 2900 ق.م)، وكانت بعض المدن تحتوي على أكثر من زقورة، مثل كِشْ التي ضمت ثلاث زقورات في نفس الوقت. **ويمكننا بشكل عام تصور برج بابل كنموذج أخير لتطور بناء الزقورات في بلاد الرافدين، كما يمكننا بالمقابل مقارنة بناء الكعبة بمعبد سومري قديم لم يتطور إلى مرحلة الزقورة.**

بمرور الوقت في الاتساع والانتشار فانتظمت دُورها وشوارعها ومرافقها، واتبع سكانها أنظمة حياتية ومعيشية محددة، وتغير نمط إنتاجها بظهور وتميز الحِرف، بحيث أصبحت هناك فئات من التجار والبنائين والنجارين والحدادين والخزّافين بما يشبه فئة (طبقة) من الحرفيين، نرى إزاءها طبقة أخرى من الزّراع والرّعاة الذين كانوا أكثر عدداً، بالإضافة إلى طبقة السدنة الذين كانوا أقل عدداً وأكثر ثراءً كما يبدو.



1-5-1

تتشابه معابد أوروك مع معابد العبيد (ءِرِدُو Eridu) من ناحية المعمار، الأمر الذي يدعو إلى سحْب التشابه على الأنماط الطقسية والعبادات التي كانت تُؤدّى في هذه المعابد، مع ملاحظة أن النقوش والزخارف تزداد تنوعاً وغنىً في هذا الدور، ويتغير اسلوب تأديتها، حيث تُظهر الجدران والأعمدة والدّكّات «نماذج ملونة لتصميم هندسي مشكّل بواسطة نهايات مسطّحة لمخاريط من الطين النضيج، طولها ثلاثة أو أربعة إنشات، مطلية باللون الأحمر أو الأسود أو الأبيض، ومثبتة بالطبقة الطينية للجدران»[1]، بالإضافة إلى لوحات جصيّة (تل العُقير) «تظهر أجساماً بشرية منتظمة في موكب مع فهدين رابضين يحرسان عرش إله غير معروف»[2] كما أصبحت المعابد تبنى على منصات (مصاطب) تعتبر الأصل المباشر للزقورات المدرجة، «ويصور هذا الارتقاء على نحو واضح معبد آنو في أوروك المتضمن ستة معابد مبنية بالتعاقب على منصة ترتفع خمسين قدماً فوق السهل المحيط».[3]

2-5-1

ومثلما يحدث عادة من غلبة الكم على النوع عند تطور وسائل الإنتاج البدائية.[4] نجد أن فخاريات أوروك بعد اكتشاف عجلة الفخار، وقالب التصنيع المعدني، أهملت اللازمات الفنية لصالح قدر أكبر من الإنتاج، فاقتصرت

1- م. س. 108-110.

2- م.س. ن.

3- م.س. ن.

4- المحجوب، مجتمع اللادولة..بحث في التشاركيات البدائية. الفصل الثالث.

الزخارف والنقوش المتطورة والغنية على المعابد، مع الاهتمام أكثر بالأختام الأسطوانية. إن نوعاً من «الموتيفة» الخاصة التي غالباً ما تلفت الانتباه في الصناعات اليدوية أصبحت مفتقدة هنا، ولعل شيئاً من هذا القبيل كان يُعبَّر به في هذا الدور لانتقاد العدد الكبير من القطع الفخارية التي كانت تنتجها معامل أوروك، وبإمكاننا تصور «ناقد» من أوروك يصف الصراع المتفاقم بين أسلوبين (مدرستين) هما: السرعة والإتقان، وكيف أن الأول أكثر نجاحاً لأنه أكثر فعالية في تلبية الطلب المتزايد، وفي إنتاج أكبر عدد في أقل زمن. سببٌ سهل للوفرة وسبب سهل أيضاً لنهاية اقتصاديات الكفاف المميزة للأدوار البدائية السابقة. على أننا يمكن أن نتصور أن الخزّافين التقليديين ذوي المهارة اليدوية قد وجدوا طريقاً سهلاً نحو المعابد أو معامل الفخار التقليدية التي اقتصرت على صناعة الأختام الأسطوانية والقطع الفنية القليلة التي عثر عليها والتي تبدو كما لو أنها صُنّعت لتلبية طلبات خاصة من الكهنة!

كانت فخاريات الوركاء، بوجه عام، فجّةً سميكة الجدران، تفتقد إلى الألوان والزخارف، أخذ معظمها لون الطين الذي استخدم لطلائها فأكسبها ملمساً ناعماً. وقد تنوعت بين الأحمر (بعدة درجات) والرمادي والرمادي المسودّ ونوع ثالث أكثر بساطة وخشونة.

ومن حيث الشكل، كانت الجرار منتفخة بقواعد وأعناق قصيرة جداً، وحافات مائلة، ولبعضها فتحتان، وللكثير منها ولاسيما الصغيرة صنبور. أما الأواني فتتألف من القدور والطاسات والصحون بأحجام مختلفة، وبأشكال كروية أو ذات جوانب مستقيمة.

3-5-1

في هذا الدور استبدلت الأختام المنبسطة بأختام أسطوانية، ولعل كلمة استبدال هي المناسبة هنا للقول أن فرضية التطور من النوع الأول إلى النوع الثاني ليست مؤكدة تماماً.

يتراوح طول الختم الأسطواني بين 2 إلى 7 سنتيمتر، بقطر يبدأ من بضعة ملليمترات إلى 2 سنتيمتر، ويصنع عادة من حجر قد يكون صلباً أو هشاً، وبلون المادة نفسها أو ملوّناً، ويثقب طولياً بحيث يمرّر فيه خيط يسمح بتقلّده، كما تُحفر عليه مواضيع مختلفة: طبيعية أو حياتية أو معتقدية بأساليب متعددة.

وتعتبر الأختام الاسطوانية ملكاً شخصياً لا يجوز استعماله لغير صاحبه، كما أن رواسمه على الجرار والأواني الطينية لا يجوز تخريبها، ويتعرض من يفعل ذلك للعقوبة، باعتبار هذا العمل سطواً على ممتلكات الغير.

4-5-1

شهدت معابد أوروك في أواخر هذا الدور ولادة أول صيغة لتمثيل اللغة عن طريق الكتابة للمرة الأولى في التاريخ، وكان ذلك على شكل الكتابة الصورية pictographic، وهي عبارة عن تمثيل الأشياء بعلامات، أو بالأحرى صور، سيُصار إلى اختصارها بمرور الوقت. وقد «عثر في الطبقة الرابعة من أحد معابد مدينة الوركاء على ما يزيد عن ألف لوح مدونة بالكتابة الصورية.. وهي عبارة عن وثائق اقتصادية تسجل مدخولات المعبد ومصروفاته».[1]

وقد حافظت المرحلة الأولى من الكتابة على إظهار أبرز الأجزاء المكوّنة لكتل

1- فاضل عبد الواحد علي، سومر أسطورة وملحمة، ص29.

الأشياء المراد تدوينها بعدد من البكتوغرامات زاد على الألفين «يمثل بعضها أشياء سهلة التمييز كالأدوات الزراعية، الأواني، القوارب، رؤوس الحيوانات، أو أجزاء من الجسم البشري»،[1] ثم عمد الكتّاب الأوائل إلى الاختصار والتبسيط كلما أمكنهم ذلك «وعلى سبيل المثال فإن الكلمة ءُدُ udu التي تؤدي معنى: غنم، كتبت بما لا يقل عن 31 علامة صورية في الطبقة الرابعة من دور الوركاء، أما في الطبقة الثالثة منه فقد استخدمت لها ثلاث علامات، وفي الطبقة الأحدث منها أصبحت العلامات المعبرة عن الغنم علامتين فقط».[2] ومعظم ما تضمنته مدوّنات المرحلة الأولى من الكتابة المسمارية كان نصوصاً اقتصادية في شكل قوائم سلع وأعطيات معبدية وغيرها، بعد أن تحول المعبد إلى «مؤسسة اقتصادية تمتلك الأراضي الزراعية وتستخدم الفلاحين والعمال والصناع وتقوم بعملية الاقراض بفوائد معينة»[3].

***

1- 6 : خلاصة

إن زمن ظهور الكتابة المسمارية (أواخر الألف الرابع ق.م) ومكانها (معابد أوروك) ومقارنة تقنيتها بالأختام (الرواسم) معطيات تجعلنا نحدّد أنها كانت نتيجة مباشرة لالتقاء عاملين «تقنيين»:

1-6-1 : نشأة الرسم الاختزالي المتمثّل في الخطوط المتوازية والمتقاطعة والأشرطة والأشكال الهندسية كالمثلثات والمربعات والدوائر والنجوم، في دور

1- بهيجة إسماعيل، «الكتابة»، بحث ضمن «حضارة العراق»، ج1، ص 223.

2- ن.م.

3- فاضل عبدالواحد، مرجع سابق، ص 29.

العُبيد، إلى جانب الرسم «الطبيعي» المتمثّل في الرسوم والنقوش والزخارف وتمثيل سطوح الكتل بخطوط منحنية ودائرية، تحاكي أشكال البشر والحيوانات والمستَعملات والموجودات الطبيعية[1]. وخاصة مع شيوع استخدام الأختام الأسطوانية في نهاية دور الوركاء بما حوته من أشكال هي من الناحية الفنية الأصل المباشر للمرحلة الصورية من الكتابة.

في هذا المثال يمكننا أن نتعرّف على ولادة العلامة المقطعية ءَن an. إننا نفترض أن الزخرفة باستخدام النجوم بدأت بخطّين متصالبين: (+) أو (×) هما أساس رسم النجم المربّع : ✦ ، الذي كان من تحوراته الصليب المعقوف: 卍 أيضاً، ثم النجم المسدّس: ✶ وأخيراً المثمّن: ✸ وهو العلامة المقطعية ✳ ءَن an، والتي ستتطوّر بعد ذلك إلى 𒀭.

1-6-2 : ظهور الأسلوب «الاختزالي» الذي ميّز دور الوركاء في الفِخارة والعمارة، مع استمر الأشكال السابقة، التي ظهرت بشكل أكثر إتقاناً على جدران المعابد، وإن ظهرت بمستوى أقل على الفخاريات الفجّة السميكة الخالية غالباً من الألوان والزخارف.

1-6-3 : كانت حاجة المعابد لتدوين ممتلكاتها ومقتنياتها والتبرعات التي تتوصل بها (لعلها كانت شكلاً من أشكال الإتاوة)، بالإضافة إلى التجارة والمقايضة، وتعقّد الحياة الإجتماعية والسياسية لبلاد الرافدين، بيئةً حضارية نشأ فيها الإهتمام بالكتابة وتدريب الكتّاب وإنشاء المكتبات والمدارس وتنظيم التعليم.

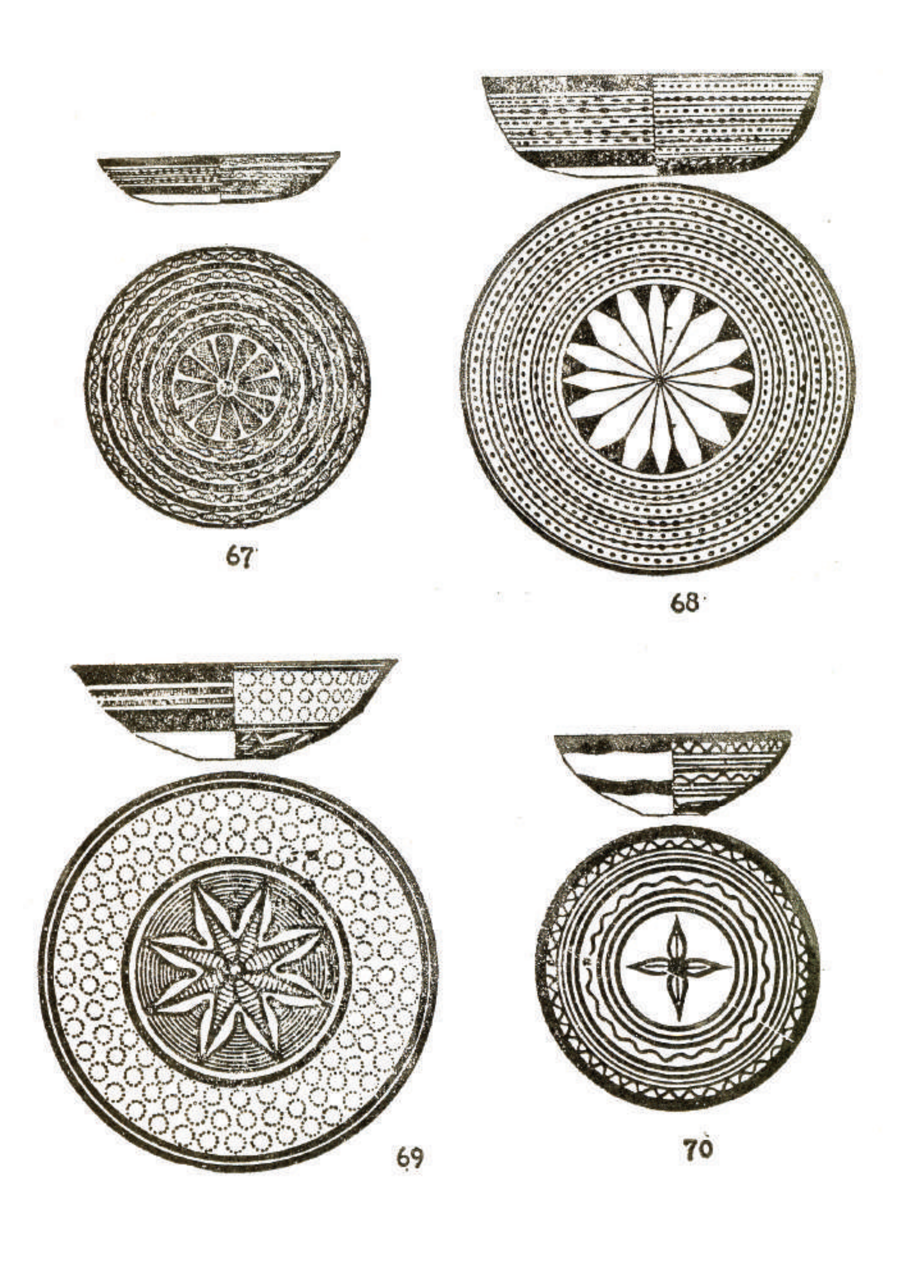
1- لقد استمر هذا الأسلوب «الطبيعي» في وادي النيل، وبلغ غاية إتقانه في الكتابة الهيروغليفية، وهذه ترتبط أيضاً – بشكل أدق – بفنون ورسومات ما قبل التاريخ في سلسلة تاسيلي وغيرها من المواقع جنوب الصحراء الكبرى .

إن مدينة ءُرُكْ، التي تمثّل هذا الدور، هي الموطن المقدس للإلهة ءِنَنَا (إنانا)، ويوجد فيها الموقع المسمّى ءِ.ءَنَّا e-anna (بيت السماء) الذي عثر فيه «على عدد من بقايا الأبنية الضخمة ذات الطابع القدسي.. وفي داخلها أقدم الوثائق المكتوبة على الطين، وهي تمثل أولى مراحل نشوء الكتابة، إلى جانب الأختام الاسطوانية، المتزامنة مع اكتشاف الكتابة، والمعدّة أصلاً لتسهيل شؤون المعبد الإدارية». [1]

لنقل إذن أن أوائل الكتاب كانوا من الخزّافين، وأنهم باختراعهم للكتابة الصورية قد لبّوا رغبة السدنة في تنظيم دور المعبد وتدوين مقتنياته وما إليها.

إن صلة العبادة وأداء الطقوس باللغة والكتابة سوف تستمر لآلاف السنين بعد ذلك، ولسوف تنتجُ أسطورةَ المنشأ المقدّس للغة، وسحريّة الحروف وعلامات تمثيل الكلام، التي ستترك أثرها على جميع الشعوب الناطقة باللغات الأفروآسيوية.

1- موتركارت، 25.

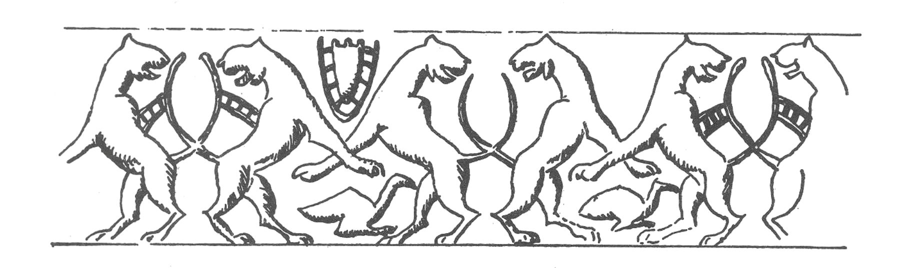


أواني مزخرفة من عصر حلف



زخارف من دور سامراء

زخارف من دور العُبَيْد



ختم اسطواني من دور الوركاء



أختام اسطوانية من دور جمدة نصر

الفصل الثاني

السومريّون

1-2 : أسماء سومر

يعود اكتشاف اسم «سومر» sumer (šumer شُمِر)، (الأكدية: *šumerum*) إلى عام 1869 عندما استخدمها المستشرق ج. أُبِرْت J. Oppert [1] للتمييز بين الساميين (الأكديين) وغير الساميين (السومريين) الذين يشير إليهما معاً لقب «ملك سومر وأكد»، وهو لقب يتردد كثيراً في الألواح المسمارية، فقد أطلق ءِنْ.شَكُشَنَا الأول En-šakuš-ana (سلالة أوروك الثانية) على نفسه لقب «سيد سومر وملك البلاد»، وبعد ذلك بما لا يقل عن قرنين أتخذ لُگَل زَگِسِي Lugal-zaggisi (سلالة أوروك الثالثة، القرن 29 ق.م) لقب «ملك البلاد»، (لُگَلْ كَلَم lugal kalam)، بعد أن جمع تحت سلطته جميع مدن المنطقة مثل نِبُّرْ وءُرْ وءُرُكْ ولَرْسَا، وقد طلب گُدْيَا Gudea من الآلهة أن تجعل سومر «على رأس البلدان»[2]، كما أن ملوك سلالة ءُرْ Ur الثالثة (2111- 2003 ق.م) استخدموا اللقب ذاته الذي يجمع بين سومر وأكد، مثل ءُرْنَمُّو Ur-nammu مؤسّس السلالة، وقد أنشأ ءِشْبِي.ءِرَا Išbi-ira سلالة ءِسِنْ (إيسن Isin) (2017- 1794 ق.م) التي اتخذ أمراؤها نفس اللقب مضيفين على أنفسهم صفة الألوهية، وفي عام 2225 ق.م أعلن سُمُو.ءَبُمْ sumu-abum العموري نفسه ملكاً على بابل، وقضت أسرته على أسر ءِسِنْ ولَرْسَا، وبسطت نفوذها على سومر، ولم يحتفظ باسم سومر إلا في المراسم الاحتفالية الملكية والدينية، على حين شمل اسم أكد كامل الأقليم. ويبدو، حسب ديلا بورت، أن الاسم قد أطلقه الساميّون على المنطقة التي توطنها جيرانهم من السومريين. دون أن يشير إلى معنى محدّد. أما فوزي رشيد فيحدّدها بالمنطقة

1- (1825- 1905).

2- ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ص 19.

«الواقعة إلى الجنوب من مدينة نفر، حتى سوق الشيوخ الحالية، بينما أكد هي المنطقة التي تبدأ من جنوب بغداد وتمتدّ حتى مدينة نفر».[1]

1-1-2

في السومرية يشار إلى سومر بالعلامات ki.en.gi (كِ ءِنْ گِ) ويمكننا أن نقرأها: كِنْگي، وهي كلمة يكتنف معناها الغموض والشك، وإن كان جورج رو قد أشار إلى أن البعض ناقش هذه المقاطع على أساس تركبها من المقاطع الجذرية: ki (بلد)، en (رب)، gi (قصب)، وتعني لديه: بلد [الإله] «ءِنْگِ». ولي تفسير آخر يعتمد على قراءة المقطع الثاني (en) بمعنى: سيّد، بقصْر معنى السيادة على البشر، دون الآلهة، وقراءة المقطع الأخير (gi) بمعنى: الأصلي، كما في كلمة دُمُگِ dumu-gi بمعنى: رجل حرّ، أصلي؛ أو «مواطن». وقد وصف السومريون أنفسهم بهذه الكلمة بمعنى «المواطنين أو الأصلاء»، والكلمة مكوّنة من dumu: ابن وgi_7، (وهو أيضاً المقطع gir_{15}) بمعنى المقيم بالمدينة منذ الولادة، تمييزاً له عن الوافد والعبد. أي تمييزاً للطبقة الأولى من المجتمع السومري الذي انقسم إلى ثلاث طبقات، هي: المواطنون، الموالي (المستوطنون)، والعبيد. كما نعثر على هذا المقطع في كلمة أخرى وصف بها السومريون لغتهم هي: eme-gi (وكذلك: eme-gir) أو ، أي اللغة الأصلية [الأولى]، المتكوّنة من مقطعين، هما: eme بمعنى لسان، وgi بالمعنى السابق أي الأصلي، الدالّة أساساً على القصب. فكلمة ki-en-gi بإعادة القراءة هذه إنما هي بلاد السادة الأصلاء. أو بلاد الأحرار اختصاراً. وليس كما اعتقد ج. رو الذي التبس عليه معنى gi، إلا إذا اعتبرنا أن اللفظ في إحالته للمعنيين يشي بكناية

1- فوزي رشيد، السياسة والدين في العراق القديم، ص 39.

كانت سائدةً، فكأن السومريين وصفوا أنفسهم بقصب الأرض ونبتها.

كثيراً ما يتكرّر هذا الاسم في الملاحم والقصائد السومرية، وأورد هنا المثال التالي، وهو مقطع مترجم عن ملحمة «إِنْ.مَرْكِر En-marker وسيِّد ءَرَتَّا Aratta»:

e$_2$-nun-e$_2$-nun-ba šir$_3$ kug nam-šub du$_{12}$-a-ba

«بيت الربّ يشدو طاهراً بترتيلة مغنّاة

nam-šub ^{d}nu-dim$_2$-mud-da-ke$_4$ e-ne-ra dug$_4$-mu-na-ab

ترتيلة [الإله] نُدِمُّدْ الذي قال:

ud-ba muš nu-ĝal$_2$-am$_3$ ĝiri$_2$ nu-ĝal$_2$-am$_3$

يومئذ لم تكُنْ أفعى، لم يكن عقربٌ

kir$_4$ nu-ĝal$_2$-am$_3$ ur-maẖ nu-ĝal$_2$-am$_3$

لم يكن ضبعٌ ، لم يكن أسدٌ

ur-gir$_{15}$ ur-bar-ra nu-ĝal$_2$-am$_3$

لم يكن كلبٌ [ولا] ذئبٌ

ni$_2$ teĝ$_3$-ĝe$_{26}$ su zi-zi-i nu-ĝal$_2$-am$_3$

لم يكن خوفٌ [ولا] رجْفٌ

lu$_2$-u$_{18}$-lu gaba-šu-ĝar nu-tuku

لم يكن للإنسان منافسٌ

ud-ba kur šubur^{ki} ẖa-ma-zi^{ki}

يومئذ وُجِدت أرض شُبُر وخَمَزِي

eme ẖa-mun ki-en-gi kur gal me nam-nun-na-ka

المتوافقة اللسان . كِنْگي (سومر) ، الأرض العظيمة ، ناموس النبالة

ki-uri kur me-te-ĝal$_2$-la

كِيُرِي (أكد) الأرض البهيّة

kur mar-tu u$_2$-sal-la nu$_2$-a

أرضُ مَرتُو، المرْجُ الآمن

an ki niĝin$_2$-na uĝ$_3$ saĝ sig$_{10}$-ga

كَوْنُ الرؤوس السوداء [1] وهم

^{d}en-lil$_2$-ra eme 1-am$_3$ h̠e$_2$-en-na-da-ab-dug$_4$

يخاطبون [الإله] ءِنلِلْ بلسان واحد

ud-ba a-da en a-da nun a-da lugal-la

يومئذ تجادل السادة والأمراء والملوك

^{d}en-ki a-da en a-da nun a-da lugal-la

[الإله] ءِنْـكِي جادل السادة والأمراء والملوك

a-da en-e a-da nun-e a-da lugal-la

جادل السادة والأمراء والملوك

^{d}en-ki en h̠e$_2$-ĝal$_2$-la en dug$_4$-ga zid-da

[الإله] ءِنْكِي ربّ الرفاه . الر بّ [الذي] قال حقاً

en ĝeštug$_2$-ga igi-ĝal$_2$ kalam-ma-ke$_4$

الربّ الحكيم - السميع، الحكيم - البصير ، ربّ الأرض

mas-su diĝir-re-e-ne-ke$_4$

1- ذوو الرؤوس السوداء هي الصفة التي أطلقها السومريون على أنفسهم.

المقدّم [بين] الآلهة

ĝeštug$_2$-ge pad$_3$-da en eridug^{ki}-ga-ke$_4$

الحكيم ، سيّد ءِرِدُگْ

ka-ba eme i$_3$-kur$_2$ en-na mi-ni-in-ĝar-ra

[كان] الفم بلسان مختلف حتى أبدله [بلسان] مبين

eme nam-lu$_2$-ulu$_3$ 1 i$_3$-me-[a]

فليكن لسان البشر واحداً». [1]

2-1-2

وقد سُمِّيت سومر أيضاً باسم: كَلَمْ kalam (الأكدية *matu* المتحدّرة من السومرة مَدَى mada) أي: القطر، البلد (راجع مادة: kalam في المعجم

1- في ترجمة هذا الجزء سعيت إلى الالتزام حرفياً بالنص الأصلي، ولسوف يلمس القاريء الكثير من الاختلاف بين هذه الترجمة وما اعتاد عليه من ترجمة دارجة، وأبرز هذه الاختلافات ما يتعلق بالألسنة حيث يبدو أن السائد هو التأثر بالتصوّر التوراتي حول بلبلة الأسن واختلافها. إن ءِمِي خَمُنْ eme hamun (اللسان المتوافق، لسان التوافق) في ترجمة كليّة الدراسات الشرقية بجامعة أوكسفورد تحولت إلى the many-tongued (اللسان المتعدد أو متعدد الألسنة). أما السطرين الأخيرين فقد تقديمهما على النحو التالي:

chosen for wisdom, the lord of Eridug,
shall change the speech in their mouths, as many as he had placed there,
and so the speech of mankind is truly one

«[الإله ءِنكِ] المختار للحكمة، سيدّ ءِرِدُگْ

عسى أن يبدّل الكلام في أفواههم، بقدر ما أوجدَ

وهكذا فإن كلام البشر واحد حقاً».

ولا يخفى أن مثل هذه الترجمة تؤدي إلى تناقض في المعنى. وكملاحظة عامّة فإن تطويع النصوص السومرية لكي تتوافق مع الأساليب الحديثة في استظهار الدلالات و ترتيبها تؤدّي إلى إقحام الكثير من الحشو يخلّ بالنصوص الأصلية ويفقدها أحد أهم سماتها البلاغية.

السومري العربي)، تمييزاً لها عن: كُركُر kurkur، أي: الأقطار، البلدان، ومن المحتمل أن هذه التسمية (كَلَمْ) كانت تنسحب على كامل بلاد ما بين النهرين ذات الصلة بسومر، في حين تشير كُركُر إلى المناطق الجبلية في الشرق أو الغرب من المدن غير ذات الصلة بسومر أو المنافسة لها، وهو المعنى الذي تؤديه كلمة: كُر 𒆳 kur المفردة والذي يجمع بين معنيي: بلد وجبل، حيث يمكن أن نفهم من تضعيفها الإشارة إلى منطقة أو بلاد ذات طبيعة جبلية، إلا أنها غالباً ما ترد بصفة البلاد الأجنبيّة أو الغريبة أو الأرض المأهولة بوجه عام، أي العالم باستثناء سومر، كما في النصّ التالي:

«.. قام إِنْلِلْ ملك كُرْكُرْ (كُركُر= العالم)

يمنح مُلْك كَلَمْ إلى لُگَلْ زَگِسِي (كَلَمْ= سومر)

لفت إِنْلِلْ أنظار كَلَمْ إليه

وضع كُرْكُرْ تحت قدميه (كُرْكُرْ = جبال زاگروس!)

أحال إليه كلّ شيء شرقاً وغرباً

فتح كل الطرق أمامه

من البحر الأدنى (البحر الأدنى= الخليج)

على امتداد دجلة والفرات

إلى البحر الأعلى.. ». (البحر الأعلى= المتوسّط)

ومن الملفت للنظر أن شَرُّكِنْ (سرگون) الأكدي، عندما ثار ضدّ لُگَلْ زَگِسِي، واستولى على عرش البلاد، احتفظ لنفسه باللقب ذاته: «مَلِكُ كَلَمْ».

و«كَلَمْ» أو أرْض سومر، في اللهجة السومرية الشعبية (ءمِسَلْ emesal) هي: «كَنَانْگ» ka-na-ang ، وتُقرأ «كنآن»، بحذف الصامت الآخير، وهي من الظواهر اللغوية السومرية، وبإضمار العين في الألف، كما سنعرف من خلال ظاهرة الحروف المغيَّبَة في نقحرة العلامات المسمارية، فإن هذا الاسم يشي مباشرةً باسم «كنعان»، وهي فرضيّة نظرية سوف نعود إليها لا حقاً، في بحث آخر.

2-2 : السومريّون واليهود

وفي هذا التداخل في تسميات سومر لاحظ الباحثون أن التوراة في حين تذكر العديد من أسماء المدن مثل: بابل التي قضى فيها العبرانيون ردحاً من تاريخهم وأوروك وأكد وأور وآشور وكاح ونينوى (سفر التكوين، الإصحاح 10:6 ومابعده)، فإنها لم تشر أبداً إلى سومر أو السومريين «باستثناء كلمة واحدة مازالت مبهمة، وهي «شنعار»، والتي يعتقد البعض أنها تحريف لكلمة «سومر»، الأمر الذي حدا بصمويل كريمر S. Kramer إلى القول بأنه يصعب التوفيق بينه وبين دور السومريين وتأثيرهم الحضاري الذي تركوه على شعوب المنطقة ومنهم العبرانيون على وجه الخصوص.

وقد حاول كريمر عام 1963 أن يعيد إلى الأذهان العلاقة بين الاسم العبري: سام (شام) šem ، واسم شومر šumer التي بحثها عالم السومريات د. بويل في بحث له نشر عام 1941، بحجة جديدة وهي أن السومريين كانوا يسقطون الحرف الصحيح من آخر الكلمة ما لم يكن متبوعاً بحرف علة (šum (e) + r) مضيفاً: «إذا ما صحت فرضية بويل بأن كلمة šem هي šumer ذاتها، فعلينا أن نفترض أن المصنفين العبرانيين للتوراة، أو في الأقل بعض منهم، عدّ السومريين الأجدادَ الأصليين للعبرانيين. إن هذه القراءة تمت في ظل اعتبار السومرية لغةً ملصقة لا

صلة لها بعائلة اللغات السامية التي تشكل العبرية جزءاً منها، ولكن من الجائز أن يكون هناك قدر كبير من الدم السومري في عروق أجداد إبراهيم، الذين عاشوا أجيالا عديدة في أور أو في مدن سومرية أخرى. أما ما يتعلق بالثقافة والحضارة السومرية، فليس هناك من سبب للشك في أن طلائع العبرانيين هؤلاء قد استوعبوا وهضموا كثيراً من مفاهيم الحياة السومرية. بالرغم من إن المصادر التوراتية قد حفظت الآثار التاريخية والتقليدية لآشور وبابل ومصر، ولم تشر إلى السومريين بشكل مباشر».

هكذا فإن الدفع باتجاه إثبات صحة فرضية كهذه، يتجاوز التأثيل اللغوي لأشهر اسم علم في التوراة، إلى هدم وإنشاء فرضيات تاريخية أخرى. الأمر الذي يؤدي التسليم بصحتها إلى مجازفة علمية تقوم في مقابلها عدة انتقادات حاسمة.

إلا أن هذه الفرضية، على ما تبدو به من ضعف، لا تخلو من الإشارة إلى جانب تاريخي يتمثل في حجم التأثّر التوراتي بألواح ونصوص سومر، وهو الموضوع الذي أفرد له فاضل عبد الواحد علي كتابه: «من سومر إلى التوراة». وإن كان ذلك لا يشكل إلا حلقة واحدة، رغم أهميتها، في تكوين ثقافة العبرانيين الذين يبدو أنهم لم يتوقفوا في أي مرحلة من مراحل تاريخهم القديم عن التجوال في المنطقة معيدين إنتاج معظم، إن لم يكن جميع، الثقافات التي احتكوا بها.

أما من ناحية الشواهد الأركيولوجية واللغوية فلا شيء يُثبت أن العبرانيين عاصروا أو عرفوا السومريين، لسبب بسيط وهو أن ظهورهم في التاريخ كان متأخّراً قياساً بزمن ظهور وانتشار المدن- الدول السومرية.

3-2 : المشكلة السومرية

يعتبر أصل السومريين مشكلة يكاد الباحثون يسقطونها تماماً من اهتماماتهم،

بسبب انعدام الشواهد القاطعة وحجم الاختلافات بين الآراء التي تفترض حلاً لها. إلا أن هذه المشكلة بقدر ما تبدو سؤالا غير قابل للإجابة بقدر ما تبدو مشرعة أيضاً أمام القراءات الجديدة خاصة في ظل توفر المزيد من الشواهد الرافدة لفرضية الأصل المحتمل.

يتساءل جورج رو: «هل بإمكاننا اقتفاء أثر السومريين إلى عصور أبعد في الماضي؟» إن معظم الآراء تجعل من الموطن الأصلي لهم مكاناً ما في أواسط إيران، أو في شمال سوريا وفلسطين أو تجعل من هذه الأماكن نقطة عبور على اتجاهات الشرق والغرب والشمال الغربي لبلاد ما بين النهرين، بشواهد مادية يعود جلّها إلى أساليب تصنيع الفخار ومقارنتها بما عثر عليه من فخاريات في المواقع السومرية، وهي شواهد متقاربة بشكل كبير، لا يمكن معها الجزم بموطن واحد للسومريين، إلى حد التشكّك آخر الأمر فيما إذا كانت هذه الشواهد ذات جدوى فعلية في تقريب حل مشكلة المنشأ، بل وفيما إذا كان الباحثون يواجهون مشكلة حقاً!

إن رو يضع حلاً وسطاً مفاده أن السومريين كانوا نتاج تمازج عدد من الأجناس التي توطنت المنطقة على مراحل مختلفة، مخلّفة عناصر أمكن وصفها بالمحلية بعد مرور عصور هي الآن سحيقة في القدم، أي أن السومريين بذلك يكونون قد وُجدوا في أرض العراق منذ البدء، أي منذ أن أصبح هذا الاقليم صالحاً للاستيطان، إلا أنه لا يتوصل إلى هذه النتيجة إلا ليعيد التذكير بقول هـ. فرانكفورت: «إن المناقشة المسهبة لهذه المشكلة يمكن أن تتحول في النهاية إلى ملاحقة وهم لا وجود له مطلقاً». [1]

1- رو، 123.

على أننا نستفيد كثيراً من الحل الذي يضعه رو لأجل التأكيد على نفي المفهوم العرقي في استخدامنا لأسماء الشعوب (السومريون، الأكديون، ...) مدركين أن القدر الهائل من الحراك الثقافي والاجتماعي الذي عرفته المنطقة يجعل توصيف شعب محدد بمواصفات عرقية موضوعاً خارج السؤال. إنما يقتصر هذا الاستخدام على الإشارة إلى شعب يتحدث لغة بعينها، ومنها يأخذ اسمه، فيوصف بها، ولا توصف به. وقد أشار رو إلى فشل كل المحاولات المبذولة لتحديد وتقييم العلاقات بين السومريين والساميين في كل الحقول عدا اللغة، وهو رأي غالبية علماء الآشوريات، إلا أن هذه النتائج مؤسسة على الكثير من «أوهام البحث العلمي» وعلى رأسها التقسيم التوراتي للأجناس، ولا يعدّ الاسترسال في مناقشتها الآن إلا من قبيل استدعاء النماذج الكلاسيكية.

وقد كان بإمكان الباحثين أن يركنوا إلى هذا الرأي نهائياً، إلا أن ذلك كان سيؤكد الصلة القوية بين اللغة السومرية والمجموعة اللغوية الآفروآسيوية (السامية)، لكن الأمر انتهى كما يبدو على العكس من ذلك تماماً. فبقدر ما ظهر أن الحل اللغوي يمكن أن يحصر المشكلة السومرية ضمن حدود أضيق جغرافيا، من الناحية النظرية على الأقل، اتضح أن المشكلة تزداد تعقّداً كلما ازداد التعويل على اللغة وحدها، من منطلق أن اللغة السومرية تبدو وكأنها وجدت بنفس الطريقة التي وُجد بها السومريون أنفسهم: الظهور المفاجئ. والسبب في ذلك يعود، قبل كل شيء، كما هو سائد في جميع الكتابات التي تناولت هذا الموضوع، إلى تفردها وانقطاع صلتها بأي من اللغات المعروفة الآن. ولا تبدو المراحل التي أمكن ردها إليها مفيدة في هذه الحالة إذ أنها تعبّر أساساً عن مراحل تطور الكتابة المسمارية، لا اللغة السومرية.

4-2 : من عجلة الفخار إلى الكتابة

لقد ظهرت الكتابة المسمارية في نهاية دور الوركاء في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وذلك يعني أحد احتمالين:

الأول: أن يكون السومريون قد وفدوا إلى أوروك في هذه الفترة مزودين بتقنية بدائية في تمثيل اللغة عن طريق الكتابة، أي أن المسمارية نتاج وافد على المنطقة وغير مسبوق بأساليب أخرى لتمثيل اللغة يمكن قراءتها. وهو احتمال لا يصمد أمام معرفتنا التطورَ الذي شهدته الكتابة المسمارية منذ فتراتها المبكرة، وقد أبانت الألواح عن مراحل هذا التطور بدءاً من الكتابة الصورية pictographic .

الثاني: أن يكون السومريون وافدين على المنطقة في عصور غير قابلة للتحديد الدقيق، بحيث استمر استخدام لغتهم لفترة طويلة، ثم تجسد أوج السيادة السومرية في دور الوركاء، متمثلاً في ظهور الكتابة وعدة عناصر حضارية أخرى، خاصة المعمار.

ويمكن فهم الاحتمال الأول على نحو يكون فيه السومريون قد وفدوا في هذه الفترة بالذات (نهاية دور الوركاء) حاملين معهم الكتابة في شكلها الجنيني، ثم أخذت في التطور بعد ذلك، إلا أنه احتمال لا يضيف الكثير، كما أنه من العبث أن نتصور شعباً مرتحلاً يبادر بمجرد توطّنه إلى اكتشاف الكتابة، إذ لا يمكن فهم ظهور الكتابة إلا ضمن شروط حضارية مسبقة أولها الاستقرار وتطوّر أنماط الإنتاج والمحيط الحضاري بما يلبي الحاجة إلى التدوين.

نعود إذن إلى الاحتمال الثاني، وعلينا، ضمنه، أن نجيب على السؤال: لماذا دور الوركاء تحديداً؟

عرفنا في الفصل السابق أن بلاد الرافدين شهدت في هذه الفترة (3300- 3100 ق.م) عدة تطورات حضارية كان لها أثر بالغ في المراحل التي تلتها، ليس فقط على مستوى إضافة عناصر جديدة للبيئة الحضارية القديمة، بل وفي الوتيرة المتسارعة لظهور هذه العناصر وتطورها، بحيث يمكن القول أنه في لحظة ما من هذه الفترة القصيرة نسبياً يصبح الحديث عن الحضارة السومرية أمراً يتجاوز التخمين ويستند إلى شواهد ملموسة.

1- اختراع عجلة الفخار وظهور أنماط فخارية جديدة.

2- تطور الأختام المنبسطة إلى أختام أسطوانية.

3- إنشاء المعابد على زقورات.

4- ظهور الكتابة.

وبعبارة أخرى، لقد انتقل ما يمكن دعوته تمركزاً حضارياً إلى الجنوب، بدلاً عن الشمال، ومنذ ذلك الوقت ستستمر سيطرة الجنوب قائمة طوال العصور القادمة حتى يتمكن الآشوريون أخيراً من إعادة نقل التمركز إلى الشمال. لكن، قبل هذا التحوّل، لم يكف السومريون في الجنوب عن التناوب مع الأكديين على حكم المنطقة، دون تغييرات تذكر، ودون إضافة عناصر نوعية جديدة، إذ اكتفى الجميع، من حكام وملوك سومر وأكد، بتكريس العناصر المؤسسة نفسها مع تحقيق تراكم كمّي كان يزداد ويتسع باتساع المدن والممالك، وتغيّرِ الخارطة الديمغرافية بزيادة عدد السكان وتنوع أنشطتهم وأساليب عيشهم.

لقد عبدوا نفس الآلهة، وإن اختلفت أكثر أسمائها بين السومرية والأكدية، واتبعوا نمطاً معمارياً واحداً تقريباً في معابدهم وقصورهم ومساكنهم، صلّوا بنفس الطقوس ودفنوا موتاهم بنفس الطقوس أيضاً، وكتبوا نفس الملاحم والأساطير

بالخط المسماري نفسه، إلى آخر هذه المشتركات التي لم تكن لتتمايز سوى في بعض التفاصيل الاستثنائية غير المؤثرة آخر الأمر على ما يمكن اعتباره رؤية سومرية-أكدية للحياة. الاختلاف الأساسي الوحيد – كما هو دارجٌ – أنهم تكلموا لغتين مختلفتين تماماً في الوقت نفسه، بالرغم من أنهما كُتبتا بخط واحد في وقت واحد !

2-5 : السومريون- الأكديون

إن السؤال الأساسي الآن هو: هل كانت السومرية والأكدية لغتين مختلفتين حقاً؟ أي هل كان السومريون والأكديون شعبين مختلفين؟ أم أن السومرية ليست سوى سلف أقدم تحدّرت منه الأكدية الأحدث وجاورته في بعض مراحل عمرها بوصفها لهجة ناشئة عنه ثم تطورت في سلسلة متشعبة لعلّ آخر حلقاتها هي العربية ولهجاتها المتنوعة؟ تماماً كما أن اللغات المتحدّرة من الأكدية جاورتها في بعض مراحل عمرها ثمّ حلّت بدلاً عنها مع مرور الوقت، فاللغة الآرامية مثلاً بدأت تنافس الأكدية بدءاً من القرن الثامن ق.م، وكان تمثيلها الأبجدي وبساطتها الصورفيّة والمعجمية مقارنة بغيرها من أهم العوامل التي ساهمت في انتشارها بل واكتساحها ليس الأكدية فقط بل اليونانية والفارسية إلى أن تحوّلت إلى لغة للعالم القديم بالرغم من أنها لم تنشأ وتنتشر في أحضان كيان سياسي يمنحها قوّة الإستخدام وقابلية الإنتشار.

لقد انحسر استخدام السومرية تدريجياً في حقول ضيقة كالسدانة والتنجيم، بينما كانت الأكدية تنتشر لتصبح لغة التداول اليومي. صارت الأولى رهينة النصّ المدّون بينما أصبحت الثانية صوتاً للواقع وأسلوباً للتعبير عن الحاجات، تماماً كما أن الأكدية سوف تنحسر بعد ذلك أمام اللغات المتحدّرة منها. ومن الأمثلة التي يمكن أن نقارن بها هذا الإنتشار والتحوّل ما حدث للغة اللاتينية ولهجاتها التي

استقلّت عنها لتتحوّل إلى لغات منفصلة تتميّز صورفيّاً ومعجميّاً.

إن التصور الشائع للعلاقة بين السومريين والأكديين يجعلهما شعبين عاشا لأكثر من ألف سنة صراعاً لغوياً بالدرجة الأولى.. أي أنه في الغالب الأعم ظلّ محصوراً في اللغة مقتصراً عليها، ولا يمكن اعتبار هذه الحالة غريبة، إذا استطعنا تصور السومريين والأكديين مزدوجي اللسان bilingual ، وأن ذلك ساهم بطريقة مباشرة في إذكاء نوع من التنافس الثقافي كان مظهره الأساسي معجماً سومرياً أكدياً مشتركاً، وكانت نتيجته الأهم التعجيل ببداية العصر التاريخي، لكن هذا التصور لا يغير في الحقيقة إلا جزءا يسيراً من التصور الشائع حول سومر والعراق القديم، إلا إذا أعدنا التفكير في طبيعة هذا التعايش، مدركين في المقام الأول أن الأكدية نشأت في البداية بوصفها لهجة من لهجات السومرية المتعددة، ولكنها كانت اللهجة الأكثر أهمية فتوفّر لها من الأسباب ما جعلها تستقلّ بمنظومتها الصرفية والمعجمية، وأن السومريين والأكديين كانوا في حقيقة الأمر شعباً واحداً.

إننا إذا عدنا إلى الجزء الذي أوردناه سابقاً من ملحمة ءِنْمَرْكِر Enmeker وسيّد ءَرَتَّا Aratta نجد أن «اللسان المتوافق» أو «لسان التوافق» eme ẖa-mun هو الوصف المستخدم للحديث عن لغة أرض «شُبُرْ» (šubur) و«خَمَزي» (ẖamazi) و«كِنْگي» (سومر ki-en-gi) و«كِيِري» (أكد ki-uri) وأرضُ مَرتُو (martu)، وقد تمّ التعبير عن جميع هذه المدن والنواحي بوصفها «كَوْن الرؤوس السوداء» وهي الصفة التي أطلقها السومريون على أنفسهم لتميزهم بالشعر الأسود، ربما في مقابل أقوام أخرى من الشمال كانوا من ذوي الشعر الأشقر.

إن هذا النص لا يترك مجالاً للشك في طبيعة الأصل الواحد الذي ميّز سكان العراق القديم، كما إنه يقوّض الفكرة التوراتية الشائعة جداً حول بلبلة الألسن، إذ أنه يقدّم تصوراً مختلفاً حول ألسن كانت متفرقة ثم توحّدت فصارت الأقوام

والشعوب تسبّح الإله إنليل بلسان واحد، بالرغم من استمرار الاختلاف والجدل بين السادة والملوك والأمراء.

وإذا مضينا قدماً في استنتاج الدلالات التي يشي بها هذا النص نكتشف أن المدن- الدول والممالك المتعاقبة في العراق القديم لم يكن في الحقيقة يفرق بينها سوى الصراع السياسي على السلطة من جهة، والغزوات التي تعرضت لها – من الشرق خاصةً – من جهة أخرى.

إن تصوراً كهذا يجعلنا نعيد النظر في روايات أخرى عن الاقتتال والتشابك الدموي بين «الجنسين» السومري والأكدي، في نهاية كل أسرة وبداية أخرى. ولعله من المفيد لفهم هذه الحقيقة إعادة ترتيب وقراءة المعطيات السابقة نفسها.

2- 6

لقد كانت المستجدات الحضارية، كما يقول فاضل عبدالواحد، في نظر عدد من الباحثين منذ الثلاثينيات والأربعينيات منهم سبايزر ومورتگارت ولاندزبرگر، ومن بعدهم گِلب في الستينيات، أدلةً أثرية كافية على وجود ما أسموه بفترة حضارية (أو انقطاع حضاري cultural break) بين دور العبيد والعصر الشبيه بالكتابي الذي لحقه، ثم أنهم اتخذوا من تلك الفترة وذلك الانقطاع دليلاً على تغير سكاني في جنوب العراق، وبتعبير آخر فإن السومريين جاؤوا إلى الجنوب في دور الوركاء، فسكان العبيد، من وجهة نظرهم، ليسوا سومريين.

2- 7

ويذهب فاضل عبدالواحد إلى وجود عدة نقاط ضعف في هذا التصور، وأن الدراسات اللاحقة له أثبتت عدم دقته، وسنورد هذه النقاط فيما يلي مع قيامنا

بالتعقيب عليها، متفقين أو مختلفين معه بهذا القدر أو ذاك لنخلص بعد ذلك إلى إعادة ترتيب المعطيات وقراءتها، كما أسلفنا.

1-7-2

أول هذه النقاط أن السومريين لم يصلوا إلا في دور الوركاء، ويميل هو إلى الرأي القائل بأن السومريين كانوا موجودين في جنوب وادي الرافدين منذ عصر العبيد على الأقل (فرضية جورج رو مع بعض التعديل)، بدليل أن المستجدات الحضارية التي ظهرت لأول مرة في العصر الشبيه بالكتابي لا يمكن أن تكون حصيلة هذا العصر وحده، الأمر الذي يُعد صحيحاً، لكن باعتباره نتيجة لا سبباً. وبعبارة أخرى أن القطيعة المفترضة المستخدمة كدليل على تغيّر سكاني في المنطقة لا تأخذ طابع التأسيس الذي يفترض قبل كل شيء التوصل إلى السيطرة على بعض مناطق المستنقع وتحويله إلى بيئة مؤهلة للاستيطان والاستزراع، وهو جهد لابد له من تقنيات وزمن وتراكم مادي ومعرفي، على العكس من المستجدات الحضارية التي يأخذ ظهورها، مقارنة بذلك، طابع الإضافة، أو إذا شئنا الاختراع.

على هذا النحو، ليس من الصعب أن نتصور السومريين شعباً وافداً استطاع بفعل عدة عوامل غريبة عن المنطقة السيطرة على ما كان سابقون لهم قد أنجزوه حتى ذلك الوقت، مع تصور الأخيرين شعباً منهمكاً في معالجة التربة وشق القنوات يبذل جلّ جهده ووقته لدرء خطر الفيضانات وتهدمات بناءاته على أرض لم تتخلص بعد من طبيعة المستنقع، وعلى ضوء ذلك يمكننا فهم تصوّر لأرنولد توينبي في «تاريخ البشرية»، يقول: «لانستطيع الجزم بأن السومريين.. هم أقدم الطلائع من سكان المستنقع الذي تحول فيما بعد إلى أرض سومر، والسومريون الذين روضوا المستنقع ما كان من الممكن أن يكونوا أبناءه، ذلك لأن

هذه المناطق الوحشية لم تكن، قبل ترويضها، قابلة للسكن، وبعض أقدم المستوطنات السومرية، مثل: أور، أوروك، وأريدو، إنما قامت على الطرف الجنوبي الغربي للمستنقع الكبير، في جوار بلاد العرب، لكن من المستبعد أن يكون السومريون قد جاؤوا منها، فليس للغتهم أي قرابة مع عائلة اللغات السامية».

لكن ما التصوّر الذي يمكن أن نضعه إذا ما ثبت فشل فرضية العزلة اللغوية؟

2-7-2

من الأمثلة التي يقدمها فاضل لدحض تصور القطيعة: أن المعابد في العصر شبه الكتابي استمرت بشكلها العام المنحدر من دور العبيد وطوري الوركاء القديم والوسيط دون تحوير أو تطوير معماري مميز، مما يمكن وصفه بالفجائي. وبالرغم من أن المعمار دون غيره من مظاهر الحضارة الأخرى يمرّ بزمن أطول، خاصة بالنسبة لبيئة جديدة، حتى يُظهر «لازماته» الفنية، وحتى يقوم بتمثيل الثقافة السائدة (أتساءل ما إذا كان من المتوجب البحث عن هكذا أثر بعد طور الوركاء الأخير بعدة قرون!) بالرغم من ذلك، فإن النقد السابق لا يفسر كيف أصبحت المعابد في هذه الفترة تزداد، بتعبير فاضل نفسه: سعة وأناقة وزخرفة، وأصبحت تبنى على مصطبة (زقورة) لإعطائها طابع السمو والرفعة. وهو يسجل هذه الملاحظة في صيغة اعتراف لا يتوفّر على ما يكفي من الشواهد.

3-7-2

النقطة الثالثة هي ما لاحظه الباحثون من: أن هناك استمرارا في التقاليد الدينية عبر دور العبيد والعصر اللاحق له (شبه الكتابي) وهو أمر له دلالته المهمة. ويورد لإثبات ذلك مثالاً عن جورج رو في كتابه العراق القديم، يقول: «إذا اخترنا مثالاً واحداً فقط من بين عدة أمثلة أخرى فإننا نجد أن الطبقة السميكة من عظام

الأسماك التي وجدت تغطي معابد دور العبيد تقطع بصورة لا تقبل أدنى شك بأن الإله المعبود هناك لم يكن سوى إله الماء السومري إنكي». أرى أن هذا المثال قد فسر خطأً. ولنا أن نتساءل، والحديث يدور حول ما إذا كان السومريون وافدين حقاً على شعب سابق لهم في توطن جنوب بلاد الرافدين، إذا كان من غير المرجح أن شعباً كهذا خاض خضم مستنقعات كهذه وحولها إلى أرض صالحة للتوطّن وروض الفرات، وتمثلت جلّ تجربته في الزراعة النهرية، دون أن يكون قد توصل إلى تحقيق تصور معتقدي شامل عن الكون والحياة، تكون عناصر الطبيعة وظواهرها أهم مرتكزاته؟ الإجابة، انطلاقاً من بداهة كون الدين لازمة اجتماعية ستكون بالنفي طبعاً، ولعله من باب الاستنتاج الأولي أن نقول أن عبادة إله للماء مناظر للإله السومري قد مورست قبل وصول السومريين، تاركة وراءها أفضل شواهدها قبل ظهور الكتابة وتمثيل اللغة مادياً، ألا وهو تلك الطبقة السميكة من عظام الأسماك في معابد دور العبيد. بل أننا قد نذهب إلى أبعد من ذلك دون أن يجانبنا الصواب إذا تصورنا السومريين قد استعاروا عبادة إله الماء، وربما غيره من الآلهة المجسدة لعناصر الطبيعة وظواهرها من ثقافة ومعتقدات الأقوام السابق وجودها عليهم.

لكن السؤال الأكثر حضوراً هنا يتعلّق بما إذا كانت عبادة الإله إنكي قد تطوّرت عن نموذج محلّي سابق لم يتمكّن العراقيون الأوائل من تدوين اسمه، وما إذا كان هذا التطوّر قد عُرف ضمن معتقدات وعبادات شعب واحد عُرف في ما بعد باسم السومريين!؟ إن جدلاً كهذا لا يمكن ان ينتهي إلى يقين، ولعل الإجابة الصحيحة ستكون استنتاجاً أوّلياً يعقب بحث مسألة اللغة السومرية نفسها، ولا يتعلّق ببحث أصل «المشكلة السومرية».

4-7-2

الأمر ينسحب كذلك على الأختام الفخارية الأسطوانية المتطورة بكيفية ما عن الأختام المنبسطة. إذ لا يمكن الركون إلى مجرد فكرة التطور بدعوى التجربة العملية خاصة، وأن التنقيبات قد أوضحت أن الأختام المنبسطة تعود إلى الربع الأخير من الألف السادس قبل الميلاد، في حين سجل أول ظهور للأختام الأسطوانية في دور الوركاء أي في 3300- 3100 ق.م. وهي كما نرى فترة كافية تجعل الشك يحيط بفكرة التطور الطبيعي لصناعة الأختام في فترة شهدت عدداً من المستجدات وسمت دور الوركاء بميسمها، والأولى في هذه الحالة أن نناقش الأمر لا باعتباره يتبع تسلسلاً في مستوى تحسين الشكل والأداء، ولكن باعتبار أن صناعة جديدة قد نشأت في دور الوركاء وأصبحت واحدة من خصائص بلاد الرافدين التي سيتم فيما بعد تصديرها إلى الجهات الأربع المحيطة بها. ولا مندوحة هنا من القول أن السبب في ذلك يعود إلى أن خبرة جديدة انضافت إلى خبرة سكان الفرات السابقين في صناعة واستعمال الأختام هي خبرة السومريين، مع تسليمنا بأن هذه الصناعة كان لها أسلوباً رافدينياً تم تجاوزه. لكن إلى أي مدى يمكننا ربط استخدام الأختام الإسطوانية بما عرف بالمشكلة السومرية. إن الأدوات آخر الأمر ليس لها الأثر نفسه الذي يمكن عدّه للمعتقدات، ونستطيع إلى حد كافٍ الفصل بين استخدام الأدوات والتمثّلات المعتقدية، لنتحدّث عن صلات نشأت بين السومريين وجيرانهم. نستطيع من ناحية ثانية أن نعتبر الختم الاسطواني نتاجاً لظهور عجلة الفخار لاتفاقهما في آليّة الاستخدام، وعلينا عندئذ أن نناقش أثر الختم الاسطواني على التطوّر بشكل أكثر دقّة. إذ لا يمكن مقارن الزمن الذي استغرقه السومريون ليصلوا إلى عجلة الفخار بالزمن الذي استغرقوه ليصلوا إلى الختم الاسطواني، طالما أن الثاني هو نتاج للأولى.

5-7-2

تسلسل هذه الشواهد، إذن، لا يُرجّح أن انقطاعاً حضارياً قد طرأ على جنوب بلاد الرافدين في نهاية دور الوركاء. كما لا يثبت العكس. إننا لا نملك إلا التسليم بتغيّرٍ ما قد لحق بنمط الحياة، كما بالنسبة للسكان، لقد تطوّرت الأدوات، ونشأت الكتابة ودُوّنت اللغة والمعتقدات، ولا يغيّر ذلك من تصوّر ظهور السومريين باعتبارهم الشعب الأصلي – كما أطلقوا على أنفسهم – الذي روّض ذلك المستنقع الكبير وأنشأ الحضارة الأولى التي جعلت التطوّر سياقياً ومضطرداً، حتى بافتراض أن أقواماً أخرى جاورتهم وتمازجت معهم، دون أن نخوض في كيفية ذلك، أكان توطناً أم غزواً ، فالنتيجة تقريباً واحدة. إننا نستطيع – في سبيل وضع تصور متّسق حول سومر وأكد – إحالة هذا التطوّر إلى آليات الحراك الاجتماعي الذي ميّز بلاد الرافدين فأنتج تلك المنظومة اللغوية والمعتقدية وانعكس على أنماط الإنتاج وأساليب الحياة، دون أن ننسى أننا نتحدث عن بيئة ضاربة في القدم إلى درجة تلاشي أصولها في التاريخ بافتقاد المدونات وغياب الشواهد.

8-2 : مناقشة فرضية لاندزبركر

بالنسبة لي، تعتبر هذه المعطيات- الشواهد مدخلاً يُعتمد عليه في بحث ما نسميه، مقتفين في ذلك أثر لاندزبرگر، بالفراتيين الأوائل Pro-Euphurates، أو ما يمكن تسميته المشكلة الفراتية، سوقاً على اتفاق الباحثين على تسمية المشكلة السومرية، وتشمل البحث في أصل الفراتيين الأوائل *وتاريخ* توطنهم جنوب الفرات، و- على الأخص- لغتهم.

إن المدخل الوحيد لذلك هو مدخل لغوي، يتمثّل في تحليل المسرد الذي استخرجه لاندزبرگر والمتكوّن من عشرات الكلمات غير السومرية المتحدرة من

لغة أقدم غير معروفة، وقد رجّحها گِلْب، كما نصّ هالّران على أن أغلبها يعدّ من الكلمات العتيقة archaic، ومنها:

ءِپِنْ	apin	محراث
ءَبْسِنْ	apsin	خط المحراث
ءُتُلْ	utul	راعٍ
ءَدْگُپ	adkup	سلاّل
ءُر	ur	مدينة
ءِشبر	išbar	حائك
ءَشگب	ašgab	اسكافي
ءَشلگ	ašlag	لبّاد
ءِنگر	engar	فلاح
ءُهِنْ	uhin	رُطَب
پَخَرْ	paḫar	فخار
تِبرَ	tibira	نحاس، معدّن
دَمگر	damgar	تاجر
سِبَدْ	sibad	راعٍ
سُلُمپْ	sulumb	تمر
سِمُگْ	simug	حدّاد
شِدِرْتُمْ	šidirtum	حجّار
شِدِمْ	šidim	معمار(ي)
شُهَدَكْ	šuhadak	سمّاك
كَپَر	kapar	معاون راعٍ

كِ	ki	أرض
گِدِمْ	gidim	روح
كُرُشْدَ	kurušda	علاّف
گل	gal	كبير، عظيم
لُ	lu	رجل
مَخَلْدِم	maẖaldim	طباخ
مَلَخ	malaẖ	ملاح
نِرگل	nirgal	نِرگل
نَگَرْ	nagar	نجّار
نُكَرِبْ	nukarib	بستاني
نمبر	nimbar	نخلة

بالإضافة إلى أسماء العديد من المدن والأمكنة، ومنها: بُرَنُنْ buranun الفرات، وءِدِگنا idigna دجلة.

2-8-1 ءَپِنْ apin : محراث

نقرأ تحت مادة أبن: التأبين: اقتفاء الأثر، أن تقفو أثر الشيء. أبّن الأثر: هو أن يقتفره (يقفوه) فلا ينفلت منه.[1]

1- **استطراد**: أبّن الأثر: هو أن يقتفره (يقفوه) فلا ينفلت منه هو شأن الحرّاث. ويصنع المحراث البدائي من عود، وعقدة العود في العربية هي: الأُبنة، وتجمع على أُبن. والاستطراد في «التأويل» هنا يعود على بدئه. فحَرْث الرجل: امرأته. جاء في التنْزيل: نساؤكم حرث لكم. أي فيهن تحرثون الولد، كما يروي ابن منظور، أي يكون ولد الرجل من امرأته، كأنه يحرث ليزرع. والولد هو الإبن للمذكر، والإبنة للمؤنث. فكأن ءَپِن السومرية قد صوَّرت هذه العلاقة منذ آلاف السنين.

2-8-2 ءَپِسِن apsin : خطّ المحراث

- ابن منظور: البآسنة: اسم لآلات الصنّاع. وقيل: سكّة الحرث. الأكدية *abšinnu*.

- (ب ← ف)، السّفَن: الفأس العظيمة، السافنة (ج. سوافن): الريح تسفن وجه الأرض كأنها تمسحه.

3-8-2 ءُتُل utul : راعٍ

- العَتَلة: العصا الضخمة. العتل: الدفع والإرهاق بالـسَّوْق العنيـف. العتيـل: الخادم والأجير. أخذ بزمام الناقة فعتلها إذا قادها قوداً عنيفاً. (ء ← ع).

- أثّـَل: كثُر ماله. الأثال: المال، أثّل ماله: أصّله. تأثّل مالاً: اكتسبه واتخذه وثمّره. مال أثيل: أصيل. وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم. وكان مال العرب الخيل والإبل والغنم والبقر. (ت ← ث).

4-8-2 ءَدكُپْ $ad\text{-}kup_5$: سلاّل

الدَّجُوب: الوعاء، الغرارة، السلّة، القفّة. الأكدية *atkuppu*.

5-8-2 ءِدِگنَا digna : نهر دجلة

ورد الإسم في النصوص المسمارية على شكل ءِدِگنَ idigna، ويسود اتفاق بين الأثاريين واللغويين على أنه ينتمي إلى اللغة المجهولة نفسها، وهي من المفردات العتيقة[1]، ويتكون في السومرية من: ída ، íd (نهر) + i (سابقة فعليّة) + ĝin (ذهب، مضى) + a (محدّد اسمي nominative)، أي: (النهر الذي مضى، أو

1- هالّران، 25.

النهر السريع). أما في الأكدّية فقد أخذت الكلمة شكل ءِدِگْلَتْ idiglat (ن ← ل + ت)، التي ستتحول إلى العربية دجلة.

وحرف الجيم في الأخيرة هو صوت معطش مجهور، إلاّ أن مقارنة اللغات الأفروآسيوية تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت كان بغير تعطيش، كلمة جَمَل في العربية الفصحى مثلاً هي گَمَلْ *gamal* في العبرية، وگَمْلَ *gamla* في الأرامية، وگَمَلْ *gamal* في الحبشية[1]، وفي لهجات العربية الحالية شهد هذا الحرف تحوّلاً أفقده كل أثر للرّخاوة (التعطيش) كما في القاهرة وعدن، كما أنه مازال يلفظ معطشاً في البلدان المغاربية وفي نجد والحجاز والعراق وحلب، وتحوّل إلى التعطيش الشديد كما في لبنان ودمشق.

ولاستدعاء الجذرين دگن، دگل إلى العربية، نمرّ إلى هذه الجذور الثلاثية: دقل، دكل، دكن، وهي ذوات حيوز متقاربة. ولننظر أولاً في دجل.

- إن جذر دجلة المباشر يؤدي معنى: غطّى، ومنه دجلة التي علّل الشارح تسميتها قائلاً: لأنها غطّت الأرض بمائها حين فاضت.

- **دقل**، دوقلت الجرّة: نوَّطتها بيدي.

- **دكل**، الدَّكَلَة: (بالتحريك) الطين الدقيق. دكل الطين: جمعه ليطيّن به.

- **دكن**، الدَّكْن والدَّكَن: لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد. الدّكن والدّكل: واحدُ. اللون فيه دُكنة. دكن المتاع: نضّد بعضه على بعض. وقيل: مشتق من الدّكّاء: الأرض المنبسطة.

ولنا أن نركّز من هذه المعاني على ما يتصل باسم دجلة تحديداً، أما بشكل عام

1- عبد التواب، 221.

فإن المفردات جميعها تؤدي معنى واحداً هو من الطين وإليه: لونه وعمله وما إلى ذلك. إن دكن: نضّد بعضاً على بعض، يمثّل بالتأكيد حركة النهر يحسو الطمي من الأعالي ويدكنه أسفل الحوض، ينتج بذلك الدّكّاء وهي الأرض المنبسطة التي يختص بها الحوض الكبير لنهري دجلة والفرات. وهو ما يتأكد بالنظر في الجذر المباشر للدّكاء.

2-8-6 ءُرْ ur : مدينة

نشأت مدينة أُور (ءُرْ ʾur) منذ الألف السابعة قبل الميلاد، وقد استخدم السومريون، والأكديون من بعدهم، اسم هذه المدينة بمعنى عام هو قرية أو مدينة. على أن الاصطلاح السومري والأكدي «لم يفرق بين القرية والمدينة، حيث أطلقت كلمتا: أُورو (ءُرُو ʾuru) السومرية وآلو (ءَلُ ʾalo) الأكدية لتشملا كل مستوطن دائمي يحتوي على بيوت مشيدة من لبن أو أكواخ» [1]. وقد استقرت الدلالة العامة للكلمتين على معنى: مستوطنة أكبر مما يجاورها ويحيط بها من مستوطنات، وأصبحت مع التطور مركزاً دينياً ودنيوياً يحتوي على المعابد والمقر الملكي (القصر) ومرافق الحياة اليومية المختلفة. [2]

وتعتبر «ءُرْ» واحدة من أشهر الكلمات التي انتشرت في معظم اللغات الأفروآسيوية القديمة، مع إضافات وتحويرات صوتية من مكان إلى آخر، وهي من أقدم الكلمات السومرية، التي أطلقها السومريون على مدائنهم، وكما استوطنوا «ءُرْ» فقد جعلوا منها عاصمة لهم. وهي في الأكدية أوروم (ءُرُمْ *urum*)، وفي

1- ص 288.

2- أصبح السور فيما بعد هو الحّد الفاصل بين المدينة والقرية، كما أصبحت كلمة «أورو» تؤدي معنى مشابهاً لكلمة «بولس» polis اليونانية، وإن لم تكن الثانية مسوَّرة بالضرورة. وقد تألفت المدينة السومرية بشكل عام من (1) مركز المدينة (2) الضاحية (3) الميناء.

العربية الجنوبية إرام، إرَم (ءِرَمْ *iram*)، وفي العبرية عير (عِرْ *ir*ʾ) و(جِرُ ، يَرُ *jeru*). ويقابلها د. خشيم مع السبئية حور (حُرْ *ḥur*) والحبشية حورا (حُرَ *ḥura*) والهكسوسية هور (هُرْ *hur*)، عن الأصل الأقدم «ءُرْ».

مرت «ءُرْ» في اللغات الأفروآسيوية بتحويرين أساسيين حسب اختلاف الزمان والمكان والأقوام هما: الإضافة على آخرها (حرفا الكاف والميم) وإبدال أولها (حرفا الهاء والحاء)، وكانت بالرغم من الإبدال والزيادة والتطور تؤدي نفس الدلالة: «المدينة الرئيسية التي تحيط بها مدن وقرى وأطراف وضواح»؛ أي بمعنى ما نرمي إليه في الوقت الحاضر بكلمة العاصمة، أو بمثل ما كان العرب الحجازيون يعنونه من وراء كلمة المدينة، التي خُصصت علماً للدلالة على يثرب، ومرّ وقت طويل بعد الهجرة إليها أُهمل فيه معناها العام، والأمر كذلك بالنسبة إلى العرب الجنوبيين الذين وجدت في لغتهم كلمة: هجر (بإضافة أداة التعريف الجنوبية على الاسم)، بمعنى مدينة ثم خصصت لقرى ومدن بعينها علماً لها، ومن أمثلتها هجر نجران وهجر جازان وهجر البحرين، مع الاحتفاظ بالمعنى العام لها وهو: مدينة.

2-8-7 بُرَنُن buranun : نهر الفرات

بُرَنُنْ (وتلفظ أيضاً بُرُنُنَّ burununna)، وهي تتكون من ثلاثة مقاطع : bu دفْق ، ra فيضان ، nun عظيم. انتقلت إلى الأكدية على هيئة بُرَتِ purati أو بُـرَتُم puratum،[1] ومنها كان: الفرات، وثُنّي فكان الفراتين: دجلة والفرات، وعُمّم فكان: الماء شديد العذوبة، وفي التنْزيل: «هذا عذبٌ فُرات».

1- سليمان، م.س، 372.

2-8-8 لُگَلْ lugal **: ملك (= رجل عظيم)**

گل gal + **لُ** lu

من المعروف أن السومرية هي لغة إلصاقية. والإلصاق هو ضمٌّ (لصْق) مقطع أو أكثر يتفرّد كل واحد بمعناه، إلى بعضهما البعض، لتكوين كلمة واحدة (مقطع مركّب) يؤدي معنى جديداً. مثل:لُ lu بمعنى: رجل، وگَلْ gal بمعنى: كبير، عظيم، يؤدي ضمّهما (لصقهما) معاً إلى تكوين كلمة ثالثة هي لُگَلْ أي: رجل عظيم، وتُقرأ باعتبارها كلمة واحدة لا اثنتين، ويفيد الإصطلاح عليها معنى: ملك.

نتساءل في هذا المثال: هل تمتّ lu وgal إلى تلك اللغة الافتراضية (لغة الفراتيين الأوائل)، حسب لاندزبرگر، بصلة؟ لا نستطيع ترجيح أن الضميمة (المقطع المركّب) lu-gal بمعناه الأخير قد ساد استعمالها قبل السومريين، ولكن من المؤكد أن كلمات أخرى قد ظهرت لتمييز الزعماء والرؤساء، في كل وقت، منذ أن انتقلت الجماعات البشرية من مرحلة المشاعات البدائية لتؤسس مجتمعات أكثر استقراراً وتنظيماً. أما الملكيّة، فكما هو معروف، فهي متطورة عن أنظمة الكهانة، ولا يمكن تصوّر الفصل بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية، في أوقات مبكّرة كهذه، فالملك والكاهن كانا واحداً، والمكليّة السومرية نزلت من السماء بأدواتها وشاراتها وألقاب ملوكها.

- **لُ** lu

هي الأكدية *awīlu*، العربية أَلْوَى *'alwā* : الرجل المعتزل أو الفرد، ج: أَلْوُون. وهناك كلمة أخرى تؤدي نفس المعنى هي: آل *'āl*. الآلُ: الرجل. ويكاد المعنى

ينصرف الآن إلى آل الرجل بمعنى: أهله وذويه.[1]

- **گَلْ gal** (گ ← ج، ق، ك).

- **ج ل ل**. جلّ: عَظُم، الجلل: الشيء العظيم، الجلّي: الأمر العظيم، الجلّ والجليل والجُلال: العظيم، الأجل: الأعظم، ومن مضاعفها جلجل: الجلجلة: شدة الصوت والحركة، المجلجل: السيد القوي.

- **ج أ ل**. الجيأل: الضخم من كل شيء.

- **ج ي ل**. الجَيْلان والجِيلان: فَعَلَة الملوك.

- **ق ا ل**. القُلي: رؤوس الجبال وهامات الرجال، اقلولى: علا وأشرف.

- **ق ل ل**. قلة كل شيء: رأسه وأعلاه، القلّة: أعلى الجبل.

- **ق و ل**. المقول: الملك (بلغة حمير)، ج: أقوال.

- **ق ي ل**. القيل: الملك، ج: أقيال.

- **ك ل ل**. كلّل: علا، كلّله: لم يطعه، الإكليل: التاج، التكليل: رفْع البناء.

إلا أننا نستطيع من ناحية ثانية اعتبار لُگَلْ انما انتقلت كما هي إلى العربية رجُل بإبدال اللام راء، والگاف جيماً .

2-8-9 ءِرِشْكِگَلْ ereškigal

ءِرِشْكِگَلْ هي إلهة الموت في ميثولوجيا بلاد الرافدين، وقد تركزت عبادتها إلى جانب زوجها نْرِگَلْ في مدينة كوثي، وهي تل ابراهيم الحالية الواقعة إلى الجنوب

1- ترد كلمة *lullū* في أسطورة الطوفان البابلية، وتعني «الانسان الأول» الذي خلقته الآلهة، وهي تتكون من مقطعين سومريين: lu-ulu أي: «الإنسان البعيد».

من بغداد بنحو 50 ميلاً. و ءِرِشْكِگَل حسب برِنْتِس أيضاً من الآلهة التي استعارها السومريون من الشعوب السابقة لهم في توطّن جنوب دجلة والفرات.

فُسّر اسم ءِرِشْكِگَل على أساس تكوّنه من ثلاثة مقاطع:

- ءرش ereš (سيدة، ملكة) + كِ ki (أرض) + گل gal (عظيم).

أي: سيدة الأرض العظيمة. والأرض العظيمة في الميثولوجيا السومرية هي العالم السفلي.

- **ءرش** : انتقلت إلى الأكدية بنفس اللفظ، ونعثر عليها في العربية في إرس، (ش← س). الإرْس: الأصل، الإرّيس: الأمير وهو الرئيس. والكبير الذي يمتثل أمره ويطاع. وبقلبها مكانياً هي رأس، الرأس: السيد ومنه الرئيس المقدّم.

- **كِ** ki: (ع) **قي** *qi* : أرض ، **گلْ** gal = (ع) **جل** *jal* : **عظيم** (را. مادة **لُگلْ**).

إن ءِرِشْكِگَل حرفياً هي العربية المهجورة: «ءِرِسْ قِي جَل»، أي: سيدة الأرض العظيمة.

2-8-10 ءَشْگَبْ ašgab : إسكافي

عبرت «ءَشْگَبْ» إلى العربية على شكل «أسكب» بتعاقب حرفي السين والكاف مع الشين والگاف. والأسكب لغة في الأسكف، وهو الإسكاف، والشائع هو الإسكافي بإضافة ياء النسبة، وقد سمته العرب الخفّاف أو الحذّاء. وفي اللسان: الإسكاف مصدر السِّكافة، ولا فعل له. ووجود مصدر لافعل له حالة نادرة في العربية، وربما بسبب هذا أناب المعجم عن هذه الكلمة كلمة أخرى هي: كسف بقلب سكف. كَسَف: قَطَع، الكسفة: القطعة. إلى آخر اشتقاقاتها التي تشمل اشتقاقات سكف بإستثناء الإسكاف التي نجدها متحولة إلى الإسكاب (م: سكب)

بإبدال الفاء باءً، ولقُربها أكثر من ءشگب أعتقد أن الأصل في اسكاف هو اسكاب، لا العكس. وبالعودة إلى الأصل ءشگب يمكننا بإبدال حروفه أن نجد عدة كلمات أخرى متوافقة المعنى، منها: سقب، سكب، سكف، شجب، شكب. (گ ← ج، ق، ك، ش ← س، ب ← ف).

2-8-11 ءِگَّرْ eggar : فلاح

الأكّار: الحرّاث، الزرّاع، ج. أَكَرَة. أكَرَ: حَفَر، المؤاكرة: المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الأرض.

2-8-12 تِبِرَ tibira نحاس أو تعدين

التِّبر: الذهب كلّه، وقيل هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض من النحاس والصّفر والشَّبَه وغيره مما استخرج من المعدن قبل أن يصاغ ويستعمل.

- مقارنة:

في حين انتقلت تِبِرَ إلى العربية ثلاثيةً كاملة، فإنها تكررت في معظم اللغات القديمة في مقطع أساسي هو: بر br.

ففي السومرية: بَر bar: معدن (لامع)، حديد. ومنها زبر zabar: البرونز. وفي المصرية بر *bir*: نحاس. وفي الأكدية والكنعانية: بر *bar*: معدن، حديد[1]. أما البرونز فقد سماه الكنعانيون الأوغاريتيون: تِلْت *tlt* (= ثلث) لتركبه من ثلاثة عناصر هي النحاس والقصدير والرصاص[2]. وأما السومرية: زبر zabar، فقد عادت إلى العربية من خلال: زبر الحديد (سورة الكهف، آية: 96)، أي قطع الحديد

1- خشيم، آلهة. ص 758، 759.

2- إ. ش. شيفمان، ثقافة اوغاريت، الأبجدية للنشر، دمشق، ط1، 1988، ص14.

وجُعل مفردها زُبْرَة. وقُلب جذرها إلى برز، فجعلوا منه الإبريز أي الذهب الخالص، إلا أن الأقرب إلى إبريز العربية هي السومرية: ebrizum.

2-8-13 سِباد sibad **: راع**

السَّبَد: ما يطلع من رؤوس النبات قبل أن ينشر، والجمع أسباد، والسبد أيضاً: بقايا النبات. وأسبد النَّصيُّ إسباداً، وتسبد تسبداً: إذا نبت منه شيء حديث فيما قَدُم منه. والإسباد الإنبات. وعلى ذلك يكون اسم الفاعل منه: سبّاد أي مزارع أو أكّار.

2-8-14 گِدِم gidim **: روح (شبح، عفريت)**

كلمة گِدِم gidim تعني إما ولوج الظلام (gi_6: أسود + dim_4: وصلَ)، أو الأصابة بمس من الشيطان (النفس، الروح الشريرة)، (gig: مرضَ + dim: روح أو شيطان أو عفريت المرض).

وثمة إشارات إلى غموض أصل الكلمة، إذ لايُعرف متى ظهرت ولا كيف بدأ استعمالها. إلاّ أن الكلمة خصّص استعمالها مقابلاً للأكدية ءِطِمٌّ *etemmu*، لتعني: روح أو شبح الميت.

في التقليد الجاهلي العربي لم يتم التمييز بين الرّوح والنّفْس، على النحو الذي نلحظه في الأثر الإسلامي التالي. فالكلمة نَفْس تدل على عدة معانٍ أوليةٍ منها: الروح: .. «خرجت نفسه، فاضت»، الرّوع: «في نفسي أن أفعل»، الذات: «قتل نفسه»، الشبه: «الأمر نفسه»، الأخ: «سلّموا على أنفسكم».

والنَّفْس مجردةً: من النَّفَس، التنفّس، ويقابلها نپشْتُ *napištu* الأكدية، ونَپَش napaš الأوگاريتية ونِفِشْ *nefeš* العبرية، ونَفْشَ *nafša* الإرَمية. وكلها تجمع بين

النَّفْس والنَّفَس. فإذا سكنت وهدأ روعها بعد مغادرتها الجسد فهي أقرب إلى الرّوح في العربية، وإذا لم يتسع لها عالم الأموات تحوّلت إلى شبح، كما في العربية الحالية، قد يكون شريراً وقد يكون طيباً وفقاً للأحداث التي مرّت بالإنسان خاصةً أثناء الموت.

لكن العرب لم تعرف هذا المعنى في شبح، وإنما في الهامة، وهي في الآثار القديمة **شَبَهُ** الإنسان في ملامح وجهه (شَبَح *šabaḥ* ← شَبَه *šabah*)، ويغطي جسمها الريش الذي يمكّنها من الطيران، بعد أن تتخلّق من الرفات على شكل دودة كبيرة يظهر لها جناحان ويأخذ رأسها هيئة رأس الميت ووجهه. إلاّ أن هذا التصوّر الجاهلي أصابه بعض التغيير بعد الاسلام، يقول المسعودي: أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان، فإذا مات أو قُتل لم يزل مطيفاً به متصوراً إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً، وهذا الطائر يسمونه الهام، وواحداته هامة، لكن الجاهليّين رأوا في الهامة علامة على القتل الذي تظهر بعده، لا الموت، ولأنها تطوف بهم صائحة: اسقوني.. اسقوني ، فقد حلّوا هذا الإزعاج المتواصل بالأخذ بثأر القتيل تهدئة له وصرفاً لهامته. ويبدو واضحاً أن الأصل في هذه الأسطورة هو الاسم السومري للطائر سگونو سگونو saggunu-saggunu.[1]

وكما يبدو فإن هذا التصوّر قديم قِدَم النشأة، نراه في ملحمة گلگمش على لسان ءَنكِدو (أنكيدو) وهو يشتكي: لقد بدّل [مخلوق ظلامي] هيئتي فصارت يداي مثل جناحي طائر مكسوتين بالريش أمسك بي وقادني إلى دار الظّلمة. وكذلك: هم مكسوون كالطير بأجنحة الريش ويعيشون في ظلام لا يرون النور، وقد أنتقل هذا التصوّر إلى المصريين الذين اعتقدوا كذلك أن أرواح الموتى مكسوة

1- را. المعجم الاشتقاقي: المادة.

بالريش ولها وجه بشري، وإلى الإغريق الذين جعلوا الروح على هيئة إنسان مجنّح يقوده الإله هرمز إلى مملكة الأموات.[1]

وكان للشبح كما عرفه السومريون باسم گِدِم، أو كما عرفه الأكديون باسم ءِطِمٌّ عدة أشكال وطرق يظهر بها، منها:

- أشباح الآلهة، گِدِم الإله ءِنْمنْشَر (اينمشار) يواصل الصراخ: إنه يحرقني.. إنه يحرقني (لنقابل ذلك بصياح الهامة: اسقوني.. اسقوني)، وگِدِم ءِنْلِلْ كان حمار الوحش، وگِدِم آن كان الذئب. وگِدِم تِيَامَه كان الجمل.

- الأشباح الشّريرة، وهي أقرب إلى الشياطين، أو الجِن، وتمارس دوراً شريراً ولاسيما في حالة عدم دفن الجسد، وقد ورد في أحد النصوص الأكدية: «إن يد ءِطِمٌّ الغريب أمسكته في البرّية».[2]

- الأشباح العادية، أو الأرواح المجنّحة التي تسكن العالم السفلي.

لقد كان هذا التمهيد ضرورياً لتحليل كلمة گِدِم إذ لا نعثر في المعجم العربي على المعنى مجسداً في لفظة واحدة بمعنى واحد، ولكنه توزّع على معاني الجذر الثلاثي: كدم، فأخذ كل اشتقاق معنىً ممّا مرّ بنا في التمهيد.

ك د م

الكدم والكُدامة: بقية كل شيء. الكُدم: من أحناش الأرض. الكدام: ريح يأخذ الإنسان في بعض جسده فيسخنون خرقة ثم يضعونها على المكان الذي يشتكي. الكَدَمة: الحركة. ويقال للرجل إذا طلب حاجة لايُطلب مثلها: لقد

1- را. نائل حنون، م. س. 111.

2- م. س. ص 109.

كَدَمْتَ في غير مَكْدَمٍ، أي طلبت غير مطلب. أو أطلب مستحيلاً.

وكما نلاحظ فإن العناصر الأولية المكونة لگِدِم وصفاتها تعبر عنها حرفياً مشتقات كدم، ويبدو أن الكلمة الأولى في مرحلة ما من انتقالها من مستوى الحسّي إلى مستوى المجرّد، أو من التشيئ إلى التخييل، أخذت معنى الهامة (النفس المجنّحة، الروح،...) واستقرّ جذرها في المعجم العربي على أساس عناصره الحسية الأولى المكونة له، أو لنذهب مباشرة إلى أن هذه العناصر كما ينصّ عليها المعجم شكلت في شمال الصحراء دلالتها التخييلية المجرّدة في حين أن هذه الدلالة أخذت اسماً آخر في وسط وجنوب الصحراء هو الهامة. والاحتمالان منطقيان جداً. ونعود فنقابل كل كلمة بصفة من صفات گِدِم.

الكُدم: (الكدامة) بقية الميت= گِدِم.

الكَدَم: من أحناش الأرض= الدودة الكبيرة الطائرة من الرفات= الگِدِم الطائرة من الرفات بجناحين.

الكدمة: الحركة= حركة الگِدِم وطيرانها المتواصل بين عالم الأموات وعالم الأحياء. وجاء في رؤيا الأمير الأشوري «كَمَيَا» عن العالم الأسفل: «وكان لنعير الشر رأس طير وكانت أجنحته مبسوطة وهو يطير ذهاباً وإياباً».[1]

مَكْدَم: في غير مطلب= مستحيل، والهامة (الگِدِم) والعنقاء (الفينيق) والصدى من مستحيلات العرب.

الكدام: ريح يأخذ الإنسان، ولنا أن نقابل ذلك بالنَّفَس الذي ينطلق في شكل إطمٌ أو گِدِم أو نَفْسٍ أو روحٍ.

1- م.س. 336.

ومثلما رأينا في تطابق النَّفْس والنَّفَس في اللغات الأفروآسيوية القديمة، فإن الروح في العربية من الرّيح: الرُّوح، بالضم، في كلام العرب: النَّفخ، سمّي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح، ومنه الرَّوح والراحة والترويح والرّواح.

أما الشبح في العربية فهو ما بدا لك شخصه من الناس، والمعنى قريب من الشَبه، واعتقد أن الشخص هو شَبَح بمعنى شَبَه إذا بدا، فإذا تبينته فهو من تعرف أو من لا تعرف، أي لا يقع التمييز في رؤية الشبح ولكن يُستدلّ به. والكلمتان في كل الأحوال من أصل واحد هو شبّ : ظهر، بدا، كما أن الحاء والهاء من حيّز واحد. ولعلّ هذا هو ما جعل كلمة شبح تختصّ في العربية الحالية بالمعنى القديم للهامة أو الگِدِم، التي هي أول الأمر وآخره شبه الإنسان أو شبيهته.

واستتباعاً لقاعدة تحوّل حرف گ إلى ق كما مرّ، نرى في القِدَم صفة أخرى لگِدِم، وهي العتق: نقيض الحدوث، تماماً مثل النفس (الروح) لا تكون حادثةً على الجسد طارئة عليه، ولكنها أصلٌ منه، أو هو أصل منها، جاآ سوياً، فيندثر هو وتغادر هي، فهي أبقى منه.

ونقارب بين ءِطمُّ الأكدية والعربية طما. يقال طما الماء طُمُوّا ويطمى طُمِياً: ارتفع وعلا وغمر النهر وملأه، فهو طامٍ، ومثله طمّ الماء يطمّ طمّا. والطّامة: القيامة، ويقال للطائر إذا وقع على غصن قد طمّم. والإطمّ الأكدي كائن مكسوّ ريشاً على شكل الطائر، يأكل التراب أو الطمي.

مقارنة: يمكن مقابلة گِدِم بكلمة «كَ» ka الأساسية في الديانة المصرية القديمة، ورمزها الهيروغليفي يدان مرفوعتان، وهي تولد مع الإنسان وتبقى بعده حين يموت، وتُظهر صور كثيرة للإله خنم *ẖnm* وهو يشكّل وليداً مع كَهُ (روحهُ) على

عجلة فخاريّة،[1] ونقارن صفات گِدم بصفات «كَ» فنجد:

1- الرمز (يدان مرفوعتان): الطيران، الروح الطائرة، كذلك: «يَدا إطمٌ أمسكتني».

2- تولد مع الإنسان وتبقى معه.

3- الخلق من فخّار: (را. بَخَر*)، وقد شبّه الموت كذلك بتحطّم الفخار: «سقَطَ على الأرض كإناء محطم»، أي مات.

هذا بالإضافة إلى حرفي البداية في الكلمتين «گ» و «كَ» ، ويشير خشيم[2] إلى أن الأصل في دلالة «كَ» هو القوة الذكورية، (وهي ما نقارنه بالسومرية: gi «گِ»)، ومن هنا شبهها الصوتي بـ «كَ» بمعنى ثور، التي نجدها عند بدج على شكل «گ» [3] بنفس المعنى.

2-8-15 مخَلْدِم mẖaldim : طباخ

تتكون من المقاطع الجذرية التالية : mu طحنَ، ẖal قسّمَ، dim شكّلَ، أعدَّ. ويبدو الجذر: خلد بعيداً عن الطبخ وما إليه. إلاّ أننا نجد الخوالد: الأثافي في مواضعها. والأثافي جمع أثفية وهي الحجر الذي توضع عليه القدر للطبخ، والإضافة: في مواضعها، إشارة إلى عملية الطبخ نفسها، فهي مالم تكن كذلك لكانت مجرّد حجارة فقط. وفي اللسان قال الجوهري: قيل لأثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال. ولكن معاني الجذر «خلد» وجميعها تقريباً تفيد

1- آلهة. 487.

2- م.س. 490.

3- EL، 99.

البقاء والإقامة، إنما صارت إلى ما هي عليه نسبة إلى الخوالد عندما صير إلى تجريد جذرها، وقِدم وجودها في السومرية يدل على ذلك، مع أنهم عرفوا مقابلات أخرى للخلد والخلود غير منسوبة إلى الطّهاة والطبّاخين. وتجب الإشارة إلى أن العرب لم يعرفوا مفرداً لكلمة خوالد هذه. أما في الأكدية فهي: *nuhatimu*.

16-8-2 نُكِرَبْ nukarib : بستاني.

كرب الأرض كرباً وكراباً: قلبها للحرث وأثارها للزرع. (راجع مقدمة الفصل الخامس: نون البداية.. أداة نفي سومرية في اللغة العربية)، وهي الأكدية: *nukaribu* : بستاني، مزارع يتعهّد النخيل.

**

إن قراءة وتحليل كلمات هذا المسرد تثبت أنها مفردات عربية قديمة هُجر استعمالها، كما تثبت أن الفرضية الأساسية التي تشكّل مبدأ هذا الكتاب وهي توطن المقاطع السومرية المفردة والمثناة في الجذور العربية تنطبق على هذه الكلمات، بل نجد بعضها كما هو من حيث بنائه الجذري، باستثناء طُفافة في صواتة حروفه، وما كان وصف هذه الكلمات باللغة المجهولة ليستمرّ لو أنّ الباحثين بادروا إلى مقارنتها بالمعجم العربي.

الفصل الثالث

السومرية واللغات الأفروآسيوية

«علّم آدم الأسماء كلّها. قيل: علّم آدم جميع الأسماء بجميع اللغات، العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم .. يتكلم بها، ثمّ أن ولده تفرقوا في الدنيا وعلق كلّ منهم بلغة من تلك اللغات، ثم ضلّت عنه ما سواها لبُعد عهدهم بها».

ابن منظور- اللسان

3-1 : هجرة اللغات الأفروآسيوية

تنتشر سلسلة اللغات الأفروآسيوية حصراً من جنوب إلى شمال الجزيرة العربية وشرق المتوسط وساحل شمال أفريقيا والصحراء الكبرى، وهي تجمع الكثير من الضمائم،[1] وتشترك في الكثير من السمات التي تُفصح عن قرابتها المعجمية والصرفية والصوتية، وتدلّ على «وحدة داخلية واضحة».[2]

- **الضميمة العربية (الجزرية)**[3]: وتشمل: الشمالية الشرقية: الأكدية، الآشورية، البابلية. الشمالية الغربية: العمورية، الأوگاريتية، الكنعانيات (الفينيقية، البونيقية [الكنعانية الليبية]، العبرية، المؤابية، الأدومية). الآرامية العتيقة، الآرامية الكلاسيكية [أو الامبراطورية]، الآرامية الغربية (النبطية، التدمرية، الفلسطينية- اليهودية، السامرية، آراميّة العصر الحالي)، الآرامية الشرقية (السريانية، المندائية، آرامية الأشوريين في العصر الحالي). الجنوبية الغربية: العربية الجنوبية العتيقة (السبئية، المعينية، القتبانية، الحضرمية، الأوسانية)، الفصحى، السُّقُطرية، والمهرية، الشحريّة، المالطية، اللهجات المعاصرة.

- **الضميمة المصرية:** المصرية القديمة بمراحلها، وسليلتها القبطية.

- **الضميمة الليبية القديمة [الأمازيغية]:** التارگية، الشاوية، الشلحية، القبائلية

1- لعل في اختيار كلمة ضميمة ما يغني عن استخدام كلمة أسرة، التي لا تحضى بالاتفاق بين الباحثين، ومنهم ديفيد دالبي الذي يقول أنها تتضمن ترتيب بنوة ذات طابع بيولوجي [تسلسلي] لا يمثل ظاهرة [انتشار وتحول] اللغة، وهو يقترح في مقابلها اصطلاح «التآلفات الكبرى» ما نعتقد أن كلمة ضميمة تفي به على اختصارها. انظر: خريطة لغوية لأفريقيا، ضمن تاريخ أفريقيا العام، م 1، الفصل 12، القسم 2.

2- موسكاتي، ص13.

3- نسبة إلى شبه الجزيرة العربية التي تشكل مجالاً تاريخياً وجغرافياً لانتشار هذه اللغات.

[الجبالية]، المزابية.

- **الضميمة التشادية:** وتضم لغات تنتشر الآن بين التشاد والنيجيريا والكاميرون، أشهرها لغة الحوسا والسواحيليّة. ولغات أخرى في جنوب الصحراء الكبرى.

- **الضميمة الكوشيّة:** وهي ضميمة تشمل حسب ج.ه. غرينبيرغ، خمسة فروع قوية التميّز: الشمالي: ويشمل البجة (شمال السودان)، الأوسط: ويضم لهجات أكاو، والأصل الأقدم لها لغة الفلاشا الأثيوبيين، الشرقي: ويشمل شعبتين، شمالية وجنوبية، الجنوبي: وهو أكبر فروع هذه الضميمة، ويشمل الصومالية ولهجات أخرى متوزعة في تنـزانيا، ولغات هذا الفرع أقرب إلى الفرع الشرقي من بقية الفروع، ثم الغربي: وهو الأكثر تميّزاً بين فروع الكوشية، وقد اقترح البعض اعتباره ضميمة سادسة في الأفروآسيويات، وهذا الفع ينقسم بدوره إلى مجموعتين منفصلتين.

- **الضميمة الحبشيّة:** (لغات أثيوبيا الجنوبية الغربية وجنوب السودان): الجعزية، الأمهرية، الأرگُبّة، التگرينية، التگريّة، الحَرَرَيّة، الگَفَت (شبه منقرضة). لغات الشمال: ماو، ديزي: (ديزي، نايي وشيكو). لغات گونگا (بورو وانفيلو). وگيموجان: (جانجيرو، گيميرا أي بينتْش، أوميتو، ولايتّا، زايسي وباسكيتّو، وهي الأقل شبهاً بالأفروآسيويات، وكانت تعدّ في التصنيف القديم جزءاً من الكوشيات).

1-1-3

وقد حلّ الاصطلاح «آفرو- آسيوي» Afro-Asiatic بديلاً عن «السامي- الحامي» Hamito-Semitic الذي ساد لفترة من الزمن غير قصيرة، للتعبير عن

السمات المشتركة بين اللغات «السامية» و«الحامية» (Cohen)، خاصة بعد سلسلة من الدراسات أكّدت الصلات بين الأكديّة والجعزية، وبين الأكديّة والليبية القديمة (Rössler)، والأكدية والمصريّة، وكان أشهر هذه الحلقات النتائج التي انتهت إليها دراسات علي فهمي خشيم حول الصلات المعجمية والصورفيّة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية، والتي استعادت – بمنهجية مختلفة – الأثر المفقود لأحمد كمال باشا؛ كما أن سلسلة أخرى من الدراسات تقدّم حججاً دالة على القرابة اللسانية المصرية القديمة واللغات الأفريقية المعاصرة.[1]

أما الاصطلاحين «سامي» و«حامي» فلم يعودا الآن سوى جزء من تاريخ البحث عن مسميات تصنيفيّة مناسبة تمثّل التنوع اللغوي في غرب آسيا وشرق أفريقيا وشمالها. خاصةً أنهما يستندان إلى مرجعيّة بعيدة كلّ البعد عن الفهم العلمي لهذا التنوّع، ويُعمّمان بالإضافة إلى ذلك صفات أنثروبولوجية مستمدّة من التقسيم التوراتي للأجناس، ولا معنى لها في الواقع.[2]

وبالرغم من أن اصطلاح أفروآسيوي جغرافيّ في الأساس، إلا أنه يستوعب

1- انظر إشارة ج. غرينبيرغ في تاريخ أفريقيا العام، الفصل 12، القسم 1.

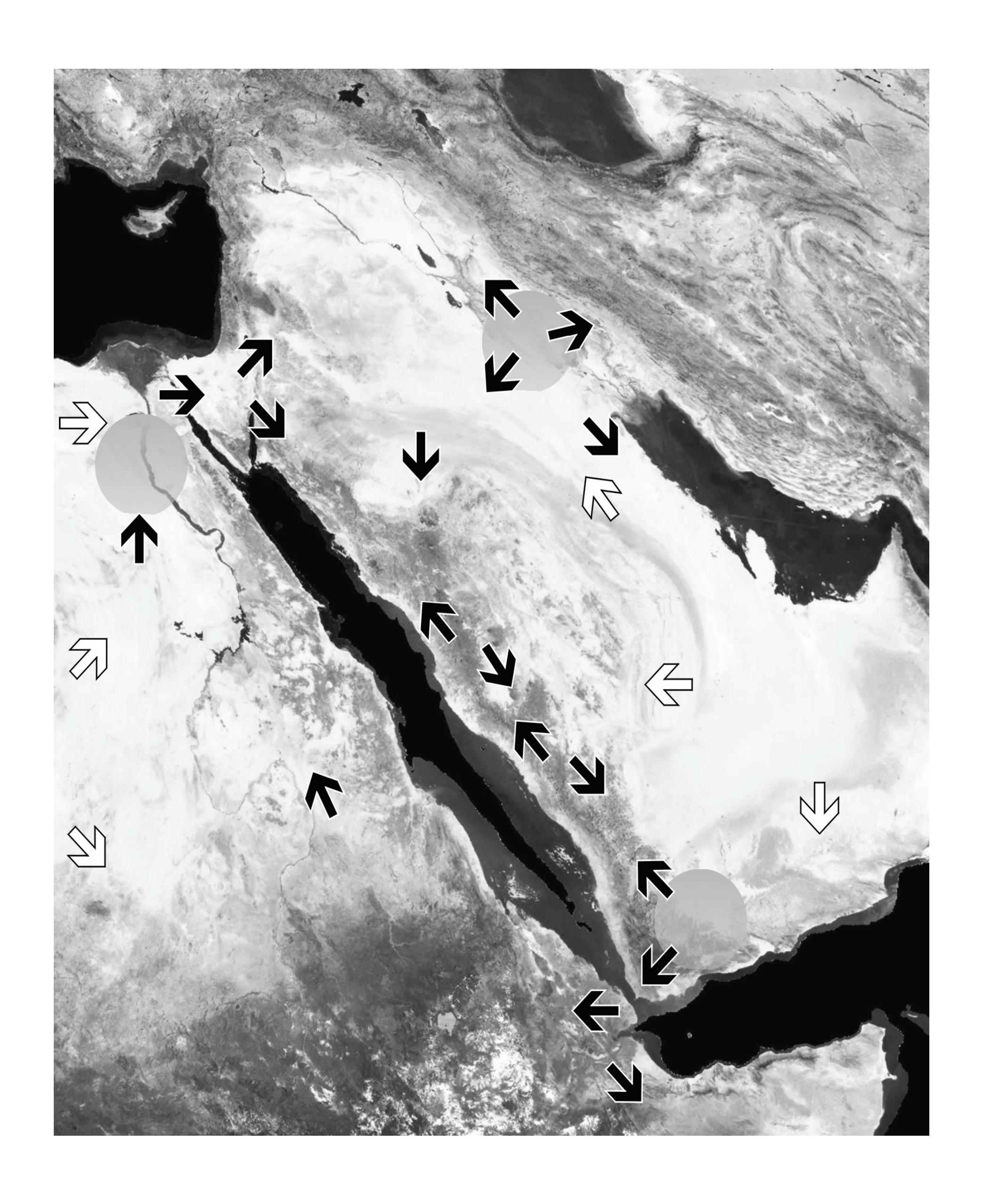
2- كان شلوتسر A. L. Schlozer هو أول من أطلق صفة السامية على اللغات التي يتكلم بها الآراميون والعبريون والعرب وأقوام أخرى بناء على ما جاء في سفر التكوين [الإصحاح العاشر]، وقد كانت السمات المشتركة بين هذه اللغات معروفةً قبل ظهور التسمية، إلا أن ما أكّدها هو اكتشاف لغات أخرى تحمل سمات شبيهة، أما قبل ذلك فقد كان يشار إليها باللغات الشرقية (مدخل: 13). أما د. خشيم فإنه يعتمد مصطلح اللغات العروبيّة بدلاً من السامية- الحامية، وهو اصطلاح اشتقه الباحث خليفة التونسي، وتندرج تحته جميع لغات الوطن العربي وقسم من لغات أفريقيا (آلهة: 99)، وهو اصطلاح دقيق إذا اقتصر على الضميمة العربية أو الجزرية، إلا أن إطلاقه وتعميمه على جميع الضمائم الأفروآسيوية فيه تعسّفٌ لا سندَ علمي له.

معطيات «تاريخية» تشير إلى اتصال الحراك اللغوي- الاجتماعي بين الفضائين الجغرافيين الآسيوي والأفريقي على مدى مراحل زمنية متباعدة، بدأت منذ فترات ضاربة في القدم نفتقد سجلاّتها الآن، باستثناء المقارنات اللغوية التاريخية، وبعض الشواهد الأركيولوجية.

2-1-3

وبتطبيق التصنيف التطوّري وآليات الانتشار المتحول للغات الأفروآسيوية لا أفترض أصلاً واحداً مكتملاً نشأت عنه تفريعات وضمائم تسلسليّة، بقدر ما أقول أن حمولة لغوية أولية أو بدئية primary تنقّلت من مكان إلى آخر بفعل العوامل المؤدية إلى الهجرة أو الاستقرار، والترجيح الأقرب هو الذي تقترحه تبدّلات المناخ الكبرى التي يمكن أن نفترض بناء عليها أن هذا الحراك بدأ قبل 10 آلاف سنة، مع انحسار آخر عصر جليدي.

ولا يمكن افتراض تسلسل تاريخي (كرونولوجي) منظّم لأزمنة ومسارات هذا الحراك، وهي مسألة تبدو مستحيلة الآن إلا في ما يتعلق بالهجرات المعروفة تاريخياً، إلا أننا نستطيع تقديم مقاربة عامة، تعتمد على طرفيّة كلّ مسار، أي بافتراض المناطق التي بدأت منها الهجرات أو انتهت إليها، وهي مقاربة نستخلصها من قراءات مختلفة، وأحياناً متضاربة، أنجزها الآثاريون واللغويون بدءا من مطلع القرن العشرين حتى نهايته. ونعتقد أن ما ميّز حركة الهجرات يندرج في أربعة مسارات رئيسية، تغطي أزمنة متباعدة، وهي متّصلة كما نفترض، وإن كانت غير منتظمة؛ إن الخطاطة الزمنية الجغرافية التي أفترضها يمكن رسمها على هذا النحو:



منذ 10 آلاف سنة، مع انحسار آخر عصر جليدي.

قبل 10 آلاف سنة.

- **من الصحراء الكبرى وشمال أفريقيا إلى وادي النيل.**

يقول هوفمان M. A. Hoffman : «إن ثورة إنتاج الطعام حدثت في الأرض الحمراء (الصحراء الكبرى) قروناً متطاولة، إن لم تكن ألف سنة كاملة، قبل أن تنفذ إلى منخفضات النيل الخصيبة (الأرض السوداء)... ويبدو أن رعاة الصحراء.. هم الذين جاءوا بثورة العصر الحجري الجديد إلى أفريقيا، وربما بطريقة غير مباشرة، هم الذين وضعوا أسس المدنيّة المصرية» وفي تاريخ كمبردج القديم The Cambridge Ancient History (م1، ج1، ص168): «إن شبه جزيرة إيبيريا كانت نقطة دخول لأقوام العصر الحجري الحديث من شمال أفريقيا، وهي الأقوام التي تحركت كذلك نحو أعالي وادي النيل في أزمنة ما قبل الأسرات».[1]

- **من وادي النيل إلى جنوب غرب وشمال الجزيرة العربية.**

وقد كانت مسارات الترحال والتنقل تتفرع وتصل بين آسيا الصغرى ومصر، مروراً بمجموعة محطات أغلبها نهريّ، ويمكن فهم ازدهار حضارات أوغاريت وطرابلس وجبيل وصور وصيدا ودمشق وتدمر وقادش ومدن أخرى على هذا الأساس، أي أنها نشأت أولاً كمحطات تجارية تبادلية ثم نمت واتسعت.[2]

1- آلهة. ص 24.

2- في الجزء الداخل مما يعرف بمنطقة الصدع الأفروآسيوي ازدهرت واحات تحولت إلى مدن تاريخية منها تدمر ودمشق على نهر بردى والتي كانت تقع على الطرف الجنوبي الغربي لطريق طويل يتبع سفح التلال حتى نهر الفرات، وأن الجزء الشمالي منها يروى بنهر العاصي وقد نشأت عليه عدّة مدن منها قادش، وفي الجنوب منها وديان كثيرة تشكّل ممرات طبيعية إلى المدن الساحلية مثل صور وغيرها، وهذه المنطقة تنتهي بوادي عربة المؤدي إلى خليج العقبة. أما علاقة مصر بالشرق فقد توطّدت منذ أمد بعيد، وكان المصريون وقد ألفوا منظر «العامو» الآسيويين بلحاهم الطويلة وجلودهم البيضاء وملابسهم الجلدية والوبرية يبرزون فوق الهضاب الشرقية

- من شمال الجزيرة إلى شمال وادي النيل.
- من جنوب غرب الجزيرة إلى الصحراء الكبرى.
- بين شمال وجنوب الجزيرة العربية.

إن مسارات الهجرة والترحال هذه، وما أدت إليه من اختلاط وتواصل، أثرت بشكل مباشر على انتشار وتحوّل ما نفترضه من حمولات لغوية بدئية محليّة، لتتولّد لغات المنطقة الأفروآسيوية ولهجاتها وتتطور تدريجياً قبل ظهور الكتابة والتدوين

وهم يسوقون أمامهم أنعامهم. إن إحدى الإشارات المهمة هي تلك التي سجّلها الكاتب المصري «ايبور» في أواخر الأسرة السادسة قائلا: «لقد نزل قوم غرباء من خارج مصر، لأن الدلتا أصبحت بلا حماة، ولا صانع يعمل، لأن الأجانب أصبحوا في صناعات البلاد». وقد أخذت حركة التواصل بين المنطقتين عدّة أشكال تتوزّع بين الغزو والهجرة الجماعية والاستيطان كالهكسوس مثلاً، الذين قدموا من آسيا الصغرى مروراً بدمشق وفلسطين حيث توطّنوا هناك واختلطوا بالسكان واتسموا بسماتهم، وهم الذين أدخلوا معهم الحصان والعربة إلى مصر، كما كانوا يستخدمون أسلحة برونزية وحديدية، قبل أن يتم إجلاؤهم عام 1580 ق.م، على يد أحمس مؤسس المملكة الحيثة، مستعملاً أدوات الهكسوس أنفسهم، كالعربة الخفيفة، وقد كان من ألقاب رمسيس الثاني مؤسس الأسرة التاسعة عشر قبل أن يتولى العرش لقب «رسول الملوك في جميع البلاد الأجنبية»، وفي فترات السلم كان ملوك بابل وآشور ومصر يتبادلون السفراء والزيجات والهدايا والآلهة والأطباء، وتعطينا الوثائق المصرية والحثية صورة عن الشرق الأدنى في القرنين الرابع والثالث عشر ق.م كدول متحالفة مؤتلفة تستخدم الخط المسماري واللغة الأكدية في مراسلاتها الديبلوماسة وعقودها التجارية. ومن أمثلة الغزو يكشف ثبت تحوتمس الثالث (1490-1436 ق.م) عن أسماء المدن والقرى والمناطق التي غزاها في بلاد الرافدين بعدة حملات كان أهمها وأكبرها الحملة الثامنة في سنة حكمه الثالثة والثلاثين، حيث أبحر من مصر إلى سواحل لبنان واجتازت الحملة نهر الفرات فأقام تحوتمس نصباً تذكارياً بجانب النصب الذي أقامه والده تحوتمس الأول. صلاح الخالدي، «وسائل وطرق المواصلات البرية في شرقنا العربي القديم»، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلدان 27، 28، دمشق، 1977- 1978.

بزمن طويل، فتمثيل الألفاظ بالعلامات المسمارية، وهي أقدم محاولة منظّمة لم تتوقّف، إنما كان تمثيلاً للغة إقليم واحد أنتجتها منطقة لغويّة شاسعة متناثرة الأطراف، كانت الجماعات البشرية تنساق فيها وراء الضرورات البيئية بحثاً عن عوامل الاستقرار، أي أن زمن نشأة الكتابة، وهو زمن ظهور المدن الدول الأولى، يعبّر أيضاً عن «اللحظة» التي استطاعت فيها بعض الجماعات البشرية أن تستقلّ عن غيرها، بعد أن توفّرت لها عوامل الاستقرار فحصرت نفسها ضمن حدود معيّنة، تحتمي بها، وتعتبرها مجالاً اجتماعياً - جغرافياً لها تدافع عنه، وهو المجال الذي ستتولّد عنه لاحقاً فكرة العرق والقوم، والذي سيحصّن لغة كل مجموعة ويميّزها عن غيرها، ويجعلها رمزاً جمعيّاً مقدّساً.

السومريّون الأوائل، إذن، كانوا قبل دور الوركاء خليطاً من الجماعات التي كانت تطوف المنطقة بحثاً عن أسباب التوطّن، ومن المستحيل بحث أصولهم العرقيّة، لأن المنطقة بأكملها لم تكن مهيّأة بعد في ذلك الزمن، لنشأة التجمّعات المدنيّة القارّة. فالأدوار الأولى ليست سوى «كومونات» تعتمد على الرعي وبالكاد انتظمت فيها الزراعة، كما أن الأرض (في الجزء الجنوبي من الرافدين) لم تكن سوى مستنقع كبير.

وبافتراض ظهورهم بعد انحسار آخر عصر جليدي، وتوطّنهم في جنوب بلاد الرافدين، بشكل دائم، فإن زمناً طويلاً فصل بين نشأة وتطوّر اللغة السومرية، وبين ظهور وتطور الكتابة المسمارية التي مثّلت وقدّمت هذه اللغة. إذ في مرحلة مبكرة من النشأة، وقبل أن تتطور المسمارية إلى التدوين المقطعي، لا يمكننا تصور اللغة إلا كمزيج من الكلمات البسيطة التي تجمّعت بمرور الوقت وتفاعلت لتصبح في ما بعد لغة المجموعات البشرية التي ستسمى بالسومريين، بعد أن أخذت سياقاً

منتظماً وبدأت أول محاولات تدوينها في المرحلة الصوريّة.

وقبل أن أمضي في عرْض فرضية الكتاب الأساسية، أرى أنه من المفيد التمهيد بتعريف مراحل تطور الكتابة المسمارية وبعض خصائص اللغة السومرية.. إذ أنهما مرتبطتان ومن الصعب التعرّف على تطوّر أحداهما وما لحق بها من تغيرات، دون التعرف على ما أصاب الأخرى كذلك.

3-2 : ظهور وتطور الكتابة المسمارية

يمكن تقسيم مراحل ظهور وانتشار الكتابة المسمارية، إلى أربعة عصور، بحسب التغيرات التي أصابت اللغة السومرية، لا بحسب التاريخ السياسي لبلاد الرافدين، كما هو دارج:

3-2-1 : العصر السومري العتيق (الأركائي) Archaic

وتمتد من ~ 3100 إلى 2600 ق.م. ومعظم شواهد هذه المرحلة تتمثل في المعاملات التجارية والنصوص المدرسية التعليمية كالتمارين البسيطة على كتابة العلامات، وما زالت اللغة السومرية المكتوبة بالخط المسماري في هذه المرحلة عصيةً حتى الآن على الفهم والتأويل بسبب تشوّه المصادر (الألواح) وضآلة عددها.

3-2-2 : العصر السومري القديم

ويمتد من 2600 إلى 2350 ق.م. ويمثّل بشكل أساسي سجلاّت الحكام الأوائل لمدينة لگش، وهي نصوص اقتصادية وإدارية وكتابات ملكيّة ونذريّة ورسائل خاصة ورسمية، وتعويذات ورقي. ومصادر هذه المرحلة متوفرة أكثر مما كانت عليه مصادر المرحلة السابقة، كما أن الكتابات واضحة بما فيه الكفاية لإعادة بناء

معجم اللغة السومرية واستظهار قواعدها وبنيتها النحوية.

3-2-3 : العصر السومري الوسيط

ويمتد من 2350 إلى 2020 ق.م. وقد سيطر الأكديون خلال هذه المرحلة، (تندرج المرحلة السرگونية ضمناً في هذا العصر)، ويمكن تصوّر اللغة السومرية هنا أكثر عرضة للتغيرات من أي وقت مضى بسبب مجاورتها اللغة الأكدية، وتآثرها معها، بالرغم من أن الرأي الشائع حتى الآن هو أن السومرية قد انحسر استعمالها خلال هذه المرحلة في منطقة محدودة.

وما أن بدأت سلالة أور الثالثة حتى انتهت هذه المرحلة، إلى أن تمكنت قبائل الرحّل الوافدة من الصحراء من إنهاء حكم هذه السلالة، لتنشأ بدلاً عنها سلالات ءِسِنْ ولَرْسَا وبابل.

3-2-4 : العصر ما بعد السومري Post-Sumerian

ويمتد من 2020 إلى 1850 ق.م. وفي هذه المرحلة أصبحت بابل أهمّ وأشهر مدن المنطقة، ولم يعد بالإمكان الحديث عن كيان سياسي للسومريين. إلا أن الأمر كان مختلفاً مع اللغة السومرية.

فقد كان استعمال العلامات المسمارية منتشراً على نطاق واسع، في النصوص الإدارية والقانونية والنقوش الملكيّة، ومعظمها كان مزدوج اللغة (سومري-بابلي)، كما أن كثيراً من النصوص الأدبية السومرية التي تحدّرت من مراحل أقدم من خلال تقاليد الإنشاد والرواية، تمّ تدوينه كتابياً للمرة الأولى في المرحلة البابلية القديمة، وتضمّن نصوصاً متنوعة الموضوعات كالأساطير والملاحم والأناشيد والمراثي والطقوس الشعائرية والنذريّة والأمثال والحكم والقصص والعِضات

والملاحظات الفلكية.

وبعد عدّة قرون من المرحلة البابلية القديمة استمرّ تعليم السومرية في المدارس البابلية حتى أواخر القرن السابع قبل الميلاد. بل إننا نجد كلمات سومرية بزمن طويل بعد ذلك تظهر مدوّنة في العصر الهليني في رسائل يونانية.

وببدء العصر المسيحي يبدو أن استخدام اللغة السومرية قد اختفى، مثلما اختفت الكتابة المسمارية، بل أن اسم سومر سيبدو كما لو أنه قد تلاشى من الذاكرة، بعد انتشاره لثلاثة آلاف عام، إلى أن تتم إعادة اكتشافه في القرن التاسع عشر بعد الميلاد. إن آخر لوح مسماري تم اكتشافه مؤرخ بسنة 50 ميلادية.

3-3 : الكتابة المسمارية وتمثيل اللغة السومرية

لقد نشأت الكتابة المسمارية لتمثيل اللغة السومرية على نحو تدرّجيّ بطيء، ومتابعة ما أُنتجَ عبر الأدوار القديمة من فخاريّات (وهي السجلّ الوحيد الغني بالشواهد النموذجية- راجع الفصل الأول) يجعلنا نرفض الفكرة التي شاعت حيناً في الأوساط العلميّة حول النشأة المفاجأة لهذه الكتابة، وهي فكرة انعكست على البحث اللغوي وحرّفت مساره إلى حين.

من المرجّح أن أولى الألفاظ في نشأة اللغة كانت عبارة عن حروف مفردة للتعبير عن الأشياء والإنفعالات، وهي البداية التي يمكن أن نفترضها في رحلة تدوين اللغة ونشأة الكتابة، إذ جرى في المرحلة الصوريّة تصوير سطوح الأشياء بخطوط تختزل أشكالها العامة، للإشارة إليها عن بعد، وهي المرحلة التي بدأت بها الكتابة الهيروغليفية أيضاً، ونعتقد من جهة أخرى أن سجلاّت جبال أكاكوس في جنوب الصحراء الكبرى بين ليبيا والجزائر وتشاد، كانت مرحلة أوليّة لم تتطور بفعل الجفاف العظيم، الذي قاد الهجرات قبل نحو عشرة آلاف سنة إلى وادي النيل

الـذي كـان شمالـه قـد تحـوّل مـن طبيعـة المـستنقع إلى أرض صـالحة للتـوطّن والاستزراع، تماماً كما حدث لجنوب بلاد الرافدين، وهي مرحلة من الرسم وتمثيل الأشياء والإنفعالات عن بعد، وإن كانت غير منتظمة إلا أنها مثّلت سـلفاً مباشـراً لنشأة الهيروغليفية، ويمكن تسميتها بالمرحلة الصوريّة البدئية.[1]

لقد جرى تدوين العلامات المقطعية تدريجياً، حيث بدأت بالمقاطع المفردة، ثم تعدّدت شيئاً فشيئاً حتى بلغت الألف علامة، كل علامة منها مثّلت مقطعاً دالاً على شيء. وباجتماع علامة مع أخرى تولّدت الكلمات، وكلما رسخت مفردة في تداول السومريين كان يجري تدوينها، مقطعان فثلاثة فأربعة، هكذا مروراً بمراحل تطور التدوين بالخط المسماري، وصولاً إلى اضمحلاله. أي أن المعجم السومري اتّبع في انتقاله من الترقيم (الكتابة على الرّقم) الصوري إلى الكتابة المقطعية مراحل في التعبير كان أوسطها أثراها. فالكتابة السومرية احتضن المعبد نشأتها قبل 4500 سنة وشهد انتهاء تداولها بعد قرابة ثلاثة آلاف سنة.

وبغض النظر عن عدد من الفريقات التي يميّز بها بعض الدراسين مراحل النشأة والتطور، إلا أن ثلاث مراحل تُذكر عادةً في هذا الشأن:

1-3-3 : المرحلة الصورية pictographic

في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد رسم السومريون علاماتهم المسمارية على ألواح الطين لتمثيل الألفاظ، باختزال سطوح الأشياء إلى مجموعة من الحزّات المثلّثة، التي يحدثها أثر القلم الخشبي على الطين الطري. فكانت كلّ علامة تمثّل

1- يعتقد الباحث أن تنظيم وفهرسة وثائق أكاكوس يمكن أن تؤدي إلى التعرّف على الأشكال النمطيّة التي تطوّرت إليها الكتابة الهيروغليفية في وادي النيل بالتوافق مع الصورية (قبل المسمارية) في بلاد الرافدين.

شيئاً محدّداً، مثلاً: يدلّ اختزال رسم رأس الثور بالعلامة (كُتبت في الأصل) على كلمة gu_4 أي: «ثور»، واختزال رسم رأس البقرة بالعلامة (كتبت في الأصل) على كلمة ab_2 أي: «بقرة»، أما رسم العلامتين معاً فقد عبروا به عن معنى: «ماشية». ولكن العلامات المستخدمة هذه المرحلة لم تكن كافيةً للتعبير عن المجرّدات وتدوين المعنويات. ولا «يمكن الجزم بأن نصوص هذه المرحلة لم تكن تحتوي على علامات مقطعيّة، بسبب صعوبة قراءة هذه النصوص».[1]

2-3-3 : المرحلة الرمزية

في هذه المرحلة طوّر السومريون باستخدام العلامات القديمة تقنيات التعبير وتمثيل الأشياء والحاجات، فمثلا: مثّلوا كلمة أَمَة geme برسم يختزل جسد المرأة munus ملصقاً بها العلامة الدالة على الجبال kur، أو البلاد الجبلية التي يبدو أنها كانت تناصبهم العداء.

1- «إن أقدم النصوص المسمارية جاءتنا من الطبقة الرابعة (أ) من مدينة الوركاء، وتعود هذه النصوص بتاريخها إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وتمثل في الوقت الحاضر أقدم النصوص المسمارية على الإطلاق. وبلغ عدد العلامات المسمارية التي استخدمت خلال هذه الفترة في جميع المناطق السومرية حوالي 1000 علامة. وإذا ما حاولنا معرفة عدد العلامات المسمارية التي استخدمت خلال هذه الفترة في جميع المناطق السومرية فإنه يخمن بحوالي 2000 علامة. وهذا العدد الكبير قد اختصر في منتصف الألف الثالث ق. م. إلى 800 علامة، إذ أن الألواح المسمارية التي عثر عليها في مدينة فاره (شرباك) حوالي 2500 ق.م لم تستخدم أكثر من 800 علامة، وبعد قرن ونصف من هذا التاريخ اختصر عدد العلامات المسمارية إلى 600 علامة. وفي بداية الألف الثاني ق.م اختصرت العدد إلى 500 علامة. وتجدر الإشارة إلى أن اللغة الأكدية التي اقتبست الخط المسماري السومري قد استطاعت أن تكتفي بعدد ضئيل من العلامات المسمارية». فوزي رشيد، قواعد، ص 23- 24.

أواخر الألف الرابع ق.م	ظهور الخط المسماري في أوروك (الوركاء، الطبقة الرابعة-أ).
2700 ق.م	ظهور الخط العيلامي القديم في سوسا وهضبة إيران متأثراً بالمراحل الأولى للخط المسماري.
~ 2500 ق.م	ظهور بعض المدونات الأكدية بالخط المسماري.
2350 ق.م	بدءا من سرجون الأكدي، انتشار الخط المسماري في جميع مناطق العراق القديم.
2000 ق.م	انتقل الخط المسماري عن طريق مدينة ماري على الفرات، إلى شمال سوريا، ومنها إلى أواسط آسيا الوسطى حيث اقتبسه الحثيون لتدوين لغتهم.
1900 ق.م	انحسر استعمال السومرية المعروفة واقتصر على الطقوس الدينية والفلك.
1780-1880 ق.م	التجار الأشوريون يقيمون مستوطنة في كبدوكيا، ومنها انتشر الخط المسماري الذي يعرف الآن باسم الخط الأشوري القديم.
1800 ق.م	انتشار الخط المسماري في أرارتو (أرمينية)، وهو ما يعرف بالخط الأشوري الحديث.
1500-1600 ق.م	الملوك المصريون يستخدمون الخط المسماري في مراسلاتهم مع ملوك الشرق الأدنى القديم.
	العيلاميون يستخدمون خطاً متأثراً بالخط المسماري، قبل وخلال العهد الأخميني.
	ظهور الأبجدية المسمارية الأوگاريتية.
612 ق.م	بسقوط نينوى اختفى الخط المسماري في كثير من المناطق، ولكنه استمر في بابل إلى نهاية العصر السلوقي.
وفي عام 50 م	كان الخط المسماري مازال مستخدماً لتدوين الملاحظات الفلكية.

انتشار الخط المسماري

ومثّلوا فعل الأكل أو الشرب بإضافة بعض الخطوط لعلامة الرأس sang 𒊕 للتعبير عن الفم ka 𒅗 (ربما مثّلت هذه الخطوط اختزالاً للأسنان)، ثم أضافوا إليها علامة الخبز ninda 𒃻 للتعبير عن فعل الأكل ku 𒅥 ، وأضافوا إليها علامة الماء a 𒀀 للتعبير عن فعل الشرب nag 𒅘 .

𒊕 ← 𒅗 ← 𒅥

𒊕 ← 𒅗 ← 𒅘

ولكن هذا الأسلوب بالرغم عن تطوّره عما سبقه، لم يكن كافياً، فأصبحت بعض العلامات تؤدي أكثر من معنى متصّل، بحيث يصعب التمييز بينها بسهولة، من ذلك أن نفس العلامة المعبّرة عن المحراث استخدمت للتعبير عن الفعل (حرثَ) وعن العمل (الحراثة) وما يتصل به. ومن الأمثلة الأخرى على هذا الازدواج أن الصفة: أبيض، كُتبت بالعلامة المعبّرة عن الشمس البازغة، والصفة: أسود، كُتبت بالعلامة المعبّرة عن الليل.[1]

3-3-3 : المرحلة المقطعية

استطاع السومريون في هذه المرحلة اختزال علامات الكتابة المسمارية في أصواتها بغض النظر عن دلالاتها الأصلية. وأحد أقدم الأمثلة على ذلك يعود إلى دور جمدة نصر، حوالي 2900 ق.م، حيث استخدمت العلامة الممثّلة للقصب 𒄀 gi لتمثيل معنى: عوّض، أعاد ديْناً، الذي يلفظ gi كذلك. ولعل السبب يعود إلى أن نفس الكلمة كانت تعبر عن الميزان أو عن وحدة من وحدات القياس. ومن الأمثلة الأخرى أن العلامة 𒋾 تؤدي لفظ ti لمعنيين حسّيّن هما: سهم

1- م. س.

وضلع، ومعنى مجرّداً هو: حياة، وهكذا كلما أرادوا كتابة كلمة: حياة مثلاً، وضعوا علامة السهم أو الضلع.[1] أي أن علامات الكتابة المسمارية جرّدت من معانيها الأصلية (إلا متى ما أرادوا التعبير عن هذه المعاني) واستخدموا أصواتها كمقاطع يتم لصْقها بمقاطع أخرى للتعبير عن معان ومفاهيم جديدة.

من الأمثلة المتكررة نجد أن لفظ: ka يؤدَّى بالعلامة 𒅗 ليعني: فم، كلام، وكذلك: باب، بوابّة. ويمكن تأدية معنى الباب بالعلامة 𒆍 التي تلفظ kan ويمكن أن تعوّض ka في النصوص، وهذه إحدى أساليب الكناية الشائعة في اللغات واللهجات الأفروآسيوية، فللمقطع (كَ) ka بشكليهِ معنى واحداً، لا لاتفاق عرضي، بل لأن كلمة فم الأقدم، انصرفت بالتخصيص إلى: كلام، كما انصرفت بالكناية إلى: باب؛ وما زال هذا الأسلوب شائعاً، فعندما نقول مثلاً: فم الدار، فإننا نعني الباب، وعندما نقول: من فمك أدينك، فإننا نعني الكلام لا الفم، وهكذا. فما يحدّد الاختلاف بين استخدامات هذا المقطع، هو إذن، سياق *الكلام*. ونلاحظ هنا أن الجذر العربي: كَلَم *kalam*، قد حافظ على المقطع «كَ» في بنيته، وتأثيل العربية «كَلَم» في السومرية يُحمل على مقطعين جذريين بمعنى: هذر، أو حرفياً: كثرة الكلام، من كَ ka بالمعنى السابق، ولَمْ lam بمعنى: كثرة أو استرسال.

في المصرية القديمة نجد أن هذه الكلمة ka العتيقة archaic كانت تعني فم،

1- لي رأي يتّصل بتأويل أثر هذا التعدد في معنى ti، بالإضافة إلى ما ورد من جناس في أبيات الأسطورة التي شخّصت صراع مردوخ ضدّ تيامات وتابعها كنغو، وكيفية خلْق الإنسان (الحياة: ti) من دماء كنغو الذي مات قتلاً بالسهام (ti)، إذ يمكن استطراداً أن نفهم الأسطورة التوراتية في خلق المرأة، فالضلع في السومرية هو أيضاً (ti). لقد استعارت التوراة وجهين من معنى ti السومرية، وجانست بينهما في الدلالة دون اللفظ فقط، فجعلت خلق حواء (الحياة ti) من ضلع (ti) آدم.

أيضاً، ولكنها أخذت معنى آخر هو: روح، لأن الروح في الميثولوجيا المصرية القديمة كانت تغادر الجسد عبر الفم. ونستطيع بالطبع أن نستشف من تراث الشرق الأدنى هذا لماذا أصبح لكلمة «كلمة» في التراث اليهودي والمسيحي، ثم الإسلامي ذلك المعنى البسيط: «روح»، والمعنى المركب «أمر الله» أو «الوحي». مضمرين معنى بعيداً هو «فم»، وهذا التسلسل في اعتقادي هو خير مدخل للتفكير في النماذج اللاهوتية من نوع الخلق بالكلمة: «كن فيكون»، و«في البدء كان الكلمة»، الذي اجتمعت فيه معانٍ عديدة: الفم (كآلة للنطق)، الكلمة (كنتاج للآلة) الروح (كتصعيد [تجلٍّ] للنتاج). وهذا يساعدنا، لا شك، على فهم أكثر دقّةً لتطوّر المعتقد الديني باعتباره انعكاساً للحياة الاجتماعية. إن الاعتقاد بأن تطور اللغة قد تم على هذا النحو يستدرج قراءة المفردات بتحميلاتها الاجتماعية والدينية والاقتصادية، ويصبح لازباً عدم الاقتصار على المعرفة المعجمية لصالح معرفة أكثر صلة بالتطور الإنساني.

من الأمثلة أيضاً أن تمثيل المقطع gu كان يتم بأربعة عشر علامة، منها:

gu [علامة مسمارية] : حبل، كتان، شبكة.

gu_2 [علامة مسمارية] : عنق، قوة.

gu_3 [علامة مسمارية] : صوت، صخب.

gu_4 [علامة مسمارية] : ثور.

gu_7 [علامة مسمارية] : أكلَ.

gu_{14} [علامة مسمارية] : أرض، وهكذا.

وكذلك العلامة گِرْ gir التي ترد تجانساتها الصوتية بأشكال كثيرة منها:

gir : سمكة.

gir$_2$: شفرة، سيف، حدّ، حادّ.

gir$_3$: نوع من الأشجار.

gir$_4$: فرن.

gir$_5$ و gir$_7$: ساعٍ.

gir$_8$: شذّب.

gir$_9$: وعاء كبير.

gir$_{10}$: غضب.

gir$_{11}$: نيْر.

gir$_{12}$: حيوان قارض، متوحش، شيء متحرّك.

وفي تمثيل ni نجد:

ni : محدد لتمييز الشّباك.

ni$_2$: خوف.

ni$_3$: طلْع، ثمار مبكرة النضج.. الخ.

إلا أن ni أيضاً قد ترد ، في نفس الوقت، لتمثيل أكثر من مقطع: ne$_2$، li$_2$، le$_2$، i$_3$، zal . كما يمكن أن ترد لتمثيل مقطعين من هذه المجموعة، مثلاً: تقرأ: i$_2$-li$_3$ " *illi* العربية: عالٍ، عَلِي. والكلمة ستتحوّل إلى الأكدية *ilu* : إله، أو [الـ] عَلِيّ.

ولمزيد من التدقيق لجأ السومريون إلى كتابة المحدّدات، وهي علامات ساعدت على تلبية الحاجة إلى القراءة بمرونة، وتفادي الخلط بين ما تمثّله العلامات وبين الدلالات المتوخّاة منها.

3-3-4 : المحدّدات

لجأ السومريون إلى وضع علامات دالّة إن في أول الكلمة أو آخرها، وقد انتشر استعمالها تدريجياً للتمييز بين الكلمات التي تُكتب بالعلامات ذاتها ولكنهـا تـؤدي أكثر من معنى.[1]

العلامات التي توضع قبل الكلمة (قواعد، PSD).

- إله dingir ، علامة كانت توضع قبل أسماء الآلهة.[2]
- نجم mul لأسماء الكواكب والنجوم.
- مدينة uru ، لأسماء المدن.
- جبل kur ، للمناطق والجبال.
- جرّة dug ، لأنواع الأواني والأقداح الفخارية.
- قصب gi ، للقصب والأدوات المصنوعة منه.

1- عرفت الهيروغليفية المحدّدات، وإن استخدمتها بشكل مختلف، مثلاً: ḥ m m u : البشر، فالعلامات الأربع الأولى تمثل أربعة حروف صامتة ح م م و، يليها ثلاثة محددات: رجل + إمرأة + ثلاثة خطوط متعامدة للكثرة (الجمع).

2- في النقحرة اللاتينية للعلامات المسمارية يتم اختزال هذه العلامة بالحرف d يُكتب مرفوعاً إلى أعلى مثلا: الإله ءُتُو ^{d}utu.

- خشب giš ، للأشجار والأخشاب.

- نهر id ، للأنهار والجداول وقنوات الماء.

- طبْخ kam ، لأنواع الأطعمة.

- رجل lú ، لمهن الرجال وأنسابهم.

- امرأة munus ، لمهن النساء وأنسابهن.

- حجر na_4 ، لأنواع الحجارة وأدواتها.

- إناء dug ، لأنواع الأواني.

- جلد kuš ، لأنواع الجلود.

- نبات عطِر šim ، لأسماء وأنواع العطور.

- نبات ú لأسماء وأنواع النبات.

- ماشية udu ، للأغنام والماعز.

- حمار anše لأنواع الحمير.

- نحاس urudu ، لأسماء الأدوات المعدنية

- لحم uzu ، لأسماء للحوم.

- الرقم 1 aš، لأسماء الأعلام.

- شهر (قمر) iti ، لأسماء الشهور.

أما العلامات التي توضع بعد الكلمات فهي:

- مكان ki ، لأسماء المدن والمناطق.

- مرّة kam ، لعدد المرات.

- سمكة ku_6 ، لأنواع الأسماك والحيوانات النهرية.

- طير mušen ، لأنواع الطيور والحشرات الطائرة.

- خضار sar،[1] لأنواع الخضار.

5-3-3

ولم تمرّ الكتابة المسمارية بالتسلسل الذي أوردناه دون تعقيد، فنمط الكتابة في العصور الأولى مثلاً، لم يكن يتبع نسقاً منتظماً من أعلى إلى أسفل أو من اليمين إلى اليسار، بل أن الألواح التي حفظت النصوص الأركائية كانت تبدو أشبه بألواح التمرين على الكتابة، فالعلامات وُضعت بشكل غير منتظم، ولم تكن بالضرورة تعبّر عن موضوع واحد.

6-3-3

وقد مثّل استخدام العلامات المسمارية لتمثيل اللغة الأكدية مرحلةً أخرى قاد فيها هذا التداخل إلى وضع المزيد من قواعد الكتابة، والتواضع على استخدامها.

العلامة dingir (المتطورة عن الشكل القديم) مثلاً، استخدمها السومريّون كمحدّد يسبق أسماء الآلهة، كما استخدموها لتمثيل اسم الإله an ، ولتأدية معنى السماء an ، وفي نفس الوقت استخدمها الأكديون لتمثيل كلمة *ilu*^{m} (إله)، كما لتمثيل اسم الإله *anum* . وقد كانت ترد قبل أسماء الآلهة بغض النظر عن اختلافها بين الأكدية والسومرية، فاسم إله الشمس الأكدي ^{d}*šamaš* كُتب

[1]- يخصص معجم بنسفانيا العلامة لفعل: كَتَبَ، أيضًا.

𒀭𒌓 وهي علامة إله الشمس السومري ^{d}utu. إلا أن الأكديين استخدموا العلامة an أيضاً كمقطع صوتي أينما ورد، أي كجزء من كلمة، أو ككلمة كاملة بمعنى: إلى، المختصرة من صيغة ana. كما استخدموها كقيمة صوتية لتأدية il خاصة في أسماء الآلهة. وأخيراً كمحدّد يسبق هذه الأسماء. وكان تكرارها مرتين 𒀭𒀭 يعني صيغة الجمع من إله، وتكرارها ثلاث مرات 𒀭𒀭𒀭 يُقرأ an il ويعني: إلى الآلهة.

والعلامة e 𒂍 : بيت، استخدمت لتمثيل كلمة *bitu*^{m} الأكدية بنفس المعني. والأكدية لغة معربة تتغير أواخر كلماتها بحسب وردها في سياق الكلام، فكلمة *bītum* تتحول أحياناً إلى *bītim* ، كما في العربية بيتٌ *biṭun* وبيتٍ *biṭin*، لذا عمد الناسخون إلى كتابة علامة e السومرية (بيت)، بالإضافة إلى النهاية *tim* 𒂍𒁴 كلما أرادوا تأدية صيغة الكسر أو الجرّ.

كما ألحقوا علامة dingir بعلامة e لتأدية معنى السماء (الجنّة) بكلمة *anu* 𒂍𒀭 التي تعني حرفيّاً: **بيت الله**.

الفصل الرابع

إعادة قراءة اللغة السومرية

1-4 : قراءة ونقحرة العلامات السومرية

إن «اللغة السومرية إلصاقية مفردة معزولة عمّا جاورها، وقد تمت مقارنتها معجمياً وقواعدياً بلغات العالم الحية والمهجورة دون تحقيق أدنى صلة قرابيّةٍ بينها وبين تلك اللغات»[1]. هذا ما استقرّت عليه خلاصات البحوث الاستشراقية الدارسة للسومريّات والأشوريّات، وحوّلته بالتواتر إلى «يقين» علمي، لا يتطرق إليه الشك، (راجع المقدمة).

2-4

لقد مرّت إعادة بناء المشهد اللغوي السومري، وتمرّ، بعدة صعوبات؛ نشأت في أزمنة مختلفة، وبدرجات متفاوتة. إننا نستطيع التفكير في أربعة مستويات، لإعادة تقييم الوضع الحالي في التعامل مع الكتابات المسمارية والنصوص السومرية:

1-2-4

إن النظام الصوتي للغة السومرية قد تغيّر بمرور الزمن، ولا يمكن تصوّر نظام مماثل ثابتاً طوال 1000 سنة. جميع اللغات كانت، وما زالت، عرضة لفروقات صِواتيّة يمكن أن تتشكّل في زمن أقل، إن العربية على سبيل المثال قد اختلفت

1- يقول ريتشارد كابليس، في «مقدمة للغة الأكدية»:

An agglutinating language that has no provable genetic relation with any other language or language group. .

ومن الآراء النمطيّة ما يقوله صمويل كريمر، على سبيل المثال، في كتابه مقدمة «الميثولوجيا السومرية»:

The Sumerians were a non-Semitic, non-Indo-European people who flourished in southern Babylonia from the beginning of the fourth to the end of the third millennium B.C. During this long stretch of time the Sumerians, whose racial and linguistic affiliations are still unclassifiable, represented the dominant cultural group of the entire Near East.

تصويتات حروفها، وقد كانت إحدى الملاحظات المبكرة لابن سينا في رسالة «أسباب حدوث الحروف» إشارته إلى تغيّر طرأ على نطق الكاف؛ يقول: «وأما الكاف التي تستعملها العرب في **عصرنا هذا** بدل القاف فهي تحدث حيث تحدث الكاف إلا أنها أدخل قليلاً والحبس أضعف»[1] ، ومن ظواهر كثيرة متأخرة نجد أن حرفين هما الضاد والظاء يتّحدان في الكلام، وهي ظاهرة مميزة للهجات المغرب العربي، أي أننا باتساع قياس الزمن، مع أخْذ ما لهذا التنحّت والانتحات من بطء شديد بعين الاعتبار، لا نستطيع الحكم بتوقف التغير، أو الاستحالة، وإن تباطأت وتيرته حدّ الركود وشبه التوقّف. وأتصوّر أن لحظة مقتطعة من الزمن أتمثّلها في العصر الذي نمرّ به، لا بد وأنها تكرّرت مراراً لدى من فكّر ونظر في المسألة، وأتصوّر أن أحدهم عاش في العقد الأول من الألفيّة الثانية قبل الميلاد قد فعل ذلك عندما انتقل الخط المسماري عن طريق مدينة ماري على الفرات، إلى شمال سوريا، ومنها إلى أواسط آسيا الوسطى حيث اقتبسه الحثيون لتدوين لغتهم. أي بما يزيد عن أربعة آلاف عام بعقود. أي أن الخريطة الزمنيّة لصواتة الحروف في اللغات الأفروآسيوية، وغيرها من اللغات، كانت على الدوام عرضة للتغير بهذا القدر أو ذاك، بالإضافة إلى الظواهر اللغوية الأخرى، خاصة الإبدال والقلب الشائعين. كما إننا آخر الأمر لا نستطيع الجزم بحصْر وتصنيف جميع التبدلات «الصورفيّة» التي نشأت في أزمنة وأمكنة مختلفة في الفضاء الأفروآسيوي.

2-2-4

إن نظام الكتابة لم يكن متطابقاً تماماً مع التركيبات الصوتيّة في اللغة السومرية. لسببين: (أ) تغيّر أسلوب كتابة بعض العلامات، لاختلاف أمكنتها وأزمنتها،

1- ابن سينا: 24.

وكَتَبَتها (المدوّنات الرسمية formal والشعبية vernacular، مثلاً)، (ب) الاحتكاك باللغات الأخرى وتنوّع اللهجات.

فمن مظاهر الخلط في قراءة وفهم السومرية أن العاميّة السومرية Vernacular Sumerian قد كان لها تأثيرها على المدوّنات الرسميّة كالنصوص الملكية، وكذلك المدوّنات الأدبية والدينية والسحريّة، بغض النظر عن الفكرة الشائعة، وهي أن السومرية الفصحى Formal Sumerian كما في المراسلات الملكيّة، بدت كما لو أنها كانت ذات قواعد خاصة. ولعلّ ذلك كان أحد مظاهر تحوّل اللغة السومرية بعد ما عرفته من انتشار؛ إن آخر نصّ «رسمي» سومري ظهر في 1950 ق.م.[1]

إن لغة الملاحم التي جسّدت أعمال الآلهة والملوك تحوّلت تدريجياً إلى لهجة eme-sal التي لم تكن في البداية سوى نوع من أسلوب التنصيص الأدبي للحديث عن النساء، أو ما يستخدمنه من مفردات في الحياة اليومية، وهي الأكدية ummusal، إلا أن الأكديين عندما وصفوا هذه اللهجة أطلقوا عليها *lišān ṣilīti* أي «اللسان السليط»، وقد انتهى بها الأمر إلى أن تصبح «اللغة» الأدبية المفضّلة للشعراء والرواة والنسّاخ السومريين.

3-2-4

إن نظام الكتابة المسمارية قد انعكس على إعادة قراءة التركيبات الصّوْرَفِيّة (المورفوفونولوجية) morphophonological للغة السومرية، التي شادها علماء السومريّات.

1- للتعرف على المزيد من أشكال تحوّل اللغة السومرية، راجع:

Blackm, J. A. and G. Zolyomi. *The Study of Diachronic and Synchronic Variations in Sumerian*, An Introduction to the Papers Presented at the 6th Meeting of the Sumerian Grammer Discussion Group, Oxford, 17th and 18th September, 1999.

4-2-4

كما نجد، من ناحية أخرى، أن القراءات الحديثة للعلامات المسمارية ونقحرتها بالحرف اللاتيني لم تكن خلواً من تأثيرات القرّاء أنفسهم، وقد كانت، وربما مازالت، عرضة للتحوير المستمر. إننا إذا جئنا إلى الكتابة نجد أن قراءات مختلفة تماماً لنفس العلامات قد تم تقديمها بأشكال مختلفة.

مثال: قُرئت علامة munus (إمرأة) mi_2 ثمّ جرى تعديلها، وتقتصر قراءة mi_2 الآن على الفعل mi_2dug_4 (لاطفَ، عامَلَ بلطف)، كما إن القراءة الحالية للعلامات قد نُقّحت عن قراءات سابقة، لمعالجة أخطاء وردت في النقحرات الصوتية، مثلاً:

- $šir_3$ قرئت sir_3.
- iden قرئت eden.
- iri قرئت uru.
- šudun قرئت šudul.

ليس هذا هو الإشكالُ كلّه، فما نعرفه من اللغة السومرية هو ما حفظته لنا الألواح المسمارية، ولكن هذا لا يمثل كل اللغة، بل لا يمثّل حتى جزءاً يسيراً منها، فإذا كانت الكتابة هي بعض اللغة مرئياً، فإن اللغة ليست كذلك، إن أغلبها غير مرئي، ولا يمكن تمثيله إلا بأسلوب جدّ مركّب، وهو ما كانت تفتقد السومرية تدوينه، بل إن أنظمة الكتابة مهما بلغت من تعقيد، لا يمكن لها أن تعبّر عمّا وراء اللغة، ذلك، ليس بأي حال من الأحوال، سوى نتاج لفلسفة اللغة التي لم تظهر إلا حديثاً، أما السومريون وغيرهم فلا بد أنهم عرفوا أساليب بلاغيّة، غير التي

نعرفها، للتعبير عمّا وراء اللغة. أي أنهم عرفوا تمثّل اللغة مثلما كان باستطاعتهم تمثيلها (كتابتها)، وإن غابت عنّا الأساليب التي اتبعوها، ولا نستطيع الآن إلا التفكير فيها على القياس بما نعتمده من أساليب.

3-4 بنية المفردة السومرية ونقد نظرية هالّران

من أهمّ نظريات تفسير نشأة السومرية، وأكثرها انتظاماً، هي تلك التي وضعها هالّران Halloran[1]، وقد افترض أن الأساسَ هو البناء على الصوائت التي ظهرت قبل غيرها، إذ كانت مفرَدةً أولاً، ثم بُدئت، في مرحلة تالية، بصامت يأخذ حركة الصائت الذي يليه، أو كُسِعت بصامت. وهكذا افترضَ أن كلمات- صوائت vowel-only words ظهرت أولاً، ثم تطوّرت تدريجياً إلى ثلاثة أبنية مختلفة، على مدى فترات زمنية متباعدة، هي: صائت- صامت (VC)، صامت- صائت (CV)، صائت- صامت- صائت (VCV)، وبعد فترة من استقرار استعمال هذه الأبنية الثلاثة (يقدّرها بجيل واحد على الأقل)، اتّسع استخدام هذه التتابعات، فظهرت الصيغة: CVC التي تشمل 30% من كلمات المعجم السومري، ثم انتشر استخدام صيغ أخرى بشكل متتال.

وقبل أن أعْرِض لهذه النظرية، وهي نتاج معرفة وإلمام بالسومرية كبيريْن، نقداً وتعقيباً، أرى أنه من المفيد إدراج بعض صيغ ومتواليات هالّران، لسببيْن: الأول هو ما تتضمنه من كشْف عن بنية المفردات والألفاظ السومرية كما هو دارجٌ، والثاني لأن فرضيّاتنا البديلة تقوم، ضمن ما تقوم عليه، على نقدٍ أساسيّ موجّه إلى بنية المفردات هذه.

1- The Proto-Sumerian Language Invention Process, by John A. Halloran

1-3-4

تعتمد متواليات هالّران على أن الأساس البنيوي للمفردة هو ظهور صيغة V أولاً، إلا أنها لا تشكّل سوى أربعة ألفاظ (نسمّيها مقاطع جذرية مفردة- راجع التعريفات في بداية الكتاب) هي عبارة عن الفونيمات التي استقرّت لتكوّن الصوائت الأربع (a ، e ، i ، u)، وقد قام بجمع جميع مفردات هذه الصيغة والصيغتين التاليتين لها، أي بإلحاق صامت (VC)، أو البدء به (CV)، وهي على النحو التالي:

الصيغة الأولى: الصوائت المفردة (V).

a، e_4 : ماء، مجرى ماء، قناة؛ منيّ؛ نسل، أب؛ دموع، فيضان.

é : بيت، أهل؛ معبد؛ مساحة من الأرض.

i : صرخة ألم. أسر، هزم، غلب.

ú : نبات، كلأ؛ خضار، طعام، خبز؛ حمل؛ غذى، ربّى، ساعد؛ قوي.

ù : نوم؛ نام.

$u_{(3,4,8)}$: للتعبير عن الرفض؛ صراخ، جخر، لهاث مسموع؛ قتال، شجار.

u_5 : طائر، ديك، ركيزة؛ اعتلى؛ ركب، صفّف، وجّه، أدار [الدفة]. عالٍ.

u_{18} : ضخم.

u_{20} : شعير.

الصيغة الثانية: صائت- صامت (VC)

ab : نافذة؛ فتْح، ركن.

ib : زاوية، ركن.

ub : ركن، زاوية، غرفة صغيرة.

ig : باب، مدخل.

$^{(giš)}$al : معول خشبي، معول، معزقة، مجرفة، رفش.

an : سماء؛ الإله آن. علا. عالٍ. أمام.

$en_{2,3}$: وقت. حتى.

ér, ír : دموع؛ نواح؛ صلاة؛ شكوى. ينوح، ينتحب.

us, $uz^{mušn}$: بطة، وزة.

الصيغة الثالثة: صامت- صائت (CV).

ba : قِسْم، حصة؛ مؤونة، أجر. أعطي؛ قسّم؛ وزع، دفع.

da : ذراع؛ جانب؛ قرْب، حمل؛ اقترب؛ حمى. مع.

ga : حليب.

gi : قصب؛ قياس طولي.

$ĝe_{26}$: أنا، نفسي، ياء النسبة.

ka : فم، كلام.

ká : بوابة.

ki : أرض؛ مكان؛ منطقة؛ موقع؛ حبوب [غلال].

li_9 : تلألأ، أضاء.

lu : رجل، ذكر.

$^{(giš)}$má : قارب.

ri : قذف، رمى؛ وضع.

sa_{10} : ساوى، عادل؛ اشترى.

še : شعير، حبة قمح [= وحدة قياس صغيرة].

za : أحدث ضجةً.

zú, su$_{11}$[ka] : سِن، شوكة؛ نصل؛ عاج؛ صوان، صخر صلد، زاج، شبّ.

يمكننا فهم ألفاظ الصيغة الأولى (V) الأربعة، كأصوات محاكاة، خاصة أنها تمثّل تردّد النَّفسِ استدعاءً أو ردَّ فعل، فاللفظ u مثلاً، يمثّل: لفظ تمثيل للقوة، أو للإستغاثة، الاحتجاج، الصراخ المجرّد، اللهاث المسموع.. وهي أصوات نجدها في أكثر اللغات وإن اختلفت أساليب تمثيلها.

2-3-4

ثم يقترح هالران 25 صيغة تبدأ بصائت مفرد، فصائت وصامت، فصامت وصائت، وهكذا وصولاً إلى صيغة: CVCCVCVCV.

1- V : a (ءَ): ماء.

2- VC : ab (ءَبْ) : نافذة.

3- CV : ba (بَ) : أعطى.

4- VCV : aba (ءَبَ) : بحيرة.

5- CVC : dab (دَبْ) : حَمَل، أخذ.

6- CVCV : gaba (گَبَ) : صدْر.

7- VCVC : ušub (ءُشُبْ) سلّة.

8- VCCV : úrgu (ءُرگُ) : ضراوة.

9- VCCVC : endub (ءِنْدُبْ) : طَبَخ، طها.

10- VCVCV : urudu (ءُرُدُ) : نحاس.

11- CVCVC : ĝadub (نْگَدُبْ) : وعاء لحفظ الألواح.

12- CVCCV : ŋéšbu (نْگِشْبُ) : أداة [مخطاف] للمصارعة.

13- VCVCVC : urugal (ءُرُگَلْ) : جحيم، عالم سفلي.

14- eškiri : VCCVCV (ءِشْكِرِ) : رسن، لجام.

15- umbisaŋ : VCCVCVC (ءُمْبِسَنْگْ): راقم على الطين، ناسخ.

16- immindu : VCCVCCV (ءِمِّنْدُ) : فرن، تنور.

17- elamkuš : VCVCCVC (ءِلَمْكُشْ) : مثانة.

18- kankal : CVCCVC (كَنْكَلْ) : أرض بور، تربة قاسية.

19- tabira : CVCVCV (تَبِرَ) : معدِّن (المشتغل بالتعدين).

20- buranun : CVCVCVC (بُرَنُنْ) : نهر الفرات.

21- kurušda : CVCVCCV (كُرُشْدَ): علف جيد.

22- muhaldim : CVCVCCVC (مُخَلْدِمْ) : طاهٍ، خبّاز .

23- mangaga : CVCCVCV (مَنْگَگَ) : ليف، سعف النخل.

24- dalhamun : CVCCVCVC (دَلْهَمُنْ) : إعصار، عاصفة هوجاء.

25- kingusili : CVCCVCVCV (كِنْگُسِلِ) : الجزء الأعم والأغلب.

إن أولى الملاحظات على هذه المتواليات، هي أن الطريقة التي قرئت بها الصوائت (وبها يبدأ نصف عدد الصيغ السابقة تقريباً) على يد علماء الأشوريّات والسومريات، عن الألواح المسمارية، فيها عمْدٌ إلى مقاربة الصوائت كما استقرّت في اللغات الهندوأوروبية، وبما يتفق ومخارج الحروف المعروفة فيها، بلا سبب ليتمَّ إغفال أن ما تضمره النقائش المسمارية قد يكون أقربُ إلى الحركات التي نعرفها في اللغات الأفروآسيوية، والتي اشتهر منها ثلاثةٌ، فقط، بالمدّ الطويل.

مثال: كلمة ماء السومرية القديمة هي الهمزة (ءَ ، a)[1]، ولا يمكن تصويتها إلا

1- نقرؤها a' وليس a كما ترد عادةً، ونعتقد أن زمن تصويتها متوسّط بين a و ā ، كما في نطقنا الهمزة المفتوحة في العربية (ءَ) بدون مدّ مسترسل (آ) أو قصْرٍ أو وقْف.

هكذا، وقد احتفظت العربية بهذه الكلمة- الحرف في ماء mā’ [ma(a)]، بتصديرها بـ «م»، على أن ma أخذت في السومرية معنى: قارب نُهري. في حين انصرف المعنى العربي إلى الماء على الإطلاق، مهما كان مصدره، نهراً، بئراً، أم بحراً، ومهما كان قدره، بينما تحولت إلى الأكدية *mu*.[1]

ثانياً: إن الطريقة التي قرئت بها العلامات السومرية، وتغليب الصوائت a ، i ، u على القراءة فيها الكثير من تغييب حروف الحلق- وعلى الأخص حرف العين- الذي لا يستند إلى إثبات واضح، ولا يمكن فهم غيابه إلا بالقياس على نظام تصويت الحروف ومخارج الألفاظ في اللغات الأوروبية التي تكلمها قرّاء العلامات المسمارية من ألمان وفرنسيين وغيرهم، وهي لا تحتوي على هذه الحروف.

4-4

أثناء التفكير في بنية المفردة السومرية، لاحظت أن الصوائت قد تم تغليبها، بإثباتها كجزء أساسي في البنية المفردات، دون الالتفات إلى ميزة حركات الحروف في اللغات الأفروآسيوية، كالمصريّة والعربية، وهذه اللغات من شأنها أن تخفّف نطق الكلمة، بحيث لا تبدو تتابعاً بين صائت وصامت، وحتى في ورود هكذا تتابع، فإنه قد لا يشكّل الظاهرة الأعمّ في السومرية، وقد كان هذا اجتهاداً أساسياً انبنت عليه فرضيات أخرى، لذا عمدت إلى متابعة ما بذله هالّران من جهد في

1- بغض النظر عن انتقالها إلى العربية من السومرية رأساً أو عن طريق الأكدية، لأننا نشهد في الحقيقة ظاهرةً تتمثل في اشتراك الكثير من الكلمات بين العربية والسومرية من جهة، وبين العربية والأكدية من جهة أخرى، دون أن تكون هذه الكلمات مشتركة بين السومرية والأكدية، وسوف نبقي هذه الظاهرة في هذه المرحلة من البحث محلَّ نظر، إلى أن نعيد قراءتها وتأويلها ضمن سياق عام يجمع اللغات الثلاث.

استظهار بنية المفردة السومرية، ومراجعة تحولاتها بدءا من أقصر الصيغ وهي الصائت المفرد (V)، حتى أكثرها طولاً وهي: (CVCCVCVCV). كما هو مدرج أعلاه.

الخطوة الأولى كانت إعادة تمثيل المفردات برمْزي الصامت والصائت، لا كما تبدو في الكتابة، بل كما يظهرها اللفظ، نطقاً، أي باعتماد المفردات مصوّتةً، لا مُمَثَّلةً. وقد استتبع هذا الأخْذُ أن أرى إلى المفردة السومريّة موقّعةً بتتابع الحركات بين الصوامت فيها، قياساً على ما هو دراج في قراءة المقاطع الأفروآسيويّة، عامةً، وكما نفعل في العربيّة، خاصةً، وهي طريقة درج العرب على قياس تفاعيل الشّعر بها، أخذوها عن الخليل الفراهيدي، يعرفون من خلالها ما زحف وما استقام. [1]

1-4-4

لا أحد يستطيع إثبات صيغ ما نطق به السومريّون من مقاطع ونَبْر، أو كيف جعلوا مُدَد الحركات والمدَّات، أوكيف كانت استساغتهم وتفضيلهم لنحوٍ دون آخر في تذوّق الحروف.

نقدّر أنهم لجأوا إلى إدغام الصوائت المتشابهة عندما تكون في نهاية مقطع وبداية آخر، وهو أمر حسمته المقارنة بالأكدية، على ما فيه أصلاً من ضرورة

1- وضع الخليل بن أحمد أول معجم لغوي لحصر العربية، وأذهب إلى أنه انتهج في ترتيب معجمه تصنيفاً مقطعياً للأبجدية فكان سياقه: أب، أح ، أع ، أغ، ثم أعاد النظر في ترتيب الأبجدية فجعله: ع ح ه، خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ل ر ن، ظ ث ذ، ف ب م، و ا ى، الهمزة. وسمى هذه الحيوز: حلقية، لهوية، شجرية، أسلية، نطعية، لثوية، ذلقية، شفوية، وهوائية؛ على التوالي. ورأى في قلب الحروف أن الثنائي قد ينصرف على وجهين، وأن الثلاثي قد ينصرف على ستة أوجه، وأن الرباعي قد ينصرف على أربعة وعشرين وجهاً، وكان ذلك أو مبحث تنظيري خالص في اللغة العربية.

صِواتيّة تقتضيها مخارج الحروف وأسباب حدوثها.

وقد رأينا علماء السومريّة وقرّاء علاماتها بادروا إلى المقارنة بالأكدية، التي قرئت علاماتها أولاً، قبل أن يتمّ اكتشاف المسارد الثنائية الشارحة، لكنهم بعد هذه المعالجة، التي سرّعت قراءة العلامات المسمارية، وفهْم اللغة السومرية، لم يمضوا إلى قراءة الصوائت قياساً بلغات الجوار، سوقاً على فكرة انعدام القرابة بين السومرية وما جاورها. وبالرغم من أن التقليد الذي سرى فيما بعد بين علماء الأشوريات والسومريات، كلّما تعسّرت القراءة، دَرَجَ على القياس بالأكدية التي جاورت السومرية، واستخدمت خطّها المسماري. والأكدية، لغة اشتقاقية معربَةٌ، يقع تجذير مفرداتها، أي ردّها إلى جذور مفرَدة، والتحريك، أو التصويت القصير، هي الظاهرة الغالبة على أصوات حروفها الصامتة. إلا أن ذلك لم يتحوّل إلى منهج دائم يمكن أن يؤدي تالياً إلى إدراك القرابة بينهما، بل كان يوظّف من حين لآخر لاستبيان ما استشكلت قراءته من علامات.

2-4-4

في اللغات الأفروآسيوية، عامةً، نوعان من المقاطع اللّفظيّة، يندرجان في أربع صيغ (مع ملاحظة أننا نستخدم علامة الصائت (V) لتمثيل المدّ والسكون معاً):

- المقطع المفرد، وهو صامت متبوع بحركة، مثلاً: بَ b^a ، (ويماثله: بُ b^u ، بِ b^i ، بـ~ b^e). ويمكن تمثيل هذا المقطع بعلامة الصامت C، مثلاً: كَتَبَ *kataba* ، تُمثَّل: CCC .

- المقطع المركّب، وله صيغ ثلاث:

(1) صامت يليه مدٌّ، مثلاً: با bā (ويماثله: بُو bū ، بِي bī ، بي≈ bē)؛ ويمثّل

هذا المقطع على شكل: CV ، مثلاً: كاتَبَ *kātaba* ، تُنقلُ CVCC .

(2) صامت متبوع بحركة يليه صامت موقوف على السكون، مثلاً: بَرْ bar ، (ويماثله: بِـرْ bir ، بُرْ bur ، بَـرْ ber) ؛ ويمثّل هذا المقطع على شكل (CV) . مثلاً: كَتَبْنَ *katabna* تنقل: CCVC .

(3) صامت يليه مدٌّ فصامت موقوف على السكون، مثلاً: بَارْ bār ، (ويماثله: بُورْ būr ، بـِيرْ bīr ، بيـْر bēr)، ويمثّل هذا المقطع على شكل: CVV ، مثلاً: حُبُوْرْ *ḥubūr* ، تُنقلُ: CCVV .

وفي إظهار الفروقات المترتبة على الاستعاضة بالحركات مضمرةً في جذر الكلمة، عن الصوائت مثبَتَةً فيها، في كتابة المفردات السومرية والعربية، عمدتُ إلى استخدام جديد للعلامات، أعتقد أنه يسهّل عملية القراءة ومتابعتها، فاستبدلت الطريقة المتبعة في النقل الحرفي للعلامات المسمارية، بالابتعاد ما أمكن عن إثبات الصوائت في بنية الكلمة واللجوء إلى وضعها على هامشها بإضافتها تاليةً لكلّ حرف، مقحمةً أعلاه بشكل مميّز. إن tabira (مُعدِّنٌ) مثلاً تُنقل $t^ab^ir^a$ بالحرف اللاتيني، أما بالحرف العربي فتُنقل هكذا: تَبِرَ ، لا: تابيرا، كما دُرج على كتابتها. وmangaga (ليف وسعف النخيل) تُكتب $m^ang^ag^a$ ومَنْگَگَ ، لا: مانگاگا.

5-4

فإذا ما عدنا إلى الصيغ السابقة، وأعدنا قراءتها وتمثيلها بهذ المنهج، ولجأنا إلى الأخذ باللفظ لا الرسم، نجد إن a (ماء) هو حرف الهمزة الصامت (ءَ)، (ʼ)، وليس الصائت (a) أو المدّ (آ) (ā)، وهكذا فإن جميع الكلمات المبدوءة بهذا الحرف لا يمكن تمثيلها ابتداءً بالعلامة V، إن ab مثلاً تُكتب: ءَبْ، وتمثيل مقطعيتها يكون: (•|)، (من اليسار إلى اليمين)، وهي تُنقل: CV، وليس: VC.

وكلمة aba لا تُكتب (آبا)، بل (ءَبَ)، وتمثيلها: (||)، وتُنقل: CC، وليس: VCV، كما أن ورود الحرف بعد a حرف آخر صامت لا يعنى إثباته كصائت طويل. إن gaba مثلاً تُكتب: گَبَ ، وتمثيلها: (||)، وتُنقل: CC، وليس: CVCV. وقد أسفرت إعادة قراءة الصيغ الخمسة والعشرين المشار إليها عن تبدّلات بنيويّة، على النحو التالي:

	بنية الكلمة (هالّران)	مثال	بالحرف العربي	التمثيل المقطعي	بالحرف اللاتيني	بنية الكلمة (الباحث)
1	V	a	ءَ	|	’a	C
2	VC	ab	ءَبْ	|•	’ab	CV
3	CV	ba	بَ	|	b^{a}	C
4	VCV	aba	ءَبَ	||	’ab^{a}	CC
5	CVC	dab	دَبْ	|•	d^{a}b	CV
6	CVCV	gaba	گَبَ	||	g^{a}b^{a}	CC
7	VCVC	ušub	ءُشُبْ	||•	’uš^{u}b	CCV
8	VCCV	úrgu	ءُرگُ	|•|	’urg^{u}	CVC
9	VCCVC	endub	ءِنْدُبْ	|•|•	’end^{u}b	CVCV
10	VCVCV	urudu	ءُرُدُ	|||	’ur^{u}d^{u}	CCC
11	CVCVC	ŋadub	نْگَدُبْ	•|||	ng^{a}d^{u}b	VCCC
12	CVCCV	ŋéšbu	نْگِشْبُ	•|•|	ng^{e}šb^{u}	VCVC
13	VCVCVC	urugal	ءُرُگَلْ	|||•	’^{u}r^{u}g^{a}l	CCCV

<table>
<tr><td>14</td><td>VCCVCV</td><td>eškiri</td><td>ءِشْكِرِ</td><td>|•||</td><td>’ešk^{i}r^{i}</td><td>CVCC</td></tr>
<tr><td>15</td><td>VCCVCVC</td><td>umbisaŋ</td><td>ءُمْبِسَنْگْ</td><td>|•||••</td><td>’^{u}mb^{i}s^{a}ng</td><td>CVCCVV</td></tr>
<tr><td>16</td><td>VCCVCCV</td><td>immindu</td><td>ءِمِّنْدُ</td><td>|•|•|</td><td>’^{i}~~m~~^{i}nd^{u}</td><td>CVCVC</td></tr>
<tr><td>17</td><td>VCVCCVC</td><td>elamkuš</td><td>ءِلَمْكُشْ</td><td>||•|•</td><td>’el^{a}mk^{u}š</td><td>CCVCV</td></tr>
<tr><td>18</td><td>CVCCVC</td><td>Kankal</td><td>كَنْكَلْ</td><td>|•|•</td><td>k^{a}nk^{a}l</td><td>CVCV</td></tr>
<tr><td>19</td><td>CVCVCV</td><td>tabira</td><td>تَبِرَ</td><td>|||</td><td>t^{a}b^{i}r^{a}</td><td>CCC</td></tr>
<tr><td>20</td><td>CVCVCVC</td><td>buranun</td><td>بُرَنُنْ</td><td>|||•</td><td>b^{u}r^{a}n^{u}n</td><td>CCCV</td></tr>
<tr><td>21</td><td>CVCVCCV</td><td>kurušda</td><td>كُرُشْدَ</td><td>||•|</td><td>k^{u}r^{u}šd^{a}</td><td>CCVC</td></tr>
<tr><td>22</td><td>CVCVCCVC</td><td>muẖaldim</td><td>مُخَلْدِمْ</td><td>||•|•</td><td>m^{u}ẖ^{a}ld^{i}m</td><td>CCVCV</td></tr>
<tr><td>23</td><td>CVCCVCV</td><td>mangaga</td><td>مَنْگَگَ</td><td>|•||</td><td>m^{a}ng^{a}g^{a}</td><td>CVCC</td></tr>
<tr><td>24</td><td>CVCCVCVC</td><td>dalhamun</td><td>دَلْهَمُنْ</td><td>|•||•</td><td>d^{a}lh^{a}m^{u}n</td><td>CVCCV</td></tr>
<tr><td>25</td><td>CVCCVCVCV</td><td>Kingusili</td><td>كِنْگُسِلِ</td><td>|•|||</td><td>k^{i}ng^{u}s^{i}l^{i}</td><td>CVCCC</td></tr>
</table>

نشأة السومرية وبنيتها اللفظية حسب نظرية هالُّران وقراءتها أكوستيكياً حسب نظرية الباحث

إنّ هذه المتوالية تُظهِر أن المفردات السومرية تنبني غالباً على البدء بصامت، يليه تسكينٌ (ممثّل هنا بعلامة الصائت)، بشكل تراتبي، وأن هذا التقعيد الفونيطيقي متّصل وذو تركّب منطقي يعتمد على البدء بالصامت والصائت ومضاعفة تكرارهما بنيوياً، وبإعادة تصويت واستظهار هذه الصيغ وتمثيلها مقطعياً وعددها 25، وجدت أنها تقلّصت إلى 17 صيغة، ترادف فيها حرفان صامتان سبع مرات، وثلاثة حروف صامتة أربع مرات، بينما ورد ساكنان متتاليان مرةً واحدة، وكانت الصيغ جميعاً موزّعة على النحو التالي:

<table>
<tr><th></th><th>الصيغة</th><th>مقطعيتها</th><th>تكرارها</th></tr>
<tr><td>1</td><td>C</td><td>|</td><td>2</td></tr>
<tr><td>2</td><td>CV</td><td>|•</td><td>2</td></tr>
<tr><td>3</td><td>CC</td><td>||</td><td>2</td></tr>
<tr><td>4</td><td>CCV</td><td>||•</td><td>1</td></tr>
<tr><td>5</td><td>CVC</td><td>|•|</td><td>1</td></tr>
<tr><td>6</td><td>CCC</td><td>|||</td><td>2</td></tr>
<tr><td>7</td><td>CVCV</td><td>|•|•</td><td>2</td></tr>
<tr><td>8</td><td>VCCC</td><td>•|||</td><td>1</td></tr>
<tr><td>9</td><td>VCVC</td><td>•|•|</td><td>1</td></tr>
<tr><td>10</td><td>CCCV</td><td>|||•</td><td>2</td></tr>
<tr><td>11</td><td>CCVC</td><td>|| •|</td><td>1</td></tr>
<tr><td>12</td><td>CVCC</td><td>|•||</td><td>2</td></tr>
<tr><td>13</td><td>CVCVC</td><td>|•|•|</td><td>1</td></tr>
<tr><td>14</td><td>CCVCV</td><td>||•|•</td><td>2</td></tr>
<tr><td>15</td><td>CVCCV</td><td>|•||•</td><td>1</td></tr>
<tr><td>16</td><td>CVCCC</td><td>|•|||</td><td>1</td></tr>
<tr><td>17</td><td>CVCCVV</td><td>|•||••</td><td>1</td></tr>
</table>

وتثبت القراءة السابقة تشابه التمثيل المقطعي للمفردات المبدوءة بصائت أو صامت، على العكس من التمثيل الدارج في الدراسات اللغوية التي تعتمد على إظهار التمثيل الشكلي لا الصّواتي، كما في المثال التالي الذي نبنيه نظرياً على حرفي الباء والدال وحركة واحدة:

<table>
<tr><th colspan="2">من v إلى vcvcvc</th><th>التمثيل المقطعي</th><th colspan="2">من c إلى cvcvcvcv</th><th>التمثيل المقطعي</th></tr>
<tr><td>a</td><td>ءَ</td><td>|</td><td>da</td><td>دَ</td><td>|</td></tr>
<tr><td>ad</td><td>ءَدْ</td><td>|.</td><td>dab</td><td>دَبْ</td><td>|.</td></tr>
<tr><td>ada</td><td>ءَدَ</td><td>||</td><td>daba</td><td>دَبَ</td><td>||</td></tr>
<tr><td>adab</td><td>ءَدَبْ</td><td>||.</td><td>dabad</td><td>دَبَدْ</td><td>||.</td></tr>
<tr><td>adaba</td><td>ءَدَبَ</td><td>|||</td><td>dabada</td><td>دَبَدَ</td><td>|||</td></tr>
<tr><td>adabad</td><td>ءَدَبَدْ</td><td>|||.</td><td>dabadab</td><td>دَبَدَبْ</td><td>|||.</td></tr>
</table>

أي أن التمثيل المقطعي الأكوستيكي متطابق في الحالتين، إذ أننا نحصل في الأمثلة الإثنى عشر على ستة أبنية مقطعية فقط، كما يمكن اللجوء إلى أي من الوسائط الإلكترونية الشائعة لإثبات هذا التصويت، علماً أن هذه الوسائط تتفق خلاصاتها العامة مع منهج تذوّق الحروف وترتيب مخارجها على طريقة الخليل الفراهيدي.

1-5-4

إن الصيغتين VCCC ، VCVC وقد تكررت كل منهما مرةً واحدة فقط، هما الوحيدتان اللتان تبدأان بسكون، والسبب يعود إلى حرف ĝ أو ŋ الذي يُنطق كما حرفي ng مجتمعين، أي أنه ناتج عن التقاء حرفي النون والگاف في حالة السكون، وقد نُقلا دون سبب واضحٍ حرفاً واحداً. كما أن ورود هذا الحرف في الصيغة CVCCVV جعلها تنتهي بساكنين متتاليين. وكما دعوت (راجع جدول علامات النقحرة) أرى أن يعاد استظهار الحرفين (ن) و(گ) أثناء كتابة الكلمات التي تضمّ

ŋ، مع ما يمكن أن يؤديا إليه من إبدالات، وأن يلغى استخدام هذه العلامة، ويمكن للقارئ العودة إلى المعجم الاشتقاقي في آخر الكتاب، لمقارنة بعض الكلمات السومرية التي تضمّ هذا الحرف المركّب بالكلمات العربيّة التي تضم الحرفين متتاليَين، لمقاربة الأصل فيهما، وهو كما أتوقّع أن يكونا مثبتَين لا مدغَمين. ما يشير أيضاً إلى امتناع التقاء الساكنين كما في العربية، ويمكن لغرَضٍ بحثي صرف، تعديل أسلوب قراءة الكلمات البادئة بهذين الحرفين، فمتى ورَدَا متتاليين يحالان إلى أحد افتراضين، إما بسبْق ما يعرف بألف الاتكاء على أولهما، أو بتحريكه، هكذا فإن كلمة ĝadub مثلاً يمكن أن تُقرأ: angadub’ أو nagadub.

2-5-4

هذه تقريباً أهمّ الملاحظات التي يمكن توجيهها إلى نظرية هالُران، وهي تُبرز لنا أن القراءة الغالبة على نشأة السومرية وبنيتها المعجمية إنما تستند إلى منهجية تراتبية مغلقة – إذا جازت التسمية – بحيث تسعى إلى تطويع اللغة السومرية إلى الدّرْس الألسني الهندوأوروبي – أو الغربي إذا شئنا – وأنها لا تراعي البيئة الحضارية التي كوّنت السمات الصَّورفية والفونيطيقية للغة السومرية.

إن الخطوة الأولى بعد هذه القراءة تستدعي النظر إلى التراث اللغوي للشرق الأدنى ضمن معطيات نشأته وتكوّنه وتحولاته التي تمتدّ لأكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد. إن ما نقترحه لا يتعدّى مبدأً بسيطاً من هذه الجهة في فهم الحراك اللغوي والثقافي والإجتماعي في بلاد الرافدين، ونستطيع – انطلاقاً من هذا التأسيس – أن نركّز على الأصول التي تمّ بناءً عليها قراءة السومرية والأكدية ضمن منظومة التفاعلات اللغوية التي كُتبت بالخط المسماري.

6-4 : الضمائم السومريّة

لفهم آلية عمل الضمائم واستخدام الصوامت والحركات، أعتقد أننا في حاجة إلى بعضٍ من عمل المخيلة لإدراك الأساليب التي جمع بها السومريون الأوائل هذه المقاطع لإنتاج المفردات وتوليد الدلالات. وأدعو أن يقوم الباحثون أولا بنوع من تفريغ الذاكرة مما أسميه «العادات المعجمية» التي تجعل من الكلمة «شيئاً» مرئياً ثابتاً غير متحرك، له بداية أو رأس حرفي، ونهاية أو ذيل، يمكن تتبع لاحقاته وسابقاته ومقحماته (مزيداته) للوصول إلى اللفظ وتثبيت معناه؛ وأن نستعيض عن ذلك بالتفكير في المحمولات الاجتماعية والدينية والحياتية للكلام السومري، بالاعتماد على معرفة متأنية مدقّقةٍ مقارنةٍ بطرق وأساليب ممارستهم اليومية للحياة، ذلك يعني باختصار تقاليد وأنماط العيْش: العمل، التبادل، الكسب، الزراعة، الري، الزواج، الولادة، العمادة، مراحل الشباب والفتوّة، الموت، الدفن، الصلاة، العبادة، القرابين؛ والإنفعالات: السعادة، الحب، الغضب، الرضى، الفخر، التمني.. إلى آخر ذلك؛ كما يعني العودة إلى ما شاع بين السومريين من أمثال، وتعبيرات، وحكايات نصحيّة أو مواعظ، تضمّنت تحميل الكلام دلالاته الثانية، أو الإحاليّة، بالإضافة إلى الأولى أو المعجمية الصريحة. وإعادة بناء الأساليب الأدبية والبلاغية التي جرى بها اللسان السومري كالكناية والاستعارة، وصيغ تشكّل اللغة في الأدب الملحمي، وأنماط استظهار الدلالة والتفكير فيها، وهي أساسية في تركيب الضمائم (المفردات والجمل) وإنتاج النصوص.

إن عملاً كهذا ينضوي تحت اللغويات الاجتماعية، لا يكتمل إلا بالاعتماد على الدراسة الإثنولوجية والأنثروبولوجية مقارنةً باللغويات الإيتمولوجية، والنقد الأدبي التاريخي. فمرجع تتبع تشكّل المفردة ليس لغوياً فقط، ولا تاريخياً

مرتبطاً برحلة الكلمات وتنقلها بين الأمكنة؛ بل ذا صلة، إجمالاً، بالحراك الاجتماعي والثقافي في مختلف مستوياته، وعبر مختلف مراحله، سواء تم ذلك في منطقة واحدة أو بين مناطق عدة.

1-6-4

لقد قُرئت جميع النصوص السومرية في مختلف مراحلها، التي تمتد ثلاثة آلاف عام، بالاستناد إلى المقاربات الصوتية للعلامات المسمارية التي تعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد (حوالي 1850 ق.م) والتي سجّلت بها المعجمات الأكدية الشارحة للسومرية، بالرغم من أن كثير من الإشارات تبين لنا بأن نطق العلامات المسمارية قد طرأ عليه تغيير منذ مرحلة العصر السومري الحديث[1]، وتدل المقارنة بين بعض الكلمات السومرية وما يقابلها في الأكدية على أن تبادلاً حدث بين حرفي (ت) t و(د) d، وبين حرفي (گ g) و(ک k)، وبين حرفي (س s) و(ز z)، كما في الأمثلة التالية[2]:

س.	أك.	ع.
dam-ḫa-ra	tamḫarum	معركة
ma-da	mātum	أرض
ša-tu	šadûm	جبل
ga-ra-an	karmum	كرمة (كرمٌ)
rá-gaba	rākibum	رسول، مسافر (راكب)

1- فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، مديرية الثقافة، بغداد، 1972، ص38.

2- الأمثلة مستقاة من م. س. ص 39، 40.

ga-ba-ra	kaparrum	راعٍ صغير
maš-gána	maškānum	مخزن غلال (مسكن)
gu-za	kussûm	عرش، كرسي
e-gal	ekallum	قصر (هيكل)
zá-mī	sammum	قيثارة

2-6-4

ويمكن الاستفادة من إشكاليات قراءة الأكديّة، للتعرّف على الصعوبات التي واكبت نقحرة العلامات المسمارية، وتشكّل الأكدية مع السومرية، بيئة لغوية وحضارية واحدة، استفادتا من نفس تقنيات التمثيل والأداء، فضلاً عما عرفتاه من تقارض وتآثر.

يقرّر موسكاتي في معرض حديثه عن تبدّلات الحروف في الأكدية، أن غياب حرف الواو في النصوص السومرية يرجع، في الغالب، إلى طرق نقل العلامات المسمارية ونقحرتها، لا إلى أسباب تلفّظية[1]، إذ لا يمكن الجزم على الإطلاق أن السومريين لم ينطقو هذا الحرف. كما أنه من الصعب الآن التيقّن من صحّة جميع ما تمّ نقله حرفياً من تلك العلامات، بمقابلاتها اللاتينية، خاصة وأن قراءتها ظلت مشوبةً بالشك في أكثر من موضع، ومن ذلك فكرة أن العلامات لم تمثّل بشكل صريح جميع الحروف، وكما يقول موسكاتي فأن «نظام الكتابة المسماري لم يميّز تمييزاً كافياً بين (پ p) و(ب b)»[2] على سبيل المثال، الأمر الذي يمكن اعتماده

1- موسكاتي، ص51.

2- ن. م، ص52.

كمظهر لما حدث من «تذبذب نقشيّ لا يستهان به»[1] على حدّ تعبيره.

ومن ملاحظات موسكاتي على الأكدية القديمة أن حرف (ث t) كُتب بسلسلة من علامات الحرف السومري (ش š)، على أن كتابة حرف (ش) تمت بسلسلة من رموز حرف (س s)، وأن تغييراً، بالتالي، حدث فيما بعد في اللغات السامية من (ث t) إلى (ش š).[2] كما أن علامة حرف (د d) المسمارية مثّلت حرف (ط ṭ) في البابلية القديمة، مع ملاحظة أن حرف (ط ṭ) مثّلته علامة حرف (ت t) في شمال بابل، وأن الكتابات المصرية في الألف الثاني قبل الميلاد استخدمت (د d) بدلاً من (ط ṭ) للأسماء الأكدية، وبشكل عام فإن الأكدية لا تبدو أنها تميّز في آخر الكلمة بين (ت t)، (د d)، و(ط ṭ) لخصوصية في الخط المسماري،[3] الذي يبدو أيضاً غير مناسب لتمثيل الاختلاف بين حروف (س s)، (ز z) و(ص ṣ) في جميع الحالات.[4] وكذلك (ک k) و(گ g) في بعض الحالات.[5] و(خ ḫ) و(ک k) في حالات أخرى، وإن كانت الأخيرة إبدالاً شائعاً في الأكدية.

العلامة e استخدمت للقيمتين الصوتيتين a’ و’a اللذان من المحتمل أنهما يقابلان الساكنين (ه h) و(ح ḥ).[6] ولم يكن للهمزة علامة خاصة إلا في الحقبتين البابلية المتوسطة والأشورية المتوسطة، بل لم تكن حتى ذلك الوقت تستعمل بانتظام، وقد تمّ تمثيل الهمزة بطرق مختلفة: بعلامة المدّ (آ) (كما في *iš-a-am*

1- ن. م. ص52.

2- م، ص 56.

3- ن. م، ص 60.

4- ن. م، ص 66.

5- ن. م، ص 70.

6- ن.م، ص 76.

لكلمة *iš’am*) أو بعلامة (خ ẖ) (كما في *e-ḫi-il-tum* لكلمة *e-’i-il-tum*)،[1]
و«إلى حقبتي البابلية القديمة والأشورية القديمة كانت المقاطع (وَ wa)، (وَ˜ we)، (وِ wi)، (وُ wu)، تكتب مع العلامة السومرية (pi)؛ وفي بابل كانت العلامات التي تستعمل فيما بعد لتمثيل (م m) تستعمل لتمثيل (و w) في أغلب الأحوال، وفي آشور كانت العلامات التي تستعمل لتمثيل (ب b) (مثال: البابلية القديمة والأشورية: ءَواتُم *awātum* (كلمة)، أصبحت في البابلية المتوسّطة ءَماتُ *amātu*، وفي الأشورية الوسيطة ءَبَتُ *abatu*. وفي أوائل الألفاظ بقيت (و w)، بعامة، إلى مرحلة البابلية القديمة والأشورية القديمة، أما بعد ذلك فقد حذفت، أو انقلبت همزة، أو كتبت مع علامات تمثيل (م m) (كما في وُشُّرُم *wuššurum* (إرسال) فإنها صارت ءُشُّرُ *uššuru* ومُشُّرُ *muššuru*؛ وكما في وَرَادُم *warādum* (نزول، انحدار) فإنها صارت ءَرادُ *arādu*، أما لتمثيل (ي y) فلا يوجد في العلامات السومرية إلا السياق الصوتي: i-a، ولا يستعمل لتمثيل المقطع الأكدي (يَ ya) فقط، ولكن للمقطع (يِ yi) و(يَ˜ ye) و(يُ yu)، وتستعمل العلامتان a-a لتمثيل: (ءَيْ ay [i̯])، (آيَ āya)، (ءَيَّ ayya)، (ءَيّ˜ ayye) و(ءَيُّ ayyu)».[2]

3-6-4

نعود إلى حرف الخاء الذي قرّبه قراء السومرية من الألمان من اجتماع حرفي ch، كما في كلمة *boch*. فإذا كان الخاء وارداً هكذا بهذا اليسر في نطْق السومريين، على نبْره ذي الفرق الطفيف، فلما لا يكون العين كذلك؟ والعين حرف محرّم، مغيّب، لساميّته، وشرقيّته، وخاصيّةُ أوليّةِ primacy العين معروفةٌ في اكتشافِ

1- ن. م، ص 77.

2- ن. م، ص 82، بتصرفٍ في طريقة نقل علامات النقحرة.

الفراهيدي الذي بدأ به معجمه الفريد بين مصنّفات اللغة.

عالجت المسجّلاتِ صوائتَ من a وe وi وu في بدايات الكلمات، فوجدت، قياساً بلسان العرب، عديداً منها يُغيّب حرف العين ويضمره:

-ءَ (a) 𒀀 ، ءَ$_2$ 𒀉 = عَ ($'a$) .

-ءِ (i) 𒄿 = عِ ($'i$) .

-ءُ (u) 𒌋 ، ءُ$_2$ 𒌑 ، ءُ$_3$ 𒅇 ، ءُ$_4$ 𒌦 ، ءُ$_5$ 𒂊 = عُ ($'u$) .

-ءˇ (e) 𒂊، ءˇ$_2$ 𒂍، ءˇ$_3$ 𒀀، ءˇ$_4$ 𒀀، ءˇ$_5$ 𒉌 = عˇ ($'e$) .

وتجمّع لدي من الشواهد ما جعلني أعرف أن أولئك القراء إنما عنوا بتقريب السومرية لفظاً إلى ما في اللغات الهندوأوروبية من حروف، دون مقاربة مخارج هذه الحروف وأزمنة تصويتها مع ما جاور السومرية من لغات، وعلى رأسها الأكدية واللغات التي تفرّعت عنها، فانتشرت واسترسلت، فكان منها ما هو أكثر قرباً إلى مبدأه، وما هو أبعد بهذا القدر أو ذاك. بل أن بعض الحروف تم تغييبها لأسباب تتعلق بنقحرة العلامات ولا تتعلق بتلفّظها ضمن اتجاه عام غلّب إحلال الأصوات القريبة من الشفاه والأسنان على الأصوات الحلقية واللهوية المميزة للأفروآسيويات. [1]

1- في «ملاحم وأساطير من أوغاريت- ص 54» لاحظ أنيس فريحة أن الكتابة البابلية الأشورية لا تحتوي على علامة حرف العين «لذا ترى حرف العين في لغتهم مُليّناً إلى حرف حركته»، فاسم «ءشتر» في بابل إنما هو «عثتر» الوارد ذكره في النصوص الأوغاريتية، وكذلك في النقوش العربية الجنوبية. وكما أشرنا فنحن نعتبر أن: ءَ 𒀀، ءَ$_2$ 𒀉، ءِ 𒄿، ءُ 𒌋 ، ءُ$_2$ 𒌑 ، ءˇ 𒂊 ، ءˇ$_2$ 𒂍 ، ءˇ$_3$ 𒀀 مثلاً، تضمر حرف العين في الكثير من مفردات القاموس السومري.

هذه بعض الأمثلة:

- (س) ili_5 (ءِلِ): نهض، ارتفع ← *‘ili* (عِلِ) ← (ع) عَلِيَ وعلا: ارتفع، والعليُّ: الرفيع.

- (س) illu (ءِلُ): مياه عالية، فيضان ← *‘illu* (عِلُ) ← (ع) العُلْو وهو أرفع كل شيء. ومنه عالية الوادي: من حيث ينحدر الماء.

- (س) abgal (ءَبْگل): رجل حكيم، ساحر ← *‘abgal* (عبگل) ← بإبدال اللام راءً، (ع) عبقر: قرية يسكنها الجنّ فيما زعموا، يُنسب إليها كلّ شيء فائق غريب أو عظيم. ومنها صفة العبقري.

- (س) ablal (ءَبْلَلْ): عشّ، وكر الطير ← *‘ablal* (عَبْلَل) ← (ع) العَبَل: الورق الدقيق، وقيل العبل مثل الورق وليس بورق.

- (س) agar (ءَگَر): حقل ← *‘agar* (عگر) ← (ع) العَقْر والعقار: المنـزل والضيعة والنخل والأرض.

- (س) agrun (ءَگْرُن): حرَمٌ، مَقْدَسٌ ← *‘agrun* (عگْرُنْ) ← (ع) العَقْرُ: القصرُ، القصر الذي يكون معتَمَداً لأهل القرية، عقر الدار: أصلها أو وسطها. وفي الحديث: عقر دار الإسلام الشامُ.

- (س) agarin (ءَگَرِن): نبتة يكون نقيعها جعةً أو خمراً، الراقود: حوض التخمير ← ‘agarin (عَگَرِن) ← (ع) العُقار: الخمر، عاقر النبيذ: داومه، وأصله من عُقر الحوض، العَقّار: ما يتداوى به من النبات.

- (س) akan (ءَكَنْ): ضَرْع الشاة ← *‘akan* (عكَن) ← (ع) العُكن: الأطواء في البطن من السِّمَن. ناقة عكناء: غليظة لحم الضَّرَّة والخِلف.

- (س) aka (ءَكَ): أُسكُفّة الباب، عتبة عليا تشدّ جانبيه ← *'aka* (عَكَ) ← (ع) عَكَا: شدّ وأوثق، العُكوة: حُجْزَة غليظة.

- (س) aĝar (ءَنگَرْ): وابلٌ، مطر غزير ← *'aĝar* (عَگَر) ← (ع) عَكَرَ المطر: اشتدّ.

- (س) akkil (ءَكِلْ): النواح على الميت ← *'akkil* (عكِل) ← (ع) العَقل: ديّة القتيل.

- (س) alad (ءَلَد) : الجَلَد، قوة الشكيمة ← *'alad* (عَلَد) ← (ع) العَلْد: رجل صلب شديد، رجل عِلْوَدّ: ذو قسوة.

- (س) alam (ءَلَم) : صورة، شكل، نُصْب ← *'alam* (عَلَم) ← (ع) العَلَم: أشياء تُنصب في الفلوات يهتدي بها الناس، الوسم، رسْم الثوب، العلامة.

- (س) alan (ءَلَن): مظهر ← *'alan* (عَلَن) ← (ع) العلن: الظهور والشيوع.

فإذا صحّ أن السومريين نطقوا حرف العين على هذا القياس المعجمي، فلم لا يكونوا قد عرفوا حروف الحلق جميعاً، كما نعرفها، مع استثناء تمييزها بقدر أو بآخر؟ بما يصحّ أن نسميه بيئةَ تلفّظ محليّة خاصة، جعلت لكلّ حرف فروق طفيفة لا تعارض طبيعته الأكوستيكية Acoustic [المسموعيّة]، ولا تنفي مادّته نطقاً وسمعاً في فيزيائيتها العامة. كيف يمكن للسومريين ألا يكونوا قد نطقوا حرف الهاء مثلاً؟ وهو حرف يجوز نعته بالبدائي لأصليته وأوليته وعدم خلو لغة في العالم منه، ولماذا استبدل به حرف الخاء، والأول أسبق وأيسر مخرجاً. ثم بأية حجّة مقنعة نقدّر أنهم لم ينطقوا الغين أو الثاء أو غير ذلك من الحروف المغيَّبة؟

قد نقول أن الحروف الذلقية متطوّرة في مسار اللغة عن الحروف الأسليّة،

لقربٍ في حيوز بعضها البعض، ولأن الثانية تبدو كما لو كانت مركّبة ذوقياً عن الأولى، أو متفرعة منها مع جهدٍ لا تقتضيه التلقائية التي نحكم بها للسومرية، وقد نقول أن الفاء (التي لا تعدّ من حروف السومرية) مضمرة في الباء، أو بالأحرى في الپاء، وأن الطاء مضمرة في التاء، وأن الصاد مضمرة في السين، وهكذا؛ إلا أن بعض الحروف المستقلّة حيّزاً كالعين والحاء والهاء لا وجود لها أيضاً في «نقحرة» الحروف السومرية، كما نُقلت لنا من دارسيها الغربيين.

في الجدول التالي أبيّن ما أمكنني حصره أولياً من أشكال مختلفة لقراءة العلامات السومرية كما نقلت بالحروف اللاتينية، ومبدلاتها العربية التي سوف أتناولها بالتأثيل في مشروع المعجم (الفصل الخامس).

Ar.				Su.
ح ḥ	ق q	هـ h	ع ʻ	a
			ف f	b
		ف f	ب b	p
ك k	ق q	غ ġ	ج j	g
نك nk	نق nq	نغ nġ	نج nj	ĝ
ك k	ق q	غ ġ	ج j	ĝ
		ط	ت t	d
	ص ṣ	ش š	ز z	s

وهي ظاهرة عرفتها العربية في إبدلالات مفرداتها، وقد وُضع لأغلبها مسميات تعبّر عنها وتحدّد أثرها: استنطاء بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار: (عْ

← نْ، أعطى ← أنْطى). شنشنة اليمن: (ك ← ش، لبّيْك ← لبّيْش). طمطمانيّة حمير: (ال ← امْ، طاب الهواء ← طاب مْهَواء). عجعجة قضاعة: (يَ ← جَ، تميميّ ← تميمجّ). عنعنة قيس وتميم: (أسلم ← عسلم)، فخفخة هذيل: (ح ← ع). لخلخانيّة الشّحر: (اليمن) وعمان (مشالله ← ما شاء الله). وتْم اليمن: (س ← ت، الناس ← النّات).[1] كما عرفت المصرية القديمة ابدالات كثيرة منها: (أ ← ع)، (ز ← س)، (س ← ج)، (ج ← د)، (ث ← ت)، (خ ← غ).[2]
وللمقارنة نورد الإبدالات التالية بين العربيّة والعبرية التي يمكن الرجوع إلى بحث د. ربحي كمال «التضاد في ضوء اللغات السامية» للتعرّف على أمثلتها:

- א «ء» ← «ح»، «ع»، «هـ»، «و» أو «ق» .
- ב «ب» ← «م»، «ف» أو «و» .
- ג «ج» ← «غ»، «ق»، «ك» أو «ط» .
- ד «د» ← «ذ»، «ز» أو «ت» .

1- ومن هذه الظواهر: وكْم ربيعة (عليْكُم ← عليكِم، كلما كان قبل الكاف ياء أو كسرة). وهْم كلب (مِنْهُم ← مِنْهِم وإن لم قبل الهاء ياء أو كسرة). الإبدال (أولئك ← أولالك). إبدال الصحيح معتلاً (أمّا ← أيما). الاشتقاق (حفرتُ البئر حتى أمَهْتُ وأمْهَوْتُ، أي: انتهيتُ إلى الماء). الإعراب (إنّ هذين ← إن هذان). الإمالة والتفخيم (رَمَى ← رمى). التحقيق والاختلاس (يأمرُكم ← يأمرْكم). التذكير والتأنيث (هذه النّخل ← هذا النخل). التضاد (ثب ← اقعد، في لغة حمير). الجمْع (أسرى ← أسارى). الحذف والإثبات (استحيَيْتُ ← استحيت). الحركات: (نَستعين ← نِستعين). الحركة والسكون (مَعَكم ← معْكم). الزيادة (أنظُرُ ← أنظورُ). القلب (صاعقة ← صاقعة). الهمز والتليين (مستهزئون ← مستهْزُون). الوقف على الهاء (أمة ← أمّه). ولعلّ مبعث هذا المبحث كان ما أصطلح عليه بالقراءات السبع، أو القراءات العشر، بل أن أبا بكر الواسطي في كتابه «الإرشاد في القراءات العشر» عدّها خمسين لغة.

2- موني، المعجم الوجيز في اللغة المصرية، ص 30.

- ה «هـ» ← «ء»، «ع» أو «و» .
- ו «و» ← «ب» أو «م» .
- ז «ز» ← «ذ»، «ر»، «س» أو «د».
- ח «ح» ← «خ»، «ع»، «غ»، «ج»، «ت»، «ك»، «هـ» أو «ء» .
- ט «ط» ← «ظ»، «ت»، «ص»، «ض»، «ذ» أو «ج» .
- י «ي» ← «و» أو «هـ» .
- כ «ك» ← «ق» أو «خ» .
- ל «ل» ← «م»، «ن» أو «ر» .
- מ «م» ← «ب» .
- נ «ن» ← «م»، «ل» أو «ر» .
- ס «س» ← «ش»، «ث»، «ذ»، «ص»، «ض»، «ز» أو «ت» .
- ע «ع» ← «غ»، «ء» أو «هـ» .
- פ «ف» ← «ب»، «ث» أو «م» .
- צ «ص» ← «ض»، «ط»، «ظ»، «ز»، «س» أو «ش».
-ק «ق» ← «ك»، «ج» أو «غ» .
-ר «ر» ← «ل».
-ש «ش» ← «ث»، «س»، «ص»، «ج»، «ت» أو «ك» .
-ת «ت» ← «ث»، «س»، «د»، «ط» أو «ج».

إن أولى الملاحظات التي ننتهي إليها من خلال هذا العرض المقارن، هي أن الإبدالات متوافقة إلى درجة التطابق أحياناً بين السومرية والأكدية والمصرية والعربية والعبرية، ما يمهّد أيضاً لإعادة قراءة المنظومة الصورفية والمعجمية الأفروآسيوية وإدراك مساراتها وتشعباتها بمنهج مختلف يأخذ بعين الإعتبار تلك التواشجات بين السومرية واللغات الأفروآسيوية.

4- 7 : إعادة قراءة اللغة العربية

اللغة العربية اكتست زيّها بالزيادة على الأصل السومري الذي توضّع فيها كطبقة تحتية داخلة في نسيجها متداخلة معه، وملاحظة التنوّع الفونيمي واختلافه بين اللغتين لا يلغي اتصال هذه المسألة، فالعربيّة بتدقيق ابن سيبويه تفوق الأربعين حرفاً، استقرّ منها ما ائتلف في اللسان العربي تخفّفاً عبر الزمان فشكّل مادة صوتها، وتلك حقيقة يمكن استشفاف شواهدها من دراسة اللهجات العربية الحالية، إذ إننا بالترجيحات الفونيطيقة ربما نكتشف أنها تزيد عن خمسين.

وعندما نقول أن السومرية كامنة كطبقة تحتية في العربية فذلك يعني أن العربيّ إذا تلفّظ بكلمةٍ، فإنه يقول كلمتين وثلاثاً وربما أربعاً من السومرية، دون أن يتبيّن الجذور المقطعية السومرية التي توطّنتْ في جذور المفردات العربية، وتلاشت في الاشتقاق. وقد كانت كلمة: كَتَبَ، أولى الكلمات التي تبدّت لي وفق هذا المنهج، إذ في سياقها التركيبي كما ورثناه وتداولناه تبرز الدلالة الأساسية المتعارف عليها (مع المقارنة بدلالات ثانوية يوردها المعجم العربي)، بمعنى: «خطّ كلمات من اللغة على سطحٍ هو غالباً ورقةٌ»، ويمكن العثور على ثلاثة مقاطع جذرية من اللغة السومرية، سرعان ما ندرك أنها أصلٌ كامن في كلمةٍ أصلٍ نجذّرها ثلاثياً بهذه الصيغة: (ك.ت. ب)، وهي كالآتي:

كَ k^a : فم، كلام.

تَ t^a : بـ، بواسطة، وغالباً ما يليها اسم أداة.

بَ b^a : وهى أداة خشبيّة لكشط ألواح الطين والرقن أو النقش عليها.

هكذا تكون الدلالة الأساسية لكلمة كَتَبَ العربية، هي: الكلام بأداة النقش. أو

الكلام بالقلم، حيث تمثيل الكلام بعلامات محدّدة على سطح غير محدّد. أما السومريون فقد عرفوا صفة «كتب» بما نسميه الآن بكلمة: عيي، (راجع مادة katab في المعجم)، والمعنى إجمالاً كان: مَن يعبّر بغير النطق، أو غير القادر على الكلام، أو الممنوع منه، أما الكلام فهو:

كَ ka : فم، كلام.

لَمْ lam : كثرة، استرسال.

أي أن السومريين ربما لم يعرفوا في معنى «كَلَم» سوى الهذر، كثرة الكلام. بينما إذا أرادو الحديث عن «الحديث» قالوا «دِ» di ، التي ستتوَطّن الجذر «دوي» بينما ستحلّ في اللهجة بمعنى الكلام والهذر معاً: «دُوَّة». أما اللسان أو اللغة فقد عبروا عنها بكلمة eme التي ستتحول إلى العربية: «أَمٌّ» بمعنى القصد والتوجّه في الكلام والرغبة والمسير وغير ذلك؛ على أن «لُغَة» العربية ليست سوى مقطعين جذريين سومريين هما: «لُ» lu : رجل، إنسان. «گو» gu : صوت. فاللغو أو اللغة إنما هما صوت الإنسان، وهذه الكلمة سوف تتحول أيضاً إلى logo أو logos اليونانية بنفس المعنى، قبل أن تتعدد دلالاتها: كلمة، عقل، روح.

يمكن صوْغ آليّةِ تجذّر الضمائم هذه في العلاقة البسيطة:

م ← ت

إن عدداً من المقاطع الجذرية (م) تنتج سياقاً دلالياً تركيبياً (ت)، ونستطيع ملاحظة أن هذه العلاقة أنتجت أيضاً قاعدةً مفادها: «إن الغالب الأعم من مفردات العربية إنما هي سياقات تركيبية لمقاطع سومرية»، وقد أبانت لي المتابعة المعجمية عن ضرورة اعتماد سياقين افتراضيين لتأكيد هذه العلاقة:

الأول: إعادة قراءة المقاطع السومرية جذريّاً.

الثاني: إعادة قراءة الجذور العربيّة مقطعياً.

وكان أول ما اصطدمت به واقعُ أن السومرية إلصاقيّةٌ من حيث تشكّل مفرداتها، إذ يؤدي اجتماع فونيم بآخر إلى تركيب دالّ أولي هو المقطع، ويؤدي اجتماع مقطع بآخر إلى تركيب دالّ أوليّ هو الكلمة. وأن المدلول متحوّل بين التركيبين، وأن سياق التركيبات إنما يتبع أنساقاً لا يمكن فهمها إلا بمقاربات بلاغيّة، منها ما نعثر عليه في الألواح المسمارية التي حفظت لنا مآثر السومريين، ومنها لا نعثر عليه، وربما لن نجده إلا الأبد، من كلام لم يُحفظ.

ثاني العقبات كانت جذريّة العربيّة، التي تحوّلت إلى أنساق ثابتةٍ، وقواعد مقنّنة، وأصولٍ لا جوازَ لغير ما هو مؤصّل منها. وواقع أنها لغة معربة لا صلة له بالبنية المقطعيّة التي ميّزت غيرها من اللغات، بل أن ما يسري على العربيّة يسري على غيرها من شقيقاتها الأفروآسيويّات، أي أن المسألة تتصل بمنظومة لغوية متكاملة لا بحالة واحدةٍ يمكننا معالجتها مفرَدةً.

التعامل مع محور أفقي لهذه الإشكالية يجعل كلّ مقاربة مستحيلةً، ويوقف البحث عند حدّ بدايته، إذ كيف يمكن وصل ما لا يأتلف، وصهر ما يختلف، واستئناف ما هو منفصل أصلاً؟

في معالجة معادلة التحوّل:

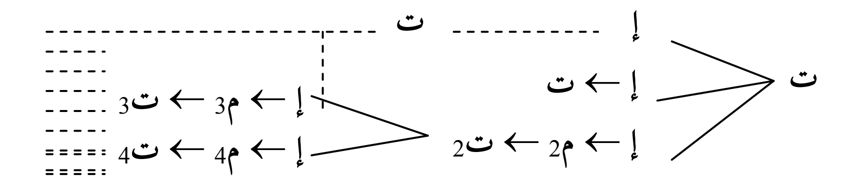
م ← ت ← إ

نجد أن الضمائم تنتقل متحوّلةً إلى واحد من أوجه صرف المعنى دون تغيير في بناء المقاطع الجذرية، أي أن سياقاً تركيبيّاً، مزدوجاً من حيث تناوب اتصاله

بالدلالة الأساسية وانفصاله عنها، ينشأ عن مستوى واحد، أو عدّة مستويات من الإزاحة، وهي مسألة تعاقبيّة تراكميّة يلتقي في تركيبها طرفان هما: (أ) الاشتقاقي (الإيتمولوجي) متمثّلاً في تواتر اللفظ بتواتر فونيماته المكوّنة له، وبترتيب أكثر ما يصيبه من تغيّر هو القلب والإبدال ضمن حيّز أو حيوز متماثلة؛ و(ب) البلاغي (الاستعارة والكناية) متمثّلاً في إسناد دلالة جديدة أو متطوّرة عن أخرى قديمة شائعة، مع استمرار الاستدلال عليها بالشقّ الأول من التركيب أي اشتقاقيته وتواتر فونيماته، وإن كانت هنا محتملةٌ في تجاوز حيوزها اللفظية السابقة.

م ← ت ← إ ← م2 ← ت2 ← إ2

مع ملاحظة أن هذا الترتيب النسقي الخطّي يظلّ افتراضياً أو نظرياً، إذ من الناحية الواقعية تتبع السياقات التركيبية وإنتاج الضمائم وحدوث الإزاحة وتأثيراتها مسارات تشعّبية غير خطيّة.



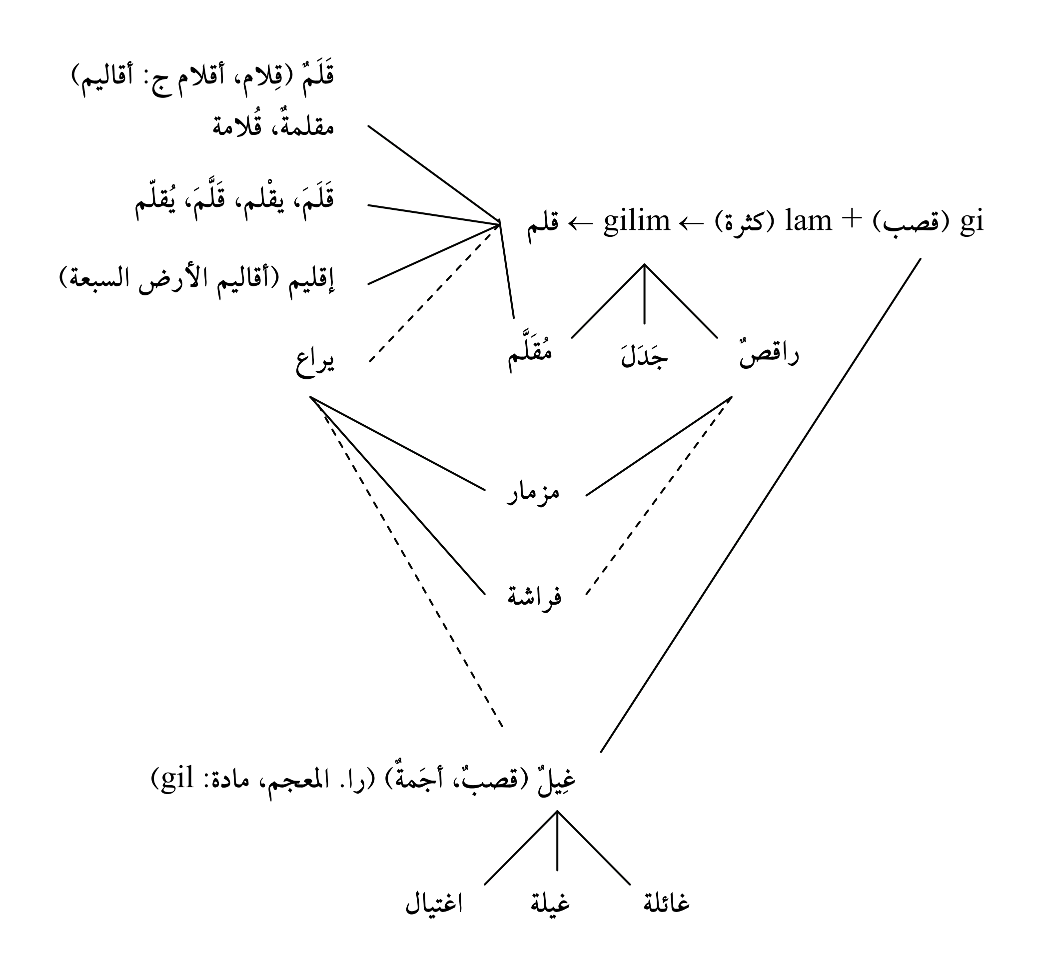
مثال: كلمة قلم *qalam* العربية، هي gilim السومرية، وتعني أعواد القصب، والأصل فيها gilam لأنها تتكون من مقطعين جذريّيْن هما، gi: قصب + lam: كثرة، وهي (أي lam) في العربية لَمْلَمَ، وقد كانت الأقلام تُقدّ من القصب، واحتفظت العربية بصِواتة gilam في قِلام *qilam* (g ← q)، وهي إحدى صيغ

جمعِ قَلَم. ومن اجتماع المقطعين اشتقّ العرب صيغة الفعل: قَلَمَ يقلم، أي يبري، وفسّروا اسم القَلَم بقولهم: «سمي قلما لأنه يُقلم مرة بعد مرة» أما القَلَم أي السهم «الذي يُجال بين القوم في القمار» فلأنه يُقْلَمُ أيضاً أي يُبْرَى، كما اشتقّوا كلمة المِقلَمة: وعاء الأقلام، ثم جعلوا منها وعاء قضيب البعير، .. إلخ. ومنه أيضاً: إقليم، «لأنه مقلوم من الإقليم الذي يتاخمه، أي مقطوع»، لكن كلمة قلم الأصلية انصرفت لاحقاً إلى الدلالة على كلّ أدوات الكتابة، كما جعل العربُ اليراعَ اسماً آخر للقصب، وصرفوا معناه غالباً إلى معنيين على القياس، الأول هو القلم لكونه قصباً يُقدّ فيكون قلماً يُكتب به، والثاني هو المزمار لأنه «القصبة التي ينفخ فيها الراعي»[1]، وتشترك هذه الدلالة جزئياً مع دلالة أخرى لكلمة gilim السومرية وهي: راقص، وهي استعارةٌ سومرية تضمر خفّة الوزن، وبإزاحة مركّبة لما تكون عليه أعواد القصب من تجويف صرف العرب كلمة يراع في مستوى آخر من إعادة تركيب دلالتها في سياق جديد إلى معنى الجبان: «الذي لا عقل له ولا رأي»[2] أي الأجوف، أما كلمة يراعة التي جُمعت على يراع، وهي: «ذباب يطير بالليل كأنه نارٌ»، أو كلمة يراع كما استخدمت مفردةً لتكون: «فراشة إذا طارت بالليل لم يشكّ مَن يعرفها أنها شرارة طارت عن نار»[3] ففيها إضمار لمعنى الكتابة. وفي الأخير إحالة لا يمكن فهمها إلا بتأويل دلالي يقارب سرعة حركة الفراشة (اليراع = القلم) في الظلام (رقيم الكتابة)!.

1- اللسان: يرع.

2- ن.م.

3- ن.م.



الإزاحة وتحول الضمائم (المقاطع الجذرية)

4- 8 : المتوالية الأفروآسيوية

يمكننا، بتطبيق مثل هذه المقاربات، فهم مسارات الانتشار والتحوّل، من السومرية إلى العربيّة، حيث تتبدى المقاطع الجذرية كشبكة لانهائية من الدوال، تنتقل بحمولاتها البدئيّة من مفردة إلى أخرى، لتكوّن سياقات دلاليّة تركيبيّة جديدة، منها ما هو متجانس لفظاً ومعنى، ومنها ما هو متفق لفظاً مختلف معنىً، بحسب الوصف العربي القديم.

وتجدر هنا ملاحظة ما يلي:

- الانتشار والتحوّل ليسا متعاقبين، بقدر ما هما متزامنان، وإن كانا غير انتظامييْن في ظهور السياقات التركيبية اللغوية الناتجة عنهما، مع الانتباه إلى أن كلّ سياق تركيبي معرّض للإزاحة وإن على نحو بطيء متدرّج غير ملحوظ في زمنه التداولي. حيث «يكون مسار الظاهرة نحو اكتمالها حلزونياً: فيه عوْد على بدء، وفي كلّ عوْد فويرقات كميّة ونوعيّة تجرّ الظاهرة من وضعها الأول إلى وضع جديد مغاير حتى تُفارق منطلقها البدائي إلى صيرورة التكامل».[1]

- إن ما يصحّ بالنسبة للعلاقة بين اللغات المتجاورة (أي فروع الضميمة الواحدة أو الضمائم المتقاربة)، يصحّ كذلك على وجهين:

أولاً: بالنسبة لِلَهجات اللغة الواحدة، أي أن حقل الانتشار والتحوّل يكون مشتركاً بين لهجتين من نفس اللغة.[2]

1- عبدالسلام المسدي، التفكير اللساني، ص86.

2- كما في هذا المثال المقارن بين عدّة لهجات عربيّة محكيّة، قد يكون التحول صِواتياً طفيفاً، محافظاً على الدلالة الأصلية ضمن حقلها، كما في كلمة غَيْدِ غَيْدِ *ġidi ġidi* الشحريّة اليمنية، بمعنى أسرعْ، هي غَدِي غَدِي *ġadī ġadī* الريفيّة العراقية، بمعنى ابتعِدْ الآن، وهي كذلك:

ثانياً: بالنسبة للّهجات إجمالاً في مختلف اللغات، أي أن حقل الانتشار والتحوّل قد يكون مشتركاً بين لهجة من لغةٍ، مع لهجة أخرى من لغة أخرى، إننا نعرف أن اللهجات السومرية مثلاً قد ظهرت على مدى أزمنة متباعدة، وفي أمكنة مختلفة، دون أن يتمّ تدوينها، أي أن التعرّف عليها من خلال النصوص يبدو أمراً مستحيلاً، باستثناء لهجة eme-sal وقد لفظها الأكديّون *ummisallu* ووصفوها بلغة العراك (لِشَان صِلِيتي) *lišān ṣilīti* أي «لسان سليط». ذلك أنها «ظهرت في أوائل العهد البابلي القديم، وكانت تستخدم غالباً للحديث عن النساء في النصوص الأدبية، ثمّ أصبحت لغة الكتابات الأدبية في مرحلة ما بعد العهد البابلي القديم»[1]، ولمعرفة التأثير الكبير لآليّة الانتشار والتحوّل نشير إلى أن هذه اللهجة «تلفظ كثيراً من الكلمات السومرية بشكل يغاير لفظها في اللهجة الاعتيادية، فكلمة dingir (إله) تلفظ *dimir*، وكلمة lu تلفظ *mu-lu* وهكذا»[2] في حين احتفظ المعجم العربي بالأولى في صيغة (تمر) فكان منها التامور: صومعة الراهب ومحراب المتعبّد، أما الثانية فقد حفظها بصيغة ألْوى *alụa*، أي: الرجل، الأكدية: *awīlu*.

وقد تمّت الإشارة في النصوص إلى عدّة لهجات كانت منتشرة، فالسومريون أطلقوا على لهجة المخاطبة تسمية eme-si-sa أو الفصحى. «وهناك تسميات

غادي غادي *ġādī ġādī* الليبية بنفس المعنى، بينما أصبحت غادي *ġādī* (غير مضاعفة) في اللهجة المغربية تعنى: ذاهبٌ، أي الفصحى: غادٍ *ġādin*. وقد يكون التحوّل دلالياً مأخوذ على الإحالة الإستعاريّة، كما في كلمة نُقْرة *nuqra* المغربية (من نقر= نقش)، وكلمة فِجْرة *fijra* الليبية (اشتقاق من الفَجْر)، والإثنتان بمعنى واحد هو: فضّة.

1- عامر سليمان، التراث اللغوي، ضمن حضارة العراق، ج1، ص284.

2- فوزي رشيد، قواعد، ص 32.

أخرى للغة السومرية أوردتها المعاجم البابلية، وهي:

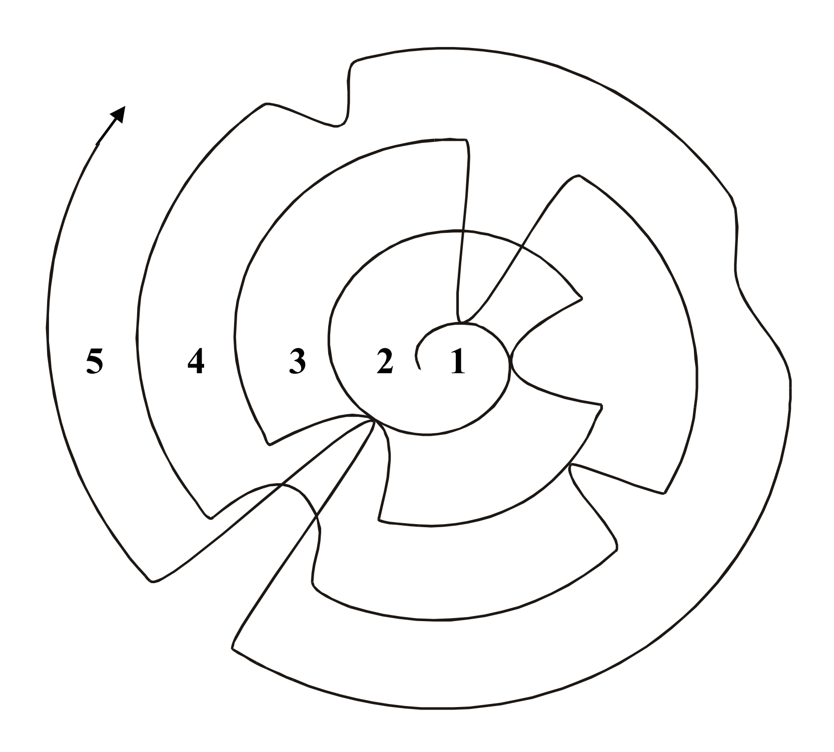
- eme-gal اللغة الجليلة.
- eme-sukud اللغة العالية.
- eme-suẖ اللغة المنتخبة.
- eme-te-na اللغة الشاذة.

كما ظهرت لهجات حِرَفيّة مثل eme-ma-laẖ$_4$-a لغة السفانة (النوتيين)، eme-udul-a لغة الرّعاة، eme-nu-eša لغة الكهنة nu-eša»[1]. مع الإشارة إلى أن هذه المسميات قد لا تتوفر شواهد فعلية لها، إذ أنها في الغالب الأعم تشير إلى كلمات وتعابير محددة، لا إلى نصوص كاملة.

أما اللغات الأشوريّة والأموريّة والكلديّة، فتعدّ لهجات أكديّة، بينما ظهرت لهجات أخرى متفرّعة عنها «استخدمت في مناطق معينة، ولفترات زمنية محدّدة، كاللهجة الأكدية التي استخدمت في بلاد عيلام، واللهجة الأكدية في منطقة كبدوكيا في آسيا الصغرى، ولهجة رسائل تل العمارنة في مصر، ولهجة نوزي في أربخا (كركوك) التي كانت متأثرة إلى درجة كبيرة بالأقوام الخوريّة»[2].

1- فوزي رشيد، ص 31. وتذكرنا هذه التسميات بما يعرف في العبريّة بـ «لشون سجي نهور» לשון סגי נהור أو لسانُ الكثيرِ الضياء، وكثير الضياء هو لقب الأعمى في الآرامية . وكذلك «لشون نَقي» לשון נקי أي اللسان النقي. انظر في ذلك «التضاد في ضوء اللغات السامية» للدكتور ربحي كمال، ص 29- 30.

2- عامر سليمان، ص285.



التحوّل والانتشار اللغويين في الضميمة الأفروآسيوية

1: قبل التدوين؟ ، 2: السومرية ، 3: الأكدية والمصرية ونشأة العربية ولهجاتها القديمة، 4: لغات العائلة «السامية» في الضميمة الأفروآسيوية 5: العربية الفصحى ولهجاتها الحالية.

إن كل حلقة من حلقات المجموعة لا بداية محدّدة لها، وكلّ نقطة على مسارها هي دائماً أقرب إلى التداخل والتواشج مع ما سبقها من نقاط على المسار العام، وأصغر هذه الحلقات هي الأولى غير المسمّاة، وربما أدرجنا فيها نظرية لاندزبرگر في أسبقية وجود الفراتيين الأوائل Pro-Euphirates ، على وجود السومريين، لا باعتبار المفردات التي أوردها كحجة لفرضيته، بل باعتبار أن السومرية لم تكن لغة «قوم» واحد توطّن ركناً بعينه، بقدر ما كانت لغة متفاعلة لخليط من الجماعات البشرية الأولى التي روّضت المستنقع الرسوبي الكبير واتخذت لها من جنوب الرافدين موطناً كان الأول من جهة التأريخ لاستقرار الحضارات وظهور الأديان، وتأسيس المدن والأسواق، وبداية التقدم البشري، هذا الخليط المتفاعل سيعرف أولاً باسم السومريين، ثم الأكديين، وأخيراً العرب الذين ورثوا تراث أولئك الأوائل.

على أننا ربما أدرجنا أيضاً في الحلقة الأولى من هذه المتوالية معجماً افتراضياً مبنياً على الدلالات المنفصلة للفونيمات، كالمعجم السومري الأولي الذي تتبّعه هالّران بادئاً بالصوائت المفردة.

مع هذه الافتراضات، وهي جدّ متقاربة، تبقى هذه الحلقة مجهولةً لا يمكن التكهّن بتفاعلاتها اللغوية، طالما أنها ظلّت حتى الآن خارج التدوين والتوثيق. وقد تبقى كذلك، ربما إلى الأبد. أما أكبر حلقات المجموعة فهي الرابعة، وهي تضم عائلة اللغات «الساميّة» من الضميمة الأفروآسيوية، والتي نفترض أن اللغة العربية – بلهجاتها القديمة – قد نشأت وتطورت في سياقها، على أننا نجعل اللغة العربية كما عُرفت من خلال الحصْر المعجمي بدءًا بكتاب الجيم وكتاب العين إلى تاج العروس، في الحلقة الأخيرة، وهي حلقة لا نهاية لها، خاصةً وأن العربية تشهد

تأثراً واضحاً باللغات الأخرى منذ انفتاح حركة الترجمة والتعريب في العهد العباسي على اللغات اليونانية والفارسية والهندية، وصولا إلى حركة التعريب والتجديد من خلال اللغة نفسها وهي حلقة ما زالت مستمرة ومتفاعلة، ولا يمكن القطع باستقرارها في شكل ما.

إلا أن هذا النموذج الافتراضي، على اتّساقه ومنطقيته، وإسناداته التطبيقية المقارنة، ليس بمنأى عمّا يفترضه التفاعل اللغوي وانتشار وتحول الألفاظ ومرورها بحقول انعطاف وانكسارات تُحوِّرُ مساره العام.

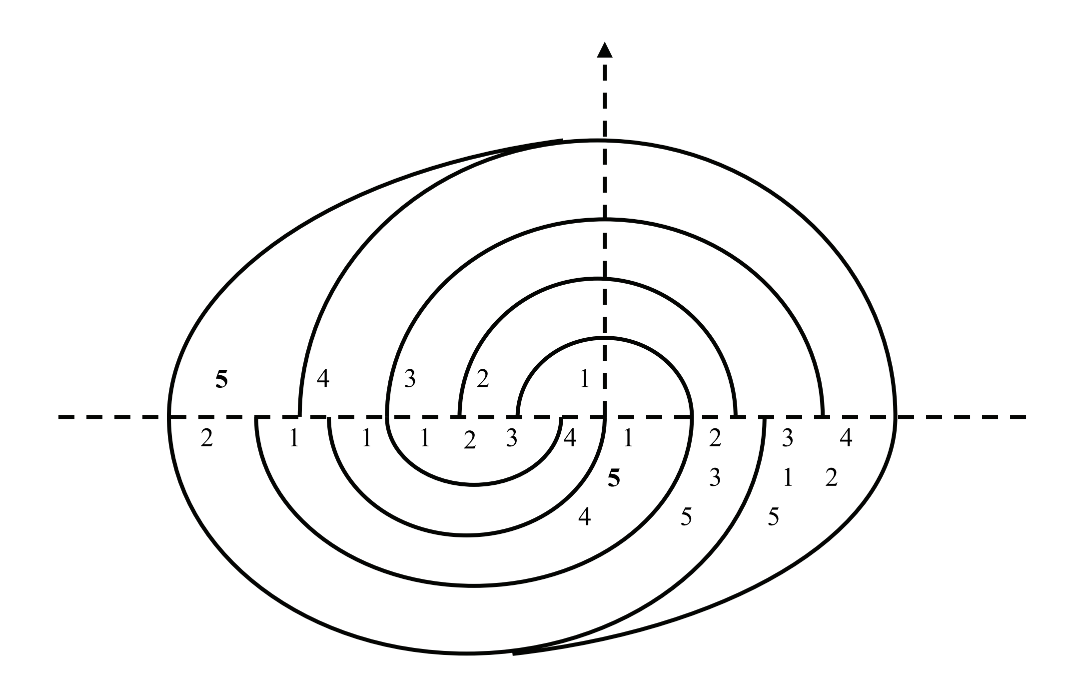
فآليّة الانتشار والتحوّل غير قارّة على مسار عام واحد، بل هي خاضعة لعمل منظومة يحدث فيها أن تتداخل المسارات وتتواشج، تنْزاح وتتموقع عبر الزمن، بإحداثيّات تأخذ ثلاثة صيغ في خلْق السياقات التركيبية:

الأولى: تعاقبيّة، بمعنى استرسالها و انتظام تراكم دلالاتها من حلقة إلى أخرى.

الثانية: استرجاعيّة، بمعنى انقطاع بعض السياقات وحضور دلالات قديمة.

الثالثة: متزامنة، بمعنى تعاقبيّتها واسترجاعيّتها في الوقت نفسه.

إن الشكل التالي يمثّل الوضع الذي يمكن أن تؤول إليه عمليات التعاقب والتجاور بين اللغات، وظواهر التآثر والتقارض التي تنشأ عنها.



المتوالية الأفروآسيوية

إننا نكتفي عادةً بالأبنية (أو النماذج) العامة التي نستطيع إثباتها من خلال التطبيقات المقارنة، إلا أن هذا ليس هو الحقل الوحيد لتفاعل وتداخل حلقات المنظومة. إن الإزاحة والتموقع هي عمليات متواصلة في المتن اللغوي، ولها حالات كثيرة ربما كان من المستحيل إثبات إحداثياتها لوقوعها خارج التدوين، أي أننا لا نُنجز آخر الأمر أكثر من متابعة نماذج التآثر، وبناءِ أمثلةٍ للظواهر اللغوية والصورفيّة وفقاً لما تقودنا إليه الدراسات المقارنة، مدركين أن الأصول التي لم ينته تأثيرها بعد، ما زالت تواصل حضورها، وتعيد تشكيل فهمنا للغة، بل واستعمالنا لها.

في عمل هذه المنظومة اللاقياسي، يحدث أن يكون التقارب المعجمي صفةً مميزة للحلقات (اللغات) المكوّنة لها. وما تجدر ملاحظته هنا هو أن اللغة العربية التي تمثّل آخر الحلقات قد توفرت لها من الأسباب ما يجعلها بصفةٍ ما «مكتنزةً» بمعنى أنها قادرة معجمياً على استيعاب قدر كبير من شقيقاتها، كما بالنسبة لسلفها المباشر (الأكدية)، ما ينطبق أيضاً على السومرية التي توضّعت فيها كطبقة مضمّنة، لا يُعثر عليها إلا بردّ الجذور العربية (الثلاثية غالباً) إلى مكوّناتها من مقاطع جذرية سومرية مفردة ومثّناة.

لقد حاولت أن أجعل لهذه الفرضية ما يسندها من الشواهد، وكنت أرغب في البدء أن أضع معجماً استرجاعياً يستظهر المقاطع الجذرية السومرية في المفردات العربية، إلاّ أن أولويات البحث ومنهجيته فرضت علي التقدّم باتجاه استظهار التشابهات المعجمية الأساسية بين السومرية والعربية، مع ما يمكن تثبيته من قراءات مقطعية، وقد كانت هذه الخطوة أجدر بالاهتمام، لأن معجماً استرجاعياً كالذي وصفت، إنما يعدّ شاهداً ثانوياً مقارنة بالتماثلات التي أوردُها في الفصل القادم. أما الفصل الذي يليه (حرف النون.. أداة نفي سومرية في اللغة العربية) فإنه لا يترك مجالاً للشك في أن الصلة بين السومرية والعربية تتعدى التماثل المعجمي، إلى بنية اللغة. وعلّ بحثاً قادماً، يضطلعُ آخر به، يواصل ويكمل هذا العمل بإنجاز التماثل الصّورفي بين اللغتين.

إشارة أخيرة، قد تفتح أفقاً جديداً، تستند إلى أن السومرية هي لغة تعبّر فيها المقاطع الجذرية المفردة (أي المكونة من فونيم واحد) عن معانٍ متكاملة، ولعلّنا بمنطق التحوّل والإنتشار اللغويين، كما تم تمثيلهما سابقاً، نفترض أن ما تمثّله السومرية بالنسبة للأفروآسيويات قد ينسحب بشكل ما على الهندوأوروبيّات. أي أنْ تكون السومرية لغة «وسيطة» بين أكبر ضميمتين لغويتين معروفتين في العالم.

إن بحثاً على هذا النحو سوف يُصعّد الجدل اللساني لينتج علماً جديداً، أو يطوّر علماً قديماً، تتغيّر فيه اليقينيات، وتتبدّل فيه القراءات. ومن الترجيحات التي تحضرني الآن أنْ يتغيّر اتجاه هجرة اللغات الهندوأوروبية، لينقسم إلى اتجاهين، يبدأ الأول باتجاه السنسكريتية شرقاً، متزامناً مع اتجاه ثانٍ إلى الغرب، بدءًا بالسومرية.

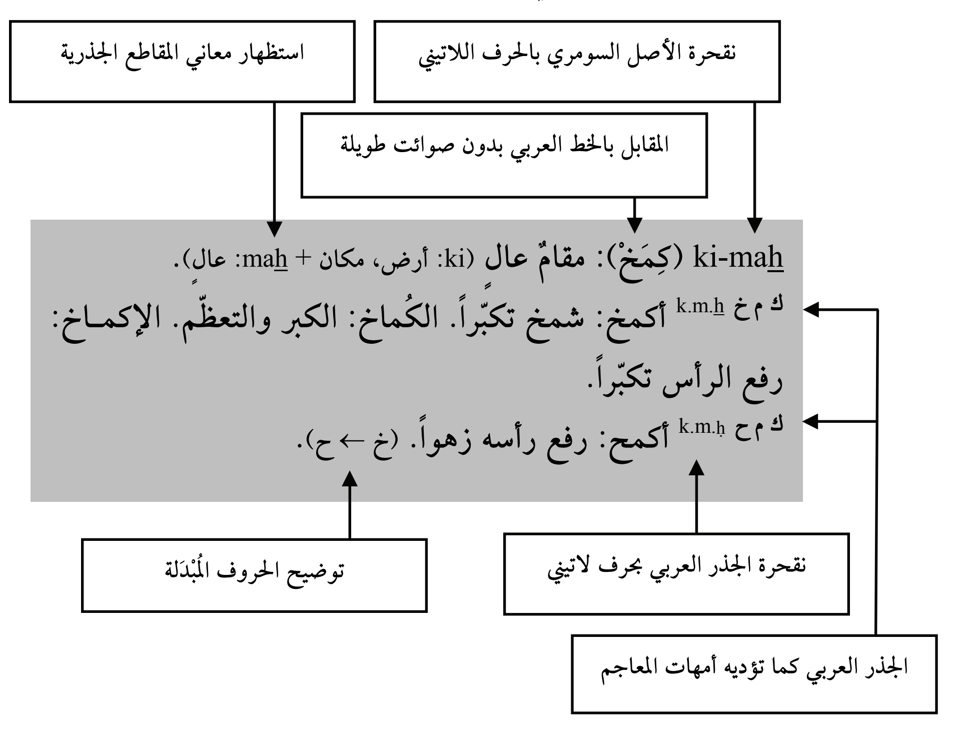
الفصل الخامس

نحو معجم اشتقاقي سومري عربي

ملاحظات:

في «نقحرة» الكلمات العربية بحروف لاتينية، تسهيلاً للمقارنة بالأصل السومري المكتوب بنفس الحروف، اتبعنا ما هو متعارف عليه من علامات، مع ما اجتهدنا في وضعه. فالعلامة (’) لتمثيل الهمزة، والعلامة (‘) لتمثيل العين، متبوعة بصائت، مثلاً: عَ = ‘a، عِ = ‘e ، عُ = ‘u. وفي المد بالواو استعمل الحرف ū كما في طُوب tūb . وفي المد بالياء استعمل ī كما في: أدِيد adīd . وفي المد بالألف استعمل ā كما في ماء mā’ . أما التضعيف (الشدّة) فقد رُسم بخط يتوسّط الحرف، كما في: بَوّب bawab . أما علامة القلب فهي ↔، في حين أن ← مخصّصة للإبدال.

إن المثال التالي يوضّح الكيفيّة التي تُقرأ بها مواد المعجم:



– **ab** (ءَبْ)، **aba** (ءَبَ): بحيرة، بحر.

أ ب ب a.b.b **الأباب** *abab* : الماء.

أ ب ي a.b.y **بحر لا يُؤبَى: لا يُنْزَح.**

ب ي ب b.y.b **البيب** *bīb* : مَسِيل الماء.

و أ ب w.'.b **وأبة: نقرة في الصخر تمسك الماء؛ بئر وأبة: واسعة بعيدة.**

(انصرفت بعض اشتقاقات «أبي» إلى الماء، منها: الآبية: التي تعاف الماء، ماءٌ مأباة: تأباه الإبل. ومثلها في «أوب»، منها: أُبْت الماءَ: وردته ليلاً. وفي مادة «بوب»: أهل البصرة في أسواقهم يُسمّون الساقي الذي يطوف عليهم بالماء بيّاباً).

– **abba** (ءَبَّ): أب، شيخ.

أ ب ي a.b.y **الأب: الوالد.**

أك. *abu* .

– **ad** (ءَدْ)، **ada** (ءَدَ): صرخ.

أ د د a.d.d **الأدّ** *ad* : مدُّ الصوت، الهدير؛ **الأديد** *adīd* : الجلبة.

و أ د w.'.d **الوَأْد: الصوت العال الشديد، الدويّ، الهدير.**

د و ا d.w.a **الدويّ: الصوت.** (من تحولات هذه الكلمة انصرافها إلى دويّ الرعد وحفيف الريح وهدير الجمل وطنين النحل).

– **ad_4** (ءَدْ): أعرج، كسيح.

أ و د a.w.d **آدَ** *āda* : انحنى، انثنى، مالَ؛ أوِدَ: اعوجّ؛ تأوّد: تثنّى.

د أ د أ d.'.d.' **تدأدأ** *ta.da'da'a* : تمايل في مشيه.

(يؤدي اتصال الألف والدال إحالات كثيرة ذات صلة بالأمراض، مثل: الأدرة: انتفاخ الخصيتين؛ الأدَط: معوجّ الفك؛ الإدل: وجع يأخذ بالعنق؛ المؤدَن (من أدن): القصير العنق

الضيق المنكبين مع قصر ألواح اليدين (= الكسيح)، القزم؛ الثئد (من ثأد): المقرور. وفي مادة (دأي) نقرأ أن الدّأي: فِقر الكاهل والظهر، وقيل غراضيف الصدر، وقيل: ضلوعه في ملتقاه وملتقى الجَنب. الدأيات: خَرَز (فِقَر) العنق، ويقال: خرز الفقار (العمود الفقري).

– adagur ، adagir (ءَدَگُرْ، ءَدَگِرْ) : قِدْر.

د ق ر d.q.r **دَقَرَ** *daqara* : (الرجل) إذا امتلأ طعاماً.

ق د ر q.d.r **القِدر** *qidr* : إناء الطهي. **قَدَرَ: طَبَخَ.**

أك. *adaguru*.

– ama (ءَمَ): أمٌّ.

أ م م a.m.m **أمّ** *'um* : والدة.

أك. *umu* .

– apsin (ءَپْسِن): خطّ المحراث.

ب س ن b.s.n **البآسنة** *ba'āsina*: سكّة الحرث.

الأصل فيها apin: محراث خشبي. العربية أبن: عقدة العود أو المحراث.

أك. *eppinu* .

(من الكلمات السابقة على السومريين حسب لاندزبرگر. ابن منظور: البآسنة: اسم لآلات الصنّاع، وليس بعربي محض. وقيل: سكّة الحرث).

– arab (ءَرَبْ): مسمار، دبوس من معدن، قطعة معدنية.

أ ر ب '.r.b **الأربة** *urba(t)* : أخيّة الدابة أو حلقتها. وهي: عود أو قضيب يدفن في الأرض يظهر منه مثل عروة تشدّ إليه الدابة.

الأرب: القطعُ.

ع ر ب '.r.b التعريب: القطع، التشذيب. عرّبَ: كوى.

– **as** (ءَسْ)، **asa** (ءَسَ)، **aza** (ءَزَ): (1) آس، شجر الآس (2) قفص، قيَّد.

(1) أ و س a.w.s الآس *as* : شجرة ورقها عطِر.

(2) أ ز ز a.z.z أزّ الشيء *aza* : ضمّه وجمعه.

و ز ى w.z.a وزى الشيء *waza* : تجمع وتقبّض. أك. *asu*.

– giš**ásal** (ءَسَل): الأسل، الأثل! (شجر الحور).

أ س ل a.s.l الأسَل: نبات له أغصان كثيرة بلا ورق، منبته الماء الراكد.

– **asiri** (ءَسِرِ): أسير.

أ س ر a s r أسير *'asīr* .

أك. *asiru*.

(قارن اسم الإله ءسر، الفصل السابع، للتعرف على دلالات المقاطع الثلاثة المكونة له).

– **bad** (بَدْ): مكان، بلد.

أ ب د a.b.d أبد: أقام، توطّن.

ب د د b.d.d البديدة: المفازة.

أك. *apītu* .

(بَدْ تِبِرَ هي الآن تلول المدينة في منطقة لجش العراقية، ونعتقد أنها مركبة من بَدْ وتِبِر، وقد أحلنا تبر إلى العربية تِبِرَ أو تِبْر: نحاس على التخصيص، ومعدن [ذهب، فضة،..] على التعميم. أما بَدْ في ورودها على هذا النحو، أي مرتبطة بتِبِرَ، فنعتقد أنها للدلالة المكانية عليها، بمعنى: أرض، مكان، .. إلخ. في العربية يؤدي الجذر (بد) وتحولاته بتغيّر أوائله، عدة ألفاظ تؤدي المعنى نفسه أو تدلّ عليه. (أ + بَدَ = أبد: أقام بالمكان ولم يبرح [توطن]. رَ + بَدَ = ربد: أقام، حَبَس، والمربد فضاءً وراء البيوت، والرّبد: لون أسود فيه أحمرار، [والربداء: أرض هذه صفتها]. لَ + بَدَ = لبد: أقام بالمكان ولزق به. وتَبَدَ بالأرض لزمها فأقام، [لبد هي مقلوب بلد]. نَ + بَدَ = نبد: سكن وركَد. وَ + بَدَ = الوَبْدُ: الحاجة إلى الناس. ومن جملة هذه المفردات يفيد هذا الجذر معنى التوطن والإقامة في مكان ما).

– **baẖar** (بَخَر): فخّار.

ف خ ر f.ẖ.r الفخّار *faẖār* : ضرب من الخزف تصنع منه الجرار والكيزان.

– **bar-rim$_4$** (بَرِمْ)، **parim** (پَرِمْ): قحْل، أرض قاحلة.

ب ر م b.r.m البِرام *birām* : الحجارة تُقطع من الجبال. مبرم: لا نفع فيه.

ب ر ي b.r.y البرى: التراب.

أك. *pitru* : أرض قاحلة، بتراء.

– **buru$_{14}$** (بُرُ): حصاد.

ب ر ر b.r.r البُرُّ *bur* : القمحُ والحنطة.

أك. *ebûru* : حصاد.

– **bur-zi** (بُرْزِ): وعاء.

ف ر ص f.r.ṣ الفِرصةُ، الفَرْصة، الفُرْصَة *furṣa* : القطعةُ من الصوف أَو القطن أو الجلد.

أك. *pursû* : وعاء.

– **buzur$_{2,4,5}$** (بُزُرْ): إتاوة، نوع من الضريبة على السلع.

ب س ر b.s.r بَسَر *basara* غريمه: قاضاه. المبسور: طالبُ حاجة في غير موضعها.

– **bùzur** (بُزُرْ): نخلة.

ب س ر b.s.r البُسْر *busr* : التمر قبل أن يُرطِب؛ أبسر النخل: صار بلحه بسراً.

– **dabin** (دَبِنْ): طحين القمح.

ت ب ن t.b.n **التبن** *tibn* : **عصيفة الزّرع من القمح وغيره.**

أك. *tapinu* : **طحين.** *tibnu* : **قش.**

(بإبدال التاء في (تبن)، طاءً ودالاً، والثلاثة من حيّز واحد: الدِّبن: حضيرة من قصب. الطِّبن: ما جاءت به الريح من حطب وقش. ومعاني الكلمات الثلاث متّصلة بدلالة dabin. المقطع الجذري dab وهو المكوّن الأساسي للثلاثي (دبن: حضيرة) يفيد الفعل: طوّق، اعتقل، ربط. كما أنه أنتج الاسم: دابّة، للدلالة على الحيوانات عامةً، وأعتقد أن الأخيرة أنتجت الفعل: دَبّ دبيباً: مشى، سرى. هكذا انتقل الأصل dab (ربط، قيّد) إلى ضدّه).

– **dadag** (دَدَگْ): **نظيف لامع، نقي (مضعّف** dag**: نظيف).**

د د ق d.d.q **الدّودق** *duḍaq* : **الصّعيد الأملس.**

– **daggan** (دَگّن): عتبة الباب.

د ك ن d.k.n **الدّكان** *dukān* : **الدكّة المبنية للجلوس عليها.**

– **dalẖamun** (دلخمن، دلهمن): فوضى، حيرة.

د ل ه م d.l.h.m **فلاة مدلهمّة: لا أعلام فيها، ليلة مدلهمّة: مظلمة.**

أك. *da'āmu* : **معتم ، مظلم.**

– **damšaẖ** (دَمْشَخْ): تمساح.

م س ح m.s.ḥ **تِمْسَح** *timsaḥ* ، **تمساح** *timsāḥ*.

أك. *dabū* .

– **dub** (دُبْ): لوح من الطين.

ط و ب t.w.b الطوب *ṭūb* : الآجر.

أك. *ṭupu* .

– **duḫ** (دُخْ): نخالة، بقية كلّ شيء.

د ق ق d.q.q الدُّقاق *duqāq*: فتات كلّ شيء دُقّ، الدقّ *daq*: الكسر والرضّ في كل وجه، المدقّ: ما دققت به الشيء. (خ ← ق).

د ك ك d.k.k الدكّ *dak* : الدقّ.

د و ك d.w.k الدَّوْك *duk* : دقّ الشيء وسحقه وطحنه. (خ ← ك).

أك. *tuḫu* : نخالة. (د ← ت).

– **é** (ءِ): (1) بيت، أسرة (2) مساحة من الأرض (3) معبد.

أ و ى a.w.a الْمأوى *ma'wa* : المنْزل.

أ ي ا '.y.a تأيّأ: مَكَث، لبث. ليس منْزلكم بدار تَئِيّةٍ: بمنْزلة تَلَبّث وتَحبُّسٍ.

أ و ى awa المأوى: المكان.

المأوى: جنّةٌ.

(في القرآن: عندها جنّة المأوى. وللفعل أوى صلة بالعبادة. في الحديث: الحمد لله الذي كفانا وآوانا: ردّنا إلى مأوى لنا. يقال: أوى إلى الله: رجع إليه).

– **éb** (ءب) **íb** (ءِب): (1) تأهب (في غضب)، غضب. (2) ورك. (3) أعضاء تناسلية، عورة.

(1) أ ب ب a.b.b أبّ *aba* : هبّ وتهيّأ للقتال. ب و ب b.w.b بوّبَ الرجلُ *bawab* : حمل على عدوّه.

(2) ب ه ا b.h.a البهو *bahw* (من كلّ حامل): مَقْبَل الوَلد بين الوركين.

(3) ب و أ b.w.' الباءُ *bā'* (و ب و ه b.w.h الباهُ *bāh*): النّكاح.

أك. *ipu* : رَحِم.

– **éd** (ءِذْ): (1) تبرعم (2) أوصل.

(1) أدا a.d.a أدَا *adā* : نضج.

(2) أدّى *adā* : أوصل.

– **édubba** (ءَدُبَّ): مدرسة، مكتبة (e: بيت، dubba: ألواح).

أ د ب a.d.b الأدبُ *adab*: أدب النّفس والدَّرس. أدّبَ *adaba*: علَّم.

أك. *bīt ṭuppi*.

– **ég**، **ig** (ءِگْ): سُد، خندق.

أوق a.w.q الأوقة *'ūqa* : هَبطة يجتمع فيها الماء.

أك. *īku* : سُدّ.

– **em** (ءمْ)، **im** (ءِمْ)، **imi** (ءِمِ): اتجاه.

أ م م a.m.m الأمّ *'am* : القصْد والاتجاه، الطريق إذا قُصِد.

أك. *emu* .

– **erib** (ءَرِبْ): كنّة، زوجة الإبن.

أ ر ب a.r.b' الأِرْب *irb* : النكاح.

ع ر ب a.r.b' العَرِبة *'ariba* والعروب *arūb*: المطيعة لزوجها المتحبّبة إليه.

– **eren** (ءَرَنْ)، **erin** (ءِرِنْ): **أرْز، مرهم زيت الأرز.**

أ ر ن ʾa.r.n **الإران** *ʾirān* **: شجرٌ!**

أك. *erānu* .

(قال الراجز:

إذا ظُبيّ الكُنُسات انغلاّ   تحت الإران سلبته الظِّلاّ

إلاّ أن شارحه قد اختلط عليه الأمر. فالمعجم ينصّ على أن الإران هو خشب يشدّ بعضه إلى بعض تحمل فيه الموتى. وفسّر بهذا قول الأعشى:

أثّرت في جناجنٍ كإران الـ   ميت عُولِينَ فوق عُوجٍ رسالِ

وأوجز فقيل: الإران تابوت خشب. واستُدل بقول طرفة بن العبد:

أمون كألواح الإران نسأْتها   على لاحبٍ كأنه ظهر بُرجُدِ

ومنه اشتق ابن سيده هذا المعنى: الإران سرير الميت. وحسماً للمسألة ومادام قول الراجز يشير بوضوح إلى شجرة ذات ظل قال الشارح: يجوز أن يعني شجرةً شبه النعش! ولابد أن القاريء قد لمح المعنى واضحاً وراء هذا التداخل. فالإران إنما هو شجر تصنع منه التوابيت. وقد وصلتنا عدة شواهد على استخدام الألواح الخشبية في القبور، كما ذكر نائل حنون في كتابه عقائد ما بعد الموت، ص234، من العهد البابلي القديم وفي صنع التوابيت والأضرحة الملكية. أما في معنى الدَّهن، فمن شواهد اللسان: هِدانٌ كشحمِ الأُرْنَةِ المُتَرَجْرِجِ.

قال: الأرنة هي الجُبْنُ الرَّطْب وجمعها أُرَن. بهـذا التأثيـل يمكـن تعريـف الإران بأنـه شـجر الأرز والزيت المستخرج منه، تماماً كما في السومريّة).

– **erim** (ءِرِمْ): **رجل، جماعة من الناس.**

أ ر م ʾa.r.m **أرِم** *ʾarim* **: يقال ما بالدار أرِمٌ، أي ما بها أحدٌ.**

– **ga** (گَ): **لبن.**

ق و ه q.w.h **القُوهة** *qūha* **: اللبن.**

– **gaba** (گَبَ): ثدي، صدر (ga: حليب + ba: أعطى).

ق ب ا q.b.a القبا *qabā* : تقويس الشيء، القَبْو: الضمّ.

ق ب ب q.b.b القَبّ *qab* : شدّة الدمج للاستدارة، القَبّ والقَبَب: دقّة الخصر وضمور البطن.

(gaba في مقطعيها الجذريين: أعطى حليباً. ونرى في اجتماع القاف والباء معانٍ ذات صلة: قأب: شرب، القبوة: انضمام ما بين الشفتين).

– **gada** (گَدَ): كتّان، لباس، ثوب.

ج د د j.d.d الجديد *jadīd* : الثوب المجدود، جدّ الحائك الثوب *jada* : قطعه، الجُدّاد *judad* : الخلقان من الثياب، والجُدّاد: الخيوط المعقّدةُ (الكُداد أيضاً).

ج د ا j.d.a الجَدا *jada* : ج. جدْية وجديَّة وهي القطعة من الكساء المحشوّة تحت دفّتي السرج.

ق د د q.d.d الثوب يُقدَّد عليه: إذا كان على قدره وطوله.

أك. *kitū* : كتّان.

– **gal** (گَلْ): (1) الإبن الأكبر (2) قدح كبير.

(1) انتقلت بالتضاد إلى العربية ك ل ل k.l.l كَلّ *kal* : من لا ولد له يرثه.

(2) ق ل ل q.l.l قُلّة *qula* : جرّة كبيرة.

– **gamun** (گَمُن): كمون.

ك م ن k.m.n الكمّون *kamūn* : حبّ أدق من السمسم.

– **galla** (گَلَّ)، *gulla* (گُلَّ): (1) حارس (2) رئيس العسس أو الشرطة.

ك ل أ k.l.ʾ كلأ *kalaʾ* : حرس وحفظ.

ق ل ع q.l.ʿ قَلاّع *qalaʿ* : شرطي.

– **gáraš** (گَرَش)، **karaš** (كَرَش): (1) نفير الحرب، مخيّم عسكري (2) نكبة.

ق ر ش q.r.š القرْش *qarš* : التجمّع، والطّعن؛ (تقارشت الرماح: تداخلت في الحرب). المقرّشة *mu.qaraša* : السنة المحْل.

(ليس غريباً – مع تواتر شواهد أخرى – أن يجتمع معنيان أو أكثر في كلمة واحدة مشتركة بين السومرية والعربية. وأقترح أن يؤخذ بالمعنيين الواردين هنا مدخلاً لإعادة تفسير اسم أشهر قبائل العرب: قريش).

– **gaz** (گَزْ): حرب، كسر، فتات؛ قَتَل، ذبح، دمَّر.

غ ز ا ġ.z.a الغزو *ġazw* : السير إلى قتال العدو وانتهابه.

– **gibil₄** (گِبِلْ): جديد، متجدّد. (gub: يدفن + ul: يشرق، ينهض).

ق ب ل q.b.l أقبل *a.qbala* : نقيض أدبر، المستقبل: ضد المستدبر.

– **gil** (گِلْ)، **gili** (گِلِ): قصب، حزمة من أعواد القصب.

غ ي ل ġ.y.l الغِيل *ġīl* : حزمة قصب.

(غِيل، أيضاً: أجَمة، شجر كثير ملتفّ ليس بشوك، ماء جارٍ. لقد أدّى المعنى الحسّي في gil إلى المُجَرّدات التالية: الغائلة: الحقد الباطن، الغيلة: الخديعة، الاغتيال: القتل غدراً).

– **gilim** (گِلِمْ): قصب، حزمة من أعواد القصب.

ق ل م q.l.m القلم *qalam* : ما يُكتب به، وقد كان يُقدّ من القصب.

– **girim** (گِرِمْ): قطعة من الطين، حزٌّ من الطين (gur_5: حزّ + imi طين).

ج ر م j.r.m الجرْم *jurm* : القطْع. را. girin.

ق ر م q.r.m قَرَم *qarama* : قَطَع، قَشَر.

ق ر م د q.r.m.d **القرميد** *qarmīd*: **الآجر، الطابوق الآجر (الطين المفخور).**

(من التوافقات: (1) الجِرْم: الجسد، ويقال أيضاً ألواح الجسد. وفيها معنى girim : القطع والاحتزاز من الطين، وهي كذلك العربية الجِرْن (السومرية: girin) أي بعض الطين (ترادف الإبدالان في السومرية والعربية)، وفكرة الخلق من طين مفخور أو صلصال قد نصّت عليه المتون السومرية، ثم أعاد القرآن ذكرها. (2) الكَرَم: أرض مثارة منقّاة من الحجارة. الجَرْم: أرض دفيئة حارّة. وهما صفتان في سهول الرافدين).

– **girin** (**گِرِنْ**): **قطعة من الطين، حزٌّ وقَطَع من الطين.**

غ ر ن ġ.r.n **الغِرْيَن** *ġirịn*: **الطين الذي يحمله السيل.**

(الأصمعي: الغِرْيَن أن يجيء السيل فيثبُتَ على الأرض، فإذا جفّ رأيت الطين رقيقاً على وجه الأرض قد تشقّق. اللسان: غرن).

– **gum** (**گُمْ**)، **kum** (**كُمْ**): **هاون الطّحن.**

ق م م q.m.m **قائم** *qa'im* : **مقبض.**

– **gùn** (**گُنْ**)، **gùnu** (**گُنُ**): **يزيّن ويخضّب بالألوان، ملوّن، مزخرف.**

ق ن أ q.n.' **قَنَأَ** *qana'* : **احمرّ، اسودّ (خاص بالخضاب كالحنّاء).**

– **gunni** (**گنِّ**): **أتون، موقد.**

ك ن ن k.n.n **الكانون** *kanūn* : **الموقد، المُصطلى.**

ق ن أ q.n.' **قنأ** *qana'* : **اشتدّت حمرته.**

ق ي ن q.y.n **القَيْن** *qịn* : **الحدّاد.**

– $\textbf{gur}_7$ (**گُرْ**)، guru_7 (**گُرُ**)، **kara** (**كَرَ**): **الهري، مخزن الحبوب.**

ق ر ر q.r.r **القُر** *qur* : **القرار في المكان، القرار: القاع المستدير.**

– **gur**$_8$ (گُرْ)، **guru**$_8$ (گُرُ): عميق.

غ و ر $^{ġ.w.r}$ الغوْر *ġur* : العمق.

– **gúrum** (گُرُمْ): فَحْص، معاينة.

ق ر م $^{q.r.m}$ قَرْم *qarm* : وسْم، هيئة.

– **gurun** (گُرُنْ): ثمرة، زهرة (gùr: **محيط** + an: **عال**).

ق ر ن $^{q.r.n}$ القرن *qarn* : الرأس، أعلى الشيء. ج. قرون *qurūn*.

ق ر ن ف ل $^{q.r.n.f.l}$ القَرَنْفُل: زهرةٌ.

(وهي أيضاً: gurin, girin, gírin. ينصرف معنى «قرن» على العموم إلى رأس كل شيء وأعلاه، وهذا هو الأصل السومري المتكوّن من المقطعين gúr أي أرض (قا. قرّ، قرار، وهي شبيهة بالمقطع gur أي عميق) وan أي العالي أو علا يعلو (قا. عَنان)، أي كلّ ما له أصلٌ في الأرض وفرعٌ في الهواء على التعميم. ثم اختص المعنى بفئات محدّدة (بشر، حيوانات، نباتات، ممتلكات، أرض) . لقد احتفظ اللفظ في السومرية بمعنيين رئيسيين: زهرة، ثمرة. أما في العربية فإن اشتقاقاته تؤدي الكثير من النباتات، منها: قرونة: نبتة ذات حبّ أبرش في سواد، القريناء: اللوبياء، القرْنوة: نبات عريض الورق).

– **gusum** (گُسُمْ): **تحدّث**. (gu: **صوت** + sum: **أعطى**).

ق س م $^{q.s.m}$ القسم.

(المقطعان الجذريان المكونان لهذه الكلمة هما حرفياً: أعطى كلمة (كما في الدارجة)، أي: وَعَدَ، أقسم).

– **guruš** (گُرُشْ): عامل كادح (gúr: **عَجَلة** + uš: **يقف على**).

ق ر ش $^{q.r.š}$ تقَرّش $^{ta.}$*qaŕaša* : تكسّب.

قا. gáraš

– **ẖarub** (خَرُبْ) : خرّوب.

خ ر ب ẖ.r.b خرّوب *ẖarūb*: شجر الخرّوب.

– **ẖi-ib-za** (خَبْزَ) : خبز (محدد دال لأسماء الخبز).

خ ب ز ẖ.b.z خبز *ẖubz*.

أك. *ẖibṣu*.

– **hirim** (حِرِمْ): أرض غير ذات زرع، يباب.

ح ر م h.r.m الحَرَمُ *ḥaram*: أرض مكة وما أحاط بها. البلد الحرام.

(التنزيل: ربّنا إنذي أسكنْتُ مِن ذرّيّتي **بوادٍ غيرِ ذي زرع عند بيتك المحرّم** – إبراهيم: 37).

– **ẖul** (خُلْ): شرّ. (خشاش الأرض، دود + كثير).

خ ل ل ẖ.l.l الخلّ *ẖal* : الشرّ.

(الخلّ من الأضداد، قال الأصمعي: الخمر الخير، والخل الشر، وقال أبوعبيدة: الخلّ الخير، والخمر الشرّ. (اللسان: خلل)، أي على التضاد الوارد في السومرية، انظر ẖúl).

– **ẖúl** (خُلْ): مرح، بهجة (ẖé: ليكن + ul: سعادة).

خ ل ل ẖ.l.l الخِلّ *ẖil* : الودّ. الخُلة *ẖula* : الصداقة والمحبة.

– **ẖur** (خُرْ)، ur_5 (ءُرْ): حفرة.

خ و ر ẖ.w.r ، غ و ر ġ.w.r الخور *ẖur* والغور *ġur*: الأرض المنخفضة بين ربوتين.

– **im-ru** (ءِمْرُ) ، **im-ru-a** (ءِمْرُءَ) : جماعة ، عشيرة.

م.ر.أ **m.r.a** مرء، امرؤ : إنسان، رجل.

(يقال هما مرآن صالحان، ولا يُجمع هذا الاسم على لفظه. ورد في الحديث: أحسنوا ملأكُم أيها المَرْؤون. قال بن الأثير: هو جمْع المرء (اللسان: مرأ).

– $^{lu}{}_{2}$**is-ẖab**$_2$ (ءِسْخَبْ): شخص متشرّد، غير مهذّب.

س خ ب s. ẖ.b سخب: صياح.

ص خ ب ṣ. ẖ.b صخب: صخِب وصخُوب وصخّاب: شديد الصخب.

الصخب: الصياح والجلبة وشدّة الصوت واختلاطه.

– **itima**$_2$ (ءِتِمَ): ظلام.

ع ت م ʿa.t.m العتمة: ثلث الليل الأول. عتمة الليل: ظلامه.

– **izi** (ءِزِ): نار.

أ ز ز a.z.z أزّ *aza* : أوقد النار، أزيز: التهاب وحركة.

– **káb** (كَبْ): خيط من قماش يستعمل للقياس.

ك ب ب k.b.b الكِبا *kabā* : القماش.

– **kakizuzu** (كَكِزُزُ): قبّل الأرض، طأطأ (ka: فم + ki: أرض + zu: عَرف).

ق ز ز q.z.z القزازة *qazāza* : الحياءُ. (ك ← ق).

– **kak-ús** (كَكُسْ): مهماز (kak: مسمار + ús: سَاقَ).

ق س س q.s.s القَسقاس *qasqās* : عصا السّوْق، رجل قسقاس: يسوق الإبل.

– **kal** (كَلْ): ثمّن، قدّر ثمناً أو كمّاً (من ka: فم + la: يدفع).

ك أ ل k.ʾ.l الكأْلُ *kaʾal* : أن تشتري أو تبيع دَيناً لك على رجل بدَين آخر له.

را. ك ي ل k.y.l كال *kāla* واكتال وكيْل *kịl* ومكيال.

– **kalàl** (كَلَلْ): رجل لطيف (ka: فم + lal: عسل).

ك ل ل k.l.l انكلّ الرجل: ضحك، انكلّت المرأة: تبسّمت.

– **kalam** (كَلَمْ): أرض.

ك ل م k.l.m كُلام *kulām* : أرض غليظة صليبة أو طين يابس.

– **kam₂** (كَمْ): أمسك، قبض.

ق م م q.m.m قَمْقَم *qamqam* : جمع وقبض.(قا: كَمَّ، كَمْكَم، كَمَى: ستر وغطّى).

– **kar** (كَرْ): (1) كرّ (أغار) (2) أسر (3) تجنّب (4) ميناء.

(1) ك ر ر k.r.r كرّ *kaṟa* : أغار على العدو.

(2) كركر *karkara* : حبَس.

(3) كركر *karkara* : دفع وردّ.

(4) خ و ر ḫ.w.r الخوْر *ḫụr* : مصبّ الماء في البحر إذا اتسع وعرُض.

– **karadin** (كَرَدِن): فأس.

ك ر د ن k.r.d.n الكِرْدَن *kirdan* والكردين *kirdīn* : الفأس العظيمة.

أك. *kurdum*.

– **karke** (كَرْكِ)، **karkid** (كَرْكِدْ): بَغيّ. (kar: موضع السُّوق + kid: حصير).

ك ر ك k.r.k الكاروكة *karūka* : القوّادة.

– **kasùga** (كَسُگَ): اهتم، فمٌ [كلام] فارغ (ka فم + sù : فارغ + معيِّن).
ك س ج k.s.j الكوسج *kusaj* (والكوسق *kusaq*): الناقص الأسنان.

– **katab** (كَتَبْ): عييّ، معاق [عن الكلام] (ka: فم + tab: يسدّ، يعوق).
ك ت ب k.t.b كَتَبَ *kataba* : شدّ، صرّ، ضمّ.
(انظر (4– 7) في تحليل كلمة: كتب).

– **kataé** (كَتَءِ): نطْق، تفوّه (ka: فم + ta: من + é: خارجاً).
ك ت ت k.t.t كتّ *kata* الكلام: سارّه، رجل كتكات *katkāt*: كثير الكلام سريعه.
ق ت ت q.t.t انصرف الفعل إلى الحديث المذموم. قتّ *qata* : نمّ، القتّ: الكذب المهيّأ، تقتّت الحديث: تتبعه وتسمّعه.

– **ki** (كِ): أرض.
ق و ا q.w.a القِيّ *qi* :الأرض المقفرة. القيقاة *qiqat* : المكان المستوي حجارته بالأرض.

– **kib** (كِبْ)، **kibba** (كِبَّ): حنطة
ك ب ب k.b.b المكبّبة *mukababa* : حنطة غبراء بسنابل كبيرة.

– **kibala** (كِبَلَ): أرض العُصاة والمتمردين (ki: أرض + bala: يثور).
ق ب ل q.b.l القِبالُ *qibal* : المعارضة والمواجهة. قابل: عارض.
(لعل kibala هي أصل تسمية قبيل وقبيلة وقبائل التي جُعلت لاحقاً من قبائل الرأس: وهي أربع قطع مشعوب بعضها إلى بعض).

– **kibúr** (كِبُرْ): إجابة (ki: أرض + búr: مكشوف).
خ ب ر h̠.b.r الخبر *h̠abar* : الإجابة، ما أتاك من نبأ بعد سؤال. (ك ← خ).

– **kidar** (كِدَرْ): تصدّع أو تشقق التراب (ki: أرض + dar: يشق، يفلق).
ك د ر k.d.r الكدَر *kadar* : ما يثار من قطع التراب. الكَـدَرة: القلاعـة الـضخمة المثارة من مدر الأرض.

– **kide** (كِدِ˜): طَمَر (ki: أرض + de: استمرّ، أحضر).
ك د أ k.d.ʾ كدأ *kadaʾ* البردُ الزرعَ: أبطأ نبته وردّه في الأرض.
(المعنى الحرفي لكلمة kide : وجود الشيء في الأرض، الطمْر، وهو: الكدؤ والكدوء.

– **kih̠ul** (كِخُلْ): طقوس الحداد (ki: أرض + h̠ul: دمّر؛ شرٌّ).
ك ح ل k.ḥ.l الكُحْل *kuhl* : ما يُكتحل به. (أنظر الشرح أدناه).
(المعنى الحرفي لكلمة kihul هي الأرض الجدباء، القَحْل، وشبيه بها: الكَحْل أو شدّة المَحْل، أما المعنى المدرج أعلاه فقد أخذناه على دلالة استخدام الكُحل في طقوس الحداد).

– **ki-indar** (كِنْدَرْ): صدْع (ki: أرض + in: مِثْل + dar: شَقَّ، فَلَقَ).
ك ن د ر k.n.d.r الكندرة *kandara*[t] : ما ارتفع من الأرض. أُخذت على الضدّ.
را. kidar.

– **ki-indu** (كِنْدُ): أرض (ki: أرض + in: مِثْل + du: مشى).
ك ن د k.n.d الكنود *kanūd* : الأرض التي لا تُنبت.

– **kìlib** (كِلِبْ): نجم، نجوم.

ك ل ب k.l.b الكلب: من النجوم، بحذا الدلو، والكلبان نجمان صغيران بين الثريا والدبران، وكلاب الشتاء: نجوم أوّله، وهي: الذراع والنّثرة والطرف والجبهة.

– **kimaẖ** (كِمَخْ): مقام عالٍ (ki: أرض، مكان + maẖ: عالٍ).

ك م خ k.m.ẖ أكمخ *akmaẖa* : شمخ تكبّراً.

الكُماخ *kumāẖ* : الكبر والتعظّم.

الإكماخ *ikmāẖ* : رفع الرأس تكبّراً.

ك م ح k.m.ḥ أكمح *akmaḥa* : رفع رأسه زهواً. (خ ← ح).

– **kimaẖ** (كِمَخْ): قبر.

ك م ح k.m.ḥ الكيموح *kịmūḥ* (والكيحُ): التراب.

– **kina** (كِنَ): سرير، مخدع. (ki: مكان + na: سرير).

ك ن ن k.n.n الكُنّة *kuna*: السُّدّة. جناح متصل بالحائط يستخدم كمُخدَع.

كِنان *kinān* : غطاء. ج. أكنّة.

– **kìr** (كِرْ): قبضة من طين.

ك و ر k.w.r كوّر *kawara* الطين: غوّره.

– **kír** (كِرْ): إناء ضخم من طين، برميل صغير.

ك و ر k.w.r كور *kūr*: إناءٌ من الطين يضع فيه الحدّاد الجمر.

– **kud** (كُدْ): (1) قطع، شقّ، فصل (2) شتم.

ق د د q.d.d (1) قدّ *qada* : قطع، شقّ، فصل.

(2) أما المعنى الثاني فقد احتفظ بـه المعجـم العربـي في لفـظ غريـب: «يُـشتَم الرجل فيقال له: يا قُدَيدِي *qudịdi*».

(شرحه ابن منظور قائلاً: «القُدَيدِيّون هم تبّاع العسكر والصنّاع، كالحدّاد والبيطار، معروف في كلام أهل الشام. وقال ابن الأثير: كأنهم لخستهم يكتسون القَدِيد وهو مسح صغير». (اللسان: قدد). ولا يخفى أن مثل هذا التخريج إنما تثيره هذه الصفة الغريبة التي لا تأثيل مباشر لها في المعجم العربي).

– **kul** (كُلْ): (1) جَمَعَ، وَحَّدَ (2) ثقيل.

ك ل ل k.l.l (1) الكُلّ *kul* : اسم يجمع الأجزاء. (2) الكَلّ *kal* : الثّقل، ما يثقـل الكاهل.

– **kum** (كُمْ): الدقيق، القمح المدقوق.

ق م م q.m.m القميم *qamīm*: الحطام، اليابس من البقل، السويق.

– **kur** (كُرْ): جبل، مرتفع.

ك و ر k.w.r كُور *kūr* ، كَوْر *kụr*: جبال معروفة.

(في ما يعرف بالمشكلة السومرية، رجّح الكثيرون، بالاستناد إلى لفظ : كور kur (بلاد ← وطن)، أن أصلهم قد يكون من منطقة جبلية في الشمال، وفضلاً عن أن وجهة النظر هذه تفترض وجود مجتمع قائم بذاته اضطر للهجرة جنوباً، وهو افتراض لا تدعمه شواهد أركيولوجية كافية، فإن لفظ كور kur باقترانه بلفظ مونوس munus (مرأة، أنثى) ← munus-kur (حرفياً امرأة جبليّة)، يفيد معنى الأمة female slave ، ما يدلّ على حالة من العداء كانت قائمة بين الجنوب (سومر) والشمال (الجبال).

– **kurgi** (كُرْگِ): إوزّة (kur: جبل + gi: يعود ، أي الطير الآيبُ إلى الجبل).

ك ر ك k.r.k الكُركيّ *kurki*: طائر. ج. كراكي.

– **kursig** (كُرْسِگْ): جبل عميق (kur: جبل + sig: منخفض).

ك ر ك س k.r.k.s الكرْكسَة: تدحرج الإنسان من علو إلى سُفل. (گ ← ↔ ك).

– **kurun** (كُرُنْ): نبيذ، قطوف العنب.

ك ر م k.r.m الكرْم *karm* : العنب، ج. كروم *kurūm* . (م ← ن).

– **kušdu** (كُشْدُ): جلدٌ مدبوغ أو معالَج.

ك ش ط k.š.ṭ الكشاط: الجلد المكشوط. الكشْطُ: القلع والنّزع. كـشط الجلـدَ عـن الجزور: نزعه وكشفه عنه.

ق ش ط q.š.ṭ القشْط: الكشْط.

– **kušum** (كُشُمْ): يزدري، ينتقص، يؤذي (ki: مكان + ušum: معتزل).

ك ش م k.š.ṭ الكَشَم: النقصان في الجسم والحَسَب. الكَشْم: جدع الأنف.

(تتصل معاني الأنف بالأنفة. الأنِف: الذي يأنف أن يُضام. الأنوف: شديد الأنفة. الأنْف: السّيد. أما kušum فقد انتقلت حرفياً إلى (خشم). الخَشَم والخُشوم: سَعة الأنف. الخَشْم: كسر الخيشوم. خشمه: كسر خيشومه. الخَشَم: داء يأخذ في جوف الأنف فتتغير رائحته. والمعنى الأصلي في kušum هو أن يؤذى المرء أو يحتَقَر فيعتزل الناس).

– **kušum** (كُشُمْ): قطيع من الماشية.

ق ش م q.š.m القشم *qašm*: خلطُ الأكل. انصرف اللفظ إلى فعل الرعي.

قُشام: اسم رجلٍ راعٍ.

(لعل الأصل هو الراعي عامةً، ثم صار عَلَماً).

– **kušlá** (كُشْلَ): حبل من الجِلد.

ك س ل k.s.l الكِسلُ *kisl*: وترُ قوس النداّف (الذي يندف القطن) إذا نُزع منها.

– **laẖ** (لَخْ): (1) جفَّفَ، جفَّ (2) أشرق، توهَّج. (3) أخذ بعيداً، سلب، غنِم.

ل و ح l.w.ḥ (1) لاحَ *lāḥa*: عطِش. (2) لاح البرق: أومض. لاح النجم: تلألأ.

(3) ألاح *alāḥa* بحقي: ذهب به.

– **libiš** (لِبِشْ)، **lipiš** (لِپِش): (1) قلب، لُب. (2) غضب (3) شجاعة.

(1) ل ب ب l.b.b لب: قلب، جوهر. أك. *libu*: قلب.

(2) متلبّب: متشمّر للقتال.

(3) ل ب ج l.b.j لبج: شجاعة.

– **ligiin** (لِگِنْ): لوح التمرين على الكتابة.

ل ق ن l.q.n لَقِن *laqin*: فَهِم، لقّن: فهّم. التلقين: التفهيم.

أك. *liginu*.

– **li-um** (لءُمْ): صفيحة معدنية.

ل أ م l.'.m اللأْمَة *la'ma*: درع من معدن. ج. لأْم.

– **lu$_5$** (لُ)، **lul** (لُلْ): جاحد، كاذب؛ جحد، كذب.

ل و ي l.w.y ليّ *lị*: مماطلة، ألوى بحقي: جحدني إياه.

– **lub** (لُبْ) **lubbi** (لُبِّ): (1) قطعة لحم (2) فأس صغيرة.

ل ف ا l.f.a لَفَا *lafā*: نزع اللحم عن العظم؛ لفيئة: قطعة لحم.

ل ف أ l.f.' لَفَأ: قشّر، ضرَبَ. (قا. ل ف ت l.f.t لِفْتٌ: شِقٌّ).

ل ب ب l.b.b لبّ: ضرب. اللّببُ: موضع الذبح.

(جميع الكلمات التالية من أصل (ل ب) المتتابعان تفيد الضرب: لبّ، لبَتَ، لبَجَ، لبَخَ، لبَزَ، لبَطَ، لبَنَ، بالإضافة إلى العديد من الكلمات الأخرى التي يجتمع فيها الحرفان غير متتابعين).

– **lug** (لُگْ): يندفع (للطير والسمك خاصةً) (lu: كثُر + gù: صوت).

ل ق ق l.q.q اللّقلاق واللقلقة: شدّة الاضطراب والحركة، الصوت والجلبة.

– **lúgidi** (لُگِدِ): عازف الناي [الحادي] (lú: رجل + gi: قصب + di: يتكلم).

ل غ د l.ġ.d اللّغد *laġd*: أن تُقِيمَ الإبلَ على الطريق.

(يقترب المعنى من حداء الإبل، ودلالات الجذر (ل غ د) تتصل بالفم وسوْق الإبل).

– **lú-im** (لُءِمْ): متملّص، لا يوثق به (lú: رجل + im: ريح، أي رجل الريح).

ل أ م l.ʼ.m اللئيم *laʼīm*: الدّنيء الأصل الشحيح النفس.

– **lúsua** (لُسُءَ): صديق، رفيق (lu: رجل + su-a: قط، أي الرجل القط).

ل ي س l.y.s الألْيَس *aliṣ*: الذي لا يبارح مكانه، حسن الخلق.

(تدخل هذه الصفة في اللغة العربية في معنيي المدح والذم).

– **lu-úb** (لُءُبْ ، لُوُبْ): لفت، شمندر(؟)

ل و ب l.w.b اللوباء: قاربها المعجم باللوبياء، دون جزْم.

(وردت lu-úb بمعنى لفت أو شمندر، دون جزم).

– **ma** (مَ) : قارب.

م و ه m.w.h ماء *mā*ʼ [*ma*: جرى ← *mā*ʼ : ماء جارٍ].

أك. *mu*: ماء.

– **mágur** (مَگُرْ): قارب كبير (má: قارب + gur: عالٍ، عميق).

م خ ر m.ḫ.r الماخر *māḫir*: الذي يشقّ الماء، مخرت السفينة: شقّت الماء.

أك. *magurguru .*

– **málaḫ** (مَلَخْ): ملاّح، قبطان (má: قارب + laḫ: قادَ).

م ل ح m.l.ḥ الملاح *mallaḥ*: النّوتيّ أو صاحب السفينة.

أك. *malaḫu.*

– **malga** (مَلْگَ)، (ngalga نْگَلْگَ): نصيحة، مشورة.

م ل ق m.l.q الملق *malaq*: الليّن من الكلام، الودّ واللطف.

أك. *milkum.*

– **mana** (مَنَ): شريك، مساوٍ.

م ن أ m.n.’ مَنَأ *mana’*: وافق، اتفق، منأته: وافقته على مثل فعلته.

(وهي أيضاً: man, mem, mìn. وتدل أيضاً على الرقم إثنين، وعلى التعادل والتكـافؤ. قا. المنا: الكيل والميزان).

– **marru** (مَرُّ): فيضان، مدّ.

م و ر m.w.r المور *mụr*: الموج، مار: سال.

م ر ا m.r.a أمِرَ *amira*: سال. مَرَتِ الريحُ السحاب: إذا أنزلت منه المطر.

– **marsa** (مَرْسَ): مرسى، مكان تحميل القوراب. (mar: يحبس + sa: عَادَلَ).

ر س ا r.s.a المرسى *marsa*: موضع رُسُوّ السفينة.

– **MARTU** (مَرْتُ): البدو الرحّل (mar: عربة + tu: وَلَدَ).

م ر ت m.r.t **المَرْت** *mart*: مفازة لا نبت فيها.

أك. *Amuru* : (البدو) الغربيّون.

(أطلق اسم martu على العموريين، وعلى جميع البدو القادمين من الصحراء الغربية).

– **mašgána** (مَشْگَنَ): سُكنى، استقرار.

س ك ن s.k.n **السكن والمسكن** *maskan*: البيت والمنْزل، السّكن: أهل الدار.

أك. *maškanum*: مسكن ، *šakānum*: وضعَ.

(السومرية mašgana متكوّن من المقطعين الجذريين: maš: وَلَدَ، وُلِدَ + gana: بقعة من الأرض. فالمعنى الحرفي: مكان ولادة الإنسان، مسقط الرأس. وقد أنتج الجذر «سكن» بهذا المعنى مجرّدات عديدة، أهمها: السكينة: الوداعة، الوقار، الرحمة، التأنّي).

– **mer₂** (مِرْ)، **mir₂** (مِرْ): (1) ريح عاصفة (2) غضب.

م و ر m.w.r **المُور**: الغبار بالريح، التراب تثيره الريح.

م ا ر m.r.a **مَئِر وامْتَأر**: ظنّ العداوةَ. المِئْرَة: العداوة والبغضاء.

(إن (مِر) mer و (گُر) gur السومريتين مترادفتان، ومن المتفقات المسترسلات أن العرب تقول: ما أدري أغارَ أمْ مارَ؟. أي أتى الغورَ أم أتى نجداً).

– **mes** (مِسْ)، **meš** (مِشْ): شابّ.

م أ س m.ʼ.s **رجل ماسٍ** (على مثال ماشٍ): خفيف طائش.

– **mes** (مِسْ): شجرة.

م ي س m.y.s **المَيْس** *mis̱*: شجر تُتخذ منه الموائد.

أك. *mēsu*.

– **mèšen** (مِشِنْ): معركة، حرب (mè: موقعة + šen: أداة نحاسية).

م ش ن m.š.n المَشْن *mašn*: الضرب بالسيف والسوط؛ السحْج والخدش.

– **mitum** (مِتُمْ): غصن شائك جاف .

م و ت m.w.t : ميّتٌ.

أك. *mittum*: ميتٌ.

– **mud** (مُدْ): (1) عقب (كعب). (2) مقبض، آلة، أداة.

م د د m.d.d مدّ *mad* (*mađa*): مضى، مشى. مداد: مِساك (ما يُمدّ ويُمسَك).

– **mud**$_6$ (مُدْ): تَبَرْعَمَ، جَعَلَهُ ينمو.

م أ د m.'.d المأد *ma'd* من النبات: الليّن الناعم.

– **muduna** (مُدُنَ): زوجة، قرينة. (mud: وَلَدَ + na: إنسان).

م د ن m.d.n المدينة *madīna*$^{(t)}$: الأمَة، المدين: المملوك [العبد، الجارية].

– **mudur** (مُدُرْ): قذارة.

م د ر m.d.r مَدَرَ *madara*: لطّخ، مَدرٌ: مصبوغ بالمدر، المدر *madar*: قطع الطين اليابس والعلك.

– **mundu** (مُنْدُ): وقت وجبة الصباح.

م ن ذ m.n.ḏ منذ *munḏu*: تحديد غاية زمنية.

(الأصل في mundu هو تحديد الوقت، أي منذ الفطور، وهي العربية (منذ)، لكن الكلمة انتقلت إلى الأكدية باختزال معنى الطعام، وصُرف معنى mundu إلى طعام الموتى، وكل طعام طقسي).

– **murgu** (مُرگُ): عَلَف.

م ر ق m.r.q المراقة *murāqa* ^(t)^: (العلف)، كل ما يُشبع الغنم، الكلأ.

– **muru** (مُرُ): حصيرة مجدولة من قصب.

م ر ر m.r.r مَرٌّ (ومِرار): كل ما جُدل فهو مُمَر. المريرة من الحبال: ما لطف وطال واشتد فتله. ويمرّر عامةً: يدحو على الأرض.

أك. *burû*.

(لاحظ أن الإبدال (م ← ب) وقع في الأكدية لا العربيّة).

– **musarra** (مُصَرَّ): نقوش [ملكيّة] (mu: كلمة + sar: كتب + ra: معيِّن).

م ص ر m.s.r مصر: البلد المعروف.

أك. *musarû*.

(في قراءة لي (مقاربات جنيالوجية في اللغة والحراك السوسيوثقافي الأفروآسيوي) جعلت sumer (سومر) اسماً مصرياً متكوّناً من su: الناس، القوم، mer: الصديق، الحبيب، والمعنى إجمالاً: الحلفاء، وأعتقد أن المصريين والسومريين في البدايات السحيقة لتوطنهم على ضفاف الرافدين والنيل كانوا يعانون من عدو مشترك هو الأقوام البدوية التي كانت تغير عليهم من حين إلى آخر، وثمة قواسم مشتركة عديدة بين السومريين والمصريين تجعلهم أقرب إلى بعضهم البعض من الشعوب المجاورة. أعتقد من جهة أخرى أن اسم مصر كان كلمة سومرية وَصَفت النقوش الموسومة بالملكيّة، أي الكتابة الهيروغليفية، وأن الاسم أطلق إجمالاً على مصر البلد، ثم تحوّلت musarra بالتخفيف إلى مصر masr، misr في اللغة العربية– را. الفصل السابع).

– **mùšme** (مُشْمِ): وجه، هيئة. (mùš: جميل).

و س م w.s.m وسيم *wasīm*: حسن الوجه والسيما، مِيسمٌ: جَمال.

أك. *zīmu* .

– **nabašuḫum** (نَبَشُخُم): صوف.

ن ب ش n.b.š **النّفَش** *nafa*š: الصوف.

– **nagada** (نَگَدَ): راعٍ .

ن ق د n.q.d **النَّقَّاد** *naqād*: الراعي (النَّقَدُ والنِّقَاد: صغار الغنم).

أك. *naqidu*.

– **na-izi** (نَءِزِ): بخور (na: بخور + izi: نار).

ن ش ا n.š.a **نَشا** *naša* : نسيم ريح طيبة.

– **ne-ḫa** (نِ ͠ خَ): راحة، استرخاء.

ن خ خ n.ḫ.ḫ **نخّ** *naḫ*، تنخنخ (البعير): بَرَكَ.

أك : *nīḫtum* : أمان، راحة.

– **nemur** (نِمُرْ): نِمْرٌ، فَهْدٌ.

ن م ر n.m.r : النمر *nimr*.

أك: *nimru* .

– **nigba** (نِگْبَ) : هِبة، عَطيّة (niĝ: شيء + ba: أعطى، وهب) .

ن ق ب n.g.b **النّقيبة** *naqība*$_{(t)}$: يُمْنُ الفعل، المنقبة: كَرَم الفعل. رجلٌ ميمون النقيبة: مبارك النفس مظفَّر المطالب.

(تتصل niĝ-ba في الكثير من النصوص مع an.an.an (: إلى الآلهة، كما مرّ بنا)، للتعبير عن أعطية للآلهة (قربان)، وهي في ذلك أقرب إلى nidbd : تقديم الطعام والدعوة إليه، العربية نَدَبَ : دعا، وجّه الدعوة. قا. آدبَ يودب مأدبة، وأصل الأدب الدعاء. niĝ-ba تكون أيضاً هبات الآلهة إلى البشر وهي المناقب).

– **nì-su-up** (نِصُبْ): جبان.

ن ص ب n.ṣ.b **ناصب** *nāsib*: متعَب من العناء.

– **nitaẖ** (نِتَخْ): عزم وبأس.

ن ت خ n.t.ẖ **نتّخَ** *naŧaẖ*: ثبت، رسخ على الأمر.

– **ngar** (نْگَرْ): مخزن، مستودع المؤن.

ن ج ر n.j.r **النّجيرة** *najīra(t)*: سقيفة من خشب.

ن ق ر n.q.r **نُقْرة** *nuqr(t)*: حفرة في الأرض يستنقع فيه الماء، وهدة مستديرة في الأرض. مُنقُر: حوض.

– **ngar** (نْگَرْ): شكل، هيئة.

ن ج ر n.j.r **نَجْر** *najr* الإنسان: شكله وهيئته.

– **ngir**$_{2,3}$ (نْگِرْ)، **ngiri**$_{2,3}$ (نْگِرِ): ساقَ وقادَ بعيداً.

ن ج ر n.j.r **نَجْر** *najr*: سوْق شديد.

– **nim** (نِمْ)، **num** (نُمْ): أرض مرتفعة، مرتفع؛ ارتفع.

ن م ا n.m.a **نمى** *namā*: زاد، كثر، ارتفع.

– **nud** (نُدْ): يستلقي (nu: لا + éd: يخرج)، (nàd (نَدْ): سرير)

ن و د n.w.d **نَادَ** *nād* (نوْداً): تمايل من النعاس.

– **nusa** (نُسَ): رديء (nu: ليس + sa حلو، جيد).

ن و س n.w.s **ناس** *nās* (نوْساً): **تحرّك وتذبذب واضطرب وتدلّى.**

(ابن منظور: النواسيّ: ضرب من العنب أبيض مدوّر الحب متشلشل العناقيد طويلها مضطربها. ولا أدري إلى أي شيء نُسب، إلا أن يكون مما نسب إلى نفسه).

– **nu$_4$-ùr-ma** (نُرْمَ): رمّان

ر م ن r.m.n **رمّان** *rumān*. **بتأخير المقطع** nu.

أك. *luriinu, lurmûm, nurmû* .

(سأل سيبويه الخليلَ عن الرمان، فقال: لا أصرفه في المعرفة، وأحمله على الأكثر إذا لم يكن له معنى يعرف به، أي لا يدرى من أي شيء اشتقاقه فيحمله على الأكثر، والأكثر زيادة الألف والنون، قال الأخفش: نونه أصيلة، مثل قرّاص وحُمّاض. اللسان: رمن).

– **nuzu** (نُزُ): جاهل (nu: لا + zu: يعرف).

ن ز ا n.z.a **النّزو: النّزوع والتسرّع. قارن: ن س ا نسى (نسياً ونسياناً): لم يتذكر.**

ن س أ n.s.' **النّسءُ: شراب يزيل العقل.**

– **nura** (نُرَ): غير ممهور (nu: غير + ra: ختْم).

ن و ر n.w.r **نوّر ذراعه: إذا غرزها بإبرة ثم ذرّ عليها النّوُور. النّوُور: دخان يعالج به الوشم حتى يخضرّ. أخذت على معنى الضد.**

– **pàda** (پَدَ): ملء الموضع، مهنة.

ف د ي f.d.y **الفداء** *fidā'*: **شراء النفس أو استبدالها بأخرى. جُعلت فداك: كنت في موضعك، فُديت بك. (پ ← ف).**

– **palil** (پَلِلْ): حشدٌ متقدّم.

ف ل ل f.l.l الفليل *falīl* والفَلّ: الحشد المنهزم، أخذت على الضد.

– **pasig** (پَسِگْ): «فسقيّة» (فرع من قناة) (pa: قناة + sig: صغير).

ف س ق f.s.q الفسق *fasaq* : الخروج عن الاستقامة [كاستقامة قناة الماء].

«الفسقيّة: ماجن كبير لخزْن الماء».

(المعنى المدرج أعلاه لكلمة فسقيّة (فسگيّة) شائع في اللهجة، وهي كلمة عربية تعدّ إحدى الكلمات النموذجية التي احتفظت بالدلالات الأصلية كما في السومرية).

– **pa-sa-lal-a** (پَسَلَلَ): حزمة من أغصان (pa: غصن + sa: حزمة + lal: يحمل، يربط + a: معيِّن).

ف س ل f.s.l الفسيل *fasīl* : جمع فسيلة: صغار النخل، الفسيلة: الصغيرة من النخل مهيّأة للغرس. الفسل: قضبان الكرم المهيّأة للغرْس.

– **piring** (پِرِنْگْ): (1) أسد (2) ضوء، لمع.

(1) ف ر ن ق f.r.n.q الفُرانِق *furāniq* : سبعٌ شبيه بابن آوى.

(2) ب ر ق b.r.q برقت baraqa السماء بَرَقاناً: لمعت.

(الاستخدام السومري في piring بمعنى أسد يعدّ من باب الاستعارة، خاصة في الشعر، إلا أن المعجم العربي حوّر المعنى قليلاً، مع النصِّ على كونه من الدخيل. وقد جعله العرب سبعاً يصيح بين يدي الأسد كأنه ينذر الناس به. وفي مادة (برق): البُراق: دابّة يركبها الأنبياء، سمّي بذلك لنصوع لونه وشدّة بريقه، وقيل: لسرعة حركته).

– **pisan** (پِسَنْ): سلّة، صندوق.

ب س ن b.s.n الباسِنة *bāsina^(t)* ، البَأْسِنَة *b'asina^(t)* : سلّة الطعام.

– **pu** (پُ): فم.

ف و ه f.w.h فو *fū*: فم.

أك. *pu*.

– **puzur**: را. buzur.

– **rib** (ربْ): علا (في المقام)، مضى بعيداً. **rib-ba** (رِبَّ): عالٍ، كثير.

ر ب أ r.b.' ربأ *rab'a* : علا وصعد.

ر ب ا ربا *raba* : زاد ونما. الرَّبوة *rabwa*(t) والرِّبوة *ribwa*(t) والرَّابية: ما ارتفع من الأرض.

أك: *rabbu*: عالٍ.

– **sabad** (سَبَدْ): ورك، أعضاء تناسلية (su: جسد + bad: فتح).

س ب د s.b.d السّبَد *sabad* : العانة.

– **sadug** (سَدُگْ): أعطية تقدم إلى المعبد.

ص د ق ṣ.d.q الصّدقة *sadaqa*(t): ما أعطيته في ذات الله للفقراء.

– **saẖab**$_2$ (سَخَبْ)، **suẖub**$_{3,4}$ (سُخُبْ): كل ما يستخدم مزلاجاً للباب.

س خ ب s.ẖ.b السخب: الخيط الذي نُظم فيه الخرز.

س ح ب s.ḥ.b سَحَب: جرّ.

(يجتمع في saẖab معنيي السخب والسَّحب).

– **saẖar** (سَخَرْ): أرض، تراب، غبار (sa_5: بنيّ محمرّ + ẖara: مسحوق).

س ح ر s.ḥ.r **سَحَرُ الفلاة: طرفها.**

ص ح ر ṣ.ḥ.r **الصّحر: غبار أحمر. الصحراء: البريّة.**

(احتفظ الجذر العربي «صحر» بدلالة اللون الأحمر (المغبرّ) sa، الذي يكوّن مقطعاً جذرياً في sa-har بالرغم من أن دلالات الكلمة السومرية أدّت معاني التراب والغبار والأرض، دون اللون. الأصحر: القريب من الأصهب؛ الأشقر؛ الأبيض المحمرّ، الأحمر الضارب إلى الغبرة. والغبرة، بدورها، كلمة تجمع التراب الخفيف إلى اللون).

– **saggunu-saggunu** (سَگّنُ سَگّنُ): طائر.

اسقوني اسقوني.

(كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي يُدرَك ثأره تصير هامةً تزقو عند قبره، تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرِكَ بثأره طارت. يقال: أزقيتُ هامة فلان إذا قتلته، وكانوا يقولون إن القتيل تخرج هامةٌ من هامته فلا تزال تقوق: **اسقوني اسقوني** حتى يُقتل قاتله. وفي تعريف الهامة أنها رأس كل شيء من الروحانيين (الذين ليس لهم أجسام)، والهامة الرأس، وتتفق الكتابة المسمارية في هذا مع الخرافة العربية، إذ أن اسم الطائر saggunu-saggunu يكتب: وفيه تتكرر كلمة saĝ أي: رأس. فإذا أضفنا إلى ذلك فعليْ: **أزقيت** هامته، **وتزقو** (أي تصيح) عند قبره، كما وردا، عرفنا أن خرافة القتيل وطائره إنما هي صدى (والصدى من أسماء الهامة أيضاً) لأخرى سومرية متولّدة عن اسم هذا الطائر الغريب).

– **sal** (صَلْ)، **šal** (شَلْ): فرْج، رَحِم (ضيّق + وافر).

ص ل ا ṣ.l.a **الصَّلا** *ṣalā* **(في الدواب): ما عن يمين الذّنَب وشماله، وقيل: الفرجة بين الدّبر والذنب. أصْلَتِ الفرس: إذا قرب نتاجها واسترخى صَلَواها.**

– **sam** (سَمْ): ثمن.

س و م s.w.m **السَّوم: ثمن وعرض بيع السلعة. سام السلعة: ثمّنها.**

أك. *šīmu*.

– **sang**: (سَنْگْ): (1) رأس (2) رئيس (3) عبْد.

(1) ش ن ق š.n.q الشَّنَق *šanaq*: طول الرأس.

(2) رأس القوم.

(3) الشِّناق: غلُّ اليد إلى العنق، والمعنى أقرب إلى الأسْر.

(استخدم السومريون كلمة sang بالمعنى نفسه الذي استخدمه العرب (وغيرهم): رأس القوم: رئيسهم).

– **sangdul** (سَنْگْدُلْ): قلنسوة، غطاء الرأس (sang: رأس + dul: غطّي).

ص ن د ل ṣ.n.d.l الصّنْدَل: الضّخم الرأس (انصرفت إلى الدّواب). (ĝ ← ن).

– **saĝgig** (سَگِگْ، سَنگِگْ): صداع.

ش ق ق š.q.q الشقيقة *šaqiqa*[(t)]: صداع يأخذ في نصف الرأس والوجه.

– **sar** (سَرْ)، **šar** (شَرْ): (1) نبات، خضر. (2) طارد، لاحق.

(1) س ر ر s.r.r السرّ *sir*: أخصب الوادي، السرور *surūr*: أعلى سُوق النّبات.

(2) س ر ا s.r.a السّروة *sarwa*[(t)] : دودة تقع على النبات فتأكله.

(معنى الملاحقة أو المطاردة متحدر غالباً من مطاردة الدود والحشرات الضارّة بالنباتات. في معجم Halloran نقرأ: The meaning probably derives from the act of chasing vermin from the vegetable garden وهو تماماً المعنى الذي أثبتناه أعلاه).

– **ñiššibir, sibir** (شِبِرْ، سِبِر): أداة يستخدمها الرعاة ذات نهاية حادة مقوسة (šuba: راع + re : ساقَ، قادَ).

س ف ر s.f.r السفار *sifār*: الزمام والحديدة يُخطم بها البعير لينقاد. (ب← ف).

– **sil** (صِلْ): حَمَدَ، مجّد.

ص ل ا s.l.a صلّى *saɫā*: دعا (ربه)، استغفر، عبَدَ الله.

– **sil** (سِلْ)، **zil** (زلْ): شَقَّ، فَرّق، فَصَل، (si: طويل، ضيق + là: خَرَقَ).

س ل أ s.l.' سَلأ *sala'*: عَصَر، ضَرَب.

ز ي ل z.y.l الزّيال *ziyal* : الفِراق. الزّيْلُ *ẓil* : تباعدُ ما بين الفخذين، الزيلاء: منفرجة الفخذين.

(نجد المعنى نفسه أيضاً في: sìl, sila, si-il).

– **sil**$_{5,6}$ (صِلْ): لذة [جنسية]، سعادة، بركة. (si: وقف منتصباً كقرن، ملأ + ul: لذة وسعادة).

س ل ا السلوى: العسل، وكلّ ما سلاّك بحلاوته (شبهت العرب لذة الجماع بالعسل، فقالت عسيلة)، السَّلوة والسُّلوة: الرخاء.

– (في صلة sal (فرْج) وsil (بركة) احتفظ المعجم العربي بكلمة sala السَّلى: جلدة رقيقة يكون فيها الولد. ج. أسلاء).

– (الصلة بين (الصلاة) sil والجنس sil$_{5,6}$ هي في فعل العبادة السومرية التي تخلّلتها طقوس جنسية، والجامع بينهما معنى البركة، أي نماء الخير وزيادته. والجذر التام (برك) يجسّد هذه الصلة أيضاً: البَركة: النماء (الخيّر)، منها: الدعاء للمرء في قولهم: بارك الله عليك، باركك الله، بارك فيك. ومنها: البروك: المرأة التي تتزوج ولها ولد كبير بالغ؛ والبِركة: الشاة الحلوب؛ وفي الأخيرة اسم البرْك أي الصدر. ولكن الجذر الأولي (سل) أجمع للمعنيين: فهو في (سلا) السلوى، كما مرّ بنا، ويؤدي الجذر معان أخرى ذات صلة بعلاقة الرجل بالمرأة، أما في (سلل). فمنه: السُّلالة: ما سُلّ من صلب الرجل وترائب المرأة، الماء يُسلّ من الظَّهر سلاًّ، النّطفة. السليل: الولد حين يخرج من بطن أمه. السّليل كذلك هو النّخاع (ومثله الشّليل: العرق الأبيض الذي في فقر الظهر← šil). وفي نوع من التماهي مع الطبيعة جعل العرب من السليل: مجرى الماء في الوادي. وقُرن به سليل الجنة و سلسبيلها أي

خالص شرابها. وقرْن هذا الجذر باللفظ السومري sil يؤدي إلى اشتقاقات (صلا) ومنها الصلاة والاستغفار، كما جاء أعلاه. وتذهب إليه بعض اشتقاقات (شلل).

– **silim** (سِلِم): سلام، تحيّة.

س ل م s.l.m **السِّلم** *silm*، **السلام** *salām*: **التحيّة، السّلامة، الأمان.**

(ظهرت silim (بتبدّلاتها) بمعنى السلام في أكثر من 20 لغة أفروآسيوية، ولكن الكلمة السومرية استخدمت غالباً للترحيب والتحية، كما نفعل اليوم في العربية تماماً بقولنا: السلام عليكم، وهي في الأصل مكوّنة من مقطعين: (1) sil5,6، بمعنى: فرح، بهجة، سعادة، وهذا المقطع بدوره ناشئ عن ائتلاف مقطعين آخرين هما: si: يملأ + ul: بهجة، كما تفيد sil معنى الحمد والتمجيد، وهي في جذر «صلاة». (2) lum: يربو، ينمو بوفرة؛ يمتلئ، يتخم؛ يلين، يثمر؛ يخصّب. وتؤدي أيضاً معنى: سماد وسحاب، واللفظ مكون في الأصل من ثلاثة مقاطع تفيد الغزارة والوفرة + نبات أو عشب + يكون، فكلمة السلام العربية المستخدمة للترحيب والتحية هي بالمعنى السومري: عمّ بهجةً، أو فلتمتلئ حبوراً).

– **sim** (سِمْ): نَخَلَ، غربل.

س م م s.m.m **السَّمّ** *sam*: **الثُّقب.**

– **sír** (سِرْ): كثافة.

س ر ر **سِرّ** *sir* **وسَرارة** *sarāra(t)* **كل شيء: محضه ووسطه.**

– **sisi** (سِسِ): حصان.

س ي س s.y.s ، س و س s.w.s **ساس** *sāsa* **الدواب: إذا قام عليها وروّضها.**

س أ س أ s.ʼ.sʼ **سأ** *saʼ* : **تقال للحمار ليقف أو يمضي.**

(الأصل (س س) متنقّلٌ في اللغات الأفروآسيوية بمعنيين متصلين: المشي (الخبب منه) وسوْس الدواب. العبرية sis: حصان. وعن خشيم (آلهة: 86، 87): في معجم المصريّة (س

س م) ssm: زوج مـن الخيـل، و(س س م ت) ssmt: فـرس. وبتعاقـب الـشين المعجمـة والسين المهملة فإن (ش س أ و) بمعنى: البدو، وقد انتقلت إلى القبطيـة (ش و س) بمعنـى: راعٍ).

– **saẖam** (سُخَمْ): بكى.

س خ ن s.ẖ.n السَّخَنُ *saẖan*: نقيض قرّة العين. أسخنه: أبكاه.

– **sul** (صُلْ): محارب، غازٍ.

ص و ل ṣ.w.l الصؤول *sa'ūl*: الذي يتطاول عل الناس ويضربهم.

ṣ.w.l الصّوْلُ *ṣul*: الوثب، المصاولة: المواثبة.

– **sumaš** (سُمَش): سمك.

س م ك s.m.k سمك *samak*. (ش ← ك).

– **sur** (سُرْ): (1) نبت الحديقة، شجر الأيكة. (2) قشّ (3) قيّـد (4) قـسّم (5) خطّط.

(1) س ر ر s.r.r السِّرار *sirār*: وسط الرّوض.

(2) ص ر ر ṣ.r.r الصّرَر *ṣarar*: السنبل ما لم يخرج فيه القمح.

(3) ص ر ر ṣ.r.r صرّ *ṣara*: جمع وشدّ وقيدّ؛ الصّرار: خيطٌ أو رباط.

(4) ش ر ر š.r.r تشرّر: تقطّع وتشقّق. شرشر *šaršar*: قطّع، شقّ.

(5) س ر ر s.r.r السُّر *sur*: الخطّ في كل شيء، وعُرفت به خطـوط بـاطن الكـفّ والوجه والجبهة، ج. أسرار، جج. أسارير.

– **surdu** (سُرْدُ) : صقر.

ص ر د ṣ.r.d الصُّرَدُ: طائر يصيد العصافير، من سباع الطير.

أك. *surdū* .

(اللسان: الصّرد طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر، ضخم المنقار له برثن عظيم. وأيضاً: الصّرَد صُرَدَان: أحدهما أسبد يسميه أهل العراق العَقْعَق، وأما الصّرد الهَمهام فهو البرّي).

– **sur**$_8$ (سُرْ، صُرْ)، **zar** (زِرْ)، **zur**$_4$ (زُرْ): (1) سال، صبّ (2) حلب، تحلّب.

ص ي ر ṣ.y.r الصَّيِّر *ṣir*: الماء يحضره الناس. صار: ورد الماء فأحضره.

ص ر ي ṣ.r.y صَرِي *sarị* اللبن: لم يُحلب. الصَّرْية: اجتماع اللبن.

– **šabra** (شَبْرَ)، šapra (شَپْرَ): القيّم على المعبد (šab: يجمع + ra: يعطي).

ش ب ر š.b.r الشَّبَر *šabar*: القربان، الأعطية.

ش ف ر š.f.r الشَّفْرة: الخادم.

(المعنى الحرفي من مقطعي šab + ra هو جَمَع وأعطى، وهو المعنى الذي نجده في الشِّبْر: ما بين أعلى الإبهام والخنصر، والشَّبْر: العطاء).

– **šaḫan** (شَخَنْ): سَخّنَ.

س خ ن s.ḫ.n سَخُنَ *saḫuna*، سخِنَ: صار حاراً.

أك. *šaḫānu*: سُخْنٌ.

– **šakar** (شَكَرْ): وعاء اللبن (šag، ša: وعاء، بطن + kir: بقرة).

ش ك ر š.k.r أشكر الضّرع: امتلأ لبناً، الشّكِرَة *šakira*$^{(t)}$: الحلوب الممتلئة الضّرع.

– **šakira**$_2$ (شَكِرَ)، **šakir**$_3$ (شَكِرْ): نبات مخدّر.

ش ك ر š.k.r الشَّيكران *šịkarān* والسيكران: ضرب من النبات (!).

– **šanga** (شَنْگَ): أسير.
ش ن ق š.n.q الشِّناق *šināq*: غلُّ اليد إلى العنق.

– **šaran** (شَرَنْ)، **šarin** (شَرِنْ): عثّ (šar: عديد + in: قشّة).
ش ر ر š.r.r الشَّرّان: دواب مثل البعوض.
(الأولى – مع أصالة النون – أن ترد في المعاجم تحت مادة: شرن، لا تحت: شرر).

– **šazaraẖ** (شَزَرَخْ): اهتمام، قلق.
ش ز ر š.z.r الشّزرُ: النظر عن يمين وشمال. الشّدة والصعوبة في الأمر، تشزّر: تهيّأ، غضب.

– **šedur** (شِدُرْ): شرنقة اليرقة (éše: حبل + dúr: منزل).
س د ر s.d.r سَدَرَ *sadara* ثوبه: أرسله، تسدّر بثوبه: تجلّل به.
السّيدارة *sidāra*[(t)]: قَلَنْسوة بلا أصداغ.
ش ذ ر š.ḏ.r الشّوذر: بُرْدٌ للمرأة من غير كمّين، الإزار، الملحفة.

– **šumaẖ** (شُمَخْ): عظيم.
ش م خ s.m.ẖ شمخَ: عظُمَ وتكبّر.

– **šurim** (شُرِمْ)، šurun (شُرُنْ): ثفل، روث، إسطبل.
س ر م s.r.m السرم: مخرج الثفل.

– **šurin**$_{4,5}$ (شُرِنْ)، **šurun**$_{4,5}$ (شُرُن): صرصور.
ش ر ن š.r.n الشَّرْن: الشّق في الصخرة.

ش ر ر š.r.r الشَّرّان: دواب مثل البعوض.

(قال ابن منظور في الشرّان: لغة أهل السّواد).

– **šušur** (شُشُرْ): موقد الشواء.

ش ر ر š.r.r الـشَّرشَر *šaršar*: الـشواء. شَـرَّ اللحـم: بـسطه ليجـفـّ. الإشـرارة: صفيحة يجفّف عليها القديد.

ش و ر أشار *ašāra* النّار: رفعها.

– **šututu** (شُتُتُ) : فرار، هروب.

ش ت ت š.t.t الشَّتّ *šat* والشتات *šatāt*: الافتراق، تفرّق الجمع.

– **tabira** (تَبِرَ)، **tibira** (تِبِرَ): مُعدِّن. (tab: يحمل + ùru: شيء لامع).

ت ب ر t.b.r التّبر *tibr*: كلّ مَعْدن في ترابه قبل أن يُصاغ، وخاصة الذهب.

– **taskarin** (تَسْكَرِنْ): شجيرة.

س ك ر s.k.r السّيكران *sịkarān*: نبتٌ تدوم خضرته.

– **temen** (تِمِنْ): محيط، أساس، قاعدة.

ط م ن ṭ.m.n مطمئنّ: مستوطنٌ في الأرض. اطمأنّ: سَكَن.

– **tibir** (تِبِرْ): أداة حادة كالسكين للنقش والنحت، تابرة (باترة).

ت ب ر t.b.r تَبَرَ *tabara*: كسر. التبر: فتات المعدن.

ب ت ر b.t.r بَتَرَ *batara*: قطَعَ. البتر: القطْع.

– **tibir**$_{2,3,4,5}$: نخل، يد.

أ ب ر **’.b.r** أبر *abara* النخل: أصلحه. الإبار: تلقيح النخل. المأبر: أداة تلقيحه.

– **tug** (تُگْ): ثوب، لباس (جانب + ug طوّق، أحاط).

ت و ج t.w.j توّج: عمّم، ألبس العمامة.

(كان أكثر العرب في البوادي مكشوفي الرأس، والعمائم فيهم قليلة، وهي علامة تميّزٍ عن القوم، أما في سومر فإنها من شارات المُلك بالإضافة إلى الصولجان وشارات أخرى نزلت مع الملكيّة من السماء، كما في الأسطورة. اللسان، عُمِّمَ الرّجل: سُوّد، فكما قيل في العجم «توّج» قيل في العرب «عُمّم»، لأن تيجان العرب العمائم).

– **tumgur** (تُمْگُرْ): حمام، (سلحفاة؟).

ت م ر د t.m.r.d التّمراد: برج الحمام. (گ ← د)، (گ ↔ د).

ط م ر ق t.m.r.q الطّمروق: من أسماء الخفّاش. برج الحمام. (گ ↔ ق).

– **tur**: (تُرْ): (1) عَوْن، خادم. (2) طفل (tu: وَلَد + ùru: راقب، حرس)

(1) ت أ ر t.’.r التؤرور: العونُ يكون مع السلطان بلا رزق. أتباع الشُّرَط.

ت ر ر t.r.r الأترورو: الشّرَطي.

ت و ر t.w.r التّور: الساعي بين القوم.

(2) ت ر ر t.r.r أترور: غلام صغير، تارٌّ: غلام شابٌ ممتليء.

(تجمع كلمة «أترور» المعنيين معاً، يقال: هو غلام الشّرطي لا يلبس السواد، أي أنه ذو مرتبة أدنى، كما في tur. ويحتفظ الجذر «تأر» بدلالة الجذر المقطعي ùru المكون لكلمة tur وهو يفيد إدامة النظر والمراقبة. أتأره بصره: أتبَعَه إياه).

– **turgu** (تُرْگُ): الأكل بقدر.

ت ر ك t.r.k التريكة *tarīka*$^{(t)}$: المرتع إذا أكلته الماشية وأبقت منه.

– **turtur** (تُرْتُر): صِغار، قلائل (مضاعف tur: صغير، قليل).

ذ ر ر d.r.r الــذَّرّ: التفريــق، ومنــه: ذَرْذَرَ dardar ، الــذِّرّ (الذّريّــة): الــصّغار (الأطفال). (ت ← ذ).

– **ù-a** (ءُوَ، وَا) : (1) زوّد (بالمؤن) (ù: طعام + a: ماء) (2) نام .

أ و ا '.w.a أوى، آوى: عاد إلى مأواه. المأوى: المنـزل.

– $\mathbf{ub}_4$ (ءُبْ، وُبْ): تجويف، حفرة.

وأب w.'.b الوأبة: الحفرة في الصّخر. بئر وأبة: واسعة عميقة.

– **udun** (ءُدُنْ): أتون، تنّور.

أ ت ن '.t.n الأتُون *atūn*، الأتّون: الوقد. ج. أُتُنْ.

أك. *utūnu*.

– $\mathbf{ug}_{4,5,7,8}$ (ءُگْ، وُگْ): موت.

أوق '.w.q الأوْق *auq*: الشؤم.

– **uhin** (ءُهِن): رُطَب.

أ ه ن '.h.n الإهانُ: عرجون الثمرة، (ج. أُهُن).

(هي من الكلمات التي ذكر لاندزبرگر أنها سابقة على ظهور السومريين. نجدها في المعجم العربي تحت مادة أهن مع صورفةٍ في حركاتها. الإهان: عرجون الثمرة، والجمع آهنة وأُهُنٌ . قال الليث: هو العُرجون، يعني ما فوق الشماريخ. وأنشد ابن بدي للمغيرة بن حَبْناء:

فما بين الرّدى والأمن إلاّ   كما بين الإهانِ إلى العسيب.

ومما يلفت الإنتباه أن انتقال المعنى مـن الرّطـب إلى عرجـون الرّطـب ظـل محتفظـاً بـصيغة

الجمع، فكلمتا إهان وعرجون تؤديان معنى: كمية من الرّطب، وهو نـضيج الـبلح قبـل أن يُتمِر. أما الأكديون فقد عرفوا الرطب بالاسم نفسه: *ratbu*).

– **ummia** (ءُمِّيَ): المعلّم، التلميذ.

أ م م ʾ.m.m **أُمّي**.

(الإمام: المثال، المُقتدى. إمام المكتب: ما يتم تعلّمه كلّ يوم. الإمام: الطريق. وعنها نتجت: الأمة أي القوم وأتباع الأنبياء. أما الأمّي بمعنى العييِّ عن الكلام، الجلف، الجاهل بالكتابة وقراءة المكتوب، باعتبار أن هذه الخِلّة من معجزات محمد (ص)، فأذهب إلى أن النبيّ (ص) كان نابغةً، وذا صلةٍ بلغات الأقوام وعاداتها وتواريخها، بل أنه ربما كان يُتقن اللغة السومرية أو إحدى لهجاتها، التي أتوقع أن تكون لهجة من لهجات قبائل العرب. كان محمدٌ يعلّم الناس، وهذا هو معنى أميّ في القرآن، وأقرنها بالآية التي تقول «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي»، وهي حرفياً أن الله علّمه القراءة والكتابة. أنظر: أدُبّ edubba في موقعها).

– **ùmun** (ءُمُن): برغوث، قمل.

م ن ن m.n.n **المِنَنة** *minana*(t): العنكبوت.

– **un-sang-ngi$_6$** (ءُنْسَنْگِ): ذوو الرؤوس السوداء (الـسومريون)، (un: قـوم + sang: رأس + ngi$_6$: أسود).

ق ن ز ع q.n.z.ʿ **القنْزعةُ**: الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي.

(ذوو الرؤوس السوداء (ءُنْسَنْگِ) هو النعت الذي أطلقه السومريون على أنفسهم، ويذهب المعنى العربي للمفردة (قنزعة) إلى أسلوب في حلْق الرأس. الرأس في السومرية هو sang، المقطع الأخير ngi نقاربه بالكلمة العربية نقي: (1) المنتقى أو المستخلص (2) الأبيض. أخذاً على التضاد بمعنى الأسود. إن المعنى العام للمقاطع الثلاثة هو: المنتقى من (شعر) الرأس. وهو أقرب إلى المفردة العربية).

– **unugal** (ءُنُگَلْ): بناء كبير، مَضَافة. (unu: مقام رفيع، قلعة + gal: عظيم).

ق ن ق ل q.n.q.l القَنقَلُ: (مكيال عظيم ضخم). (گ + ء ← ق).

(شبّه تاج كسرى بالقنقل!، المعنى الحرفي للمقطعين السومريين هو القلعة العظيمة، أو البناء الكبير، أو الإيوان وهو: الصُّفّة (المضَافَة) العظيمة، ومنها: إيوان كسرى (اللسان: أون). (التاج إشارة إلى المقام العظيم، والإيوان إشارة إلى القلعة العظيمة، كما في المفردة السومرية).

– **u-nu-um** (ءُنُمْ): من الأشجار.

ع ن م ‘.n.m العنم *anam‘* : شجر لين الأغصان، شجرة لها زهر أحمر، زيتون بري!

– **urbi** (ءُرْبِ): معاً، قريب.

ق ر ب q.r.b قُرْب qurb : دنو. (ء ← ق).

– **urda** (ءُرْدَ): عاقل، واع (ur_5: قلب، روح + da: مع).

ر د ي r.d.y الرِّداء *rida’* : العقل.

(من الأضداد. الرّداء: الجهلُ).

– **ùri** (ءُرِ): يجمع حطب الوقود (u: نباتات + ri: يُحضر).

أ و ر a.w.r الأوار awar : شدّة لفح النار، اللهب.

و أ ر وأر w’ar : أوقد النار، الإرّة: موقد النار، وقيل النار نفسها.

– **urmúda** (ءُرْمُدَ): كلب الحراسة؟ (ur: كلب+ mú: علامة، يعلّم + معيِّن).

ق ر م د q.r.m.d القُرمود *qurmūd* : ذكر الوعل. (ء ← ق).

(شكّك هالوران في هذا المعنى (كلب الحراسة)، وصرفه المعجم العربي إلى ذكر الوعل، كما جعل القراميد والقراهيد: أولاد الوعول. أما معنى المقطع الجذري mú (علامة، وضع

علامة، كالتي تُعيّن بها حدود الحقل)، فإننا نجده في كلمة «قرمود» نفسها التي تؤدي معنى الحجارة المطليّة. ابن دريد (برواية ابن منظور) يقول عن هذا اللفظ: روميّ تكلمت به العرب قديماً).

– **ùru** (ءُرُ): راقبَ، لاحظَ، (حرسَ).
ر أ ي $^{r.'.y}$ رأى: نظر.

– **ur$_4$-ur$_4$** (ءُرْءُرْ): أرض مكشوفة، جرداء. (مضاعف ur$_4$: حَصَاد).
ق ر ر $^{q.r.r}$ القَرقَر *qarqar* : الأرض المستوية لا شيء فيها، القاع الأملس.
ق ر ق القِرْق *qirq* : المكان المستوي. (ء ← ق).

– **ursaga** (ءُرْسَگَ): كلبٌ مدلّلز (ur: كلب + sa$_6$: صديق + متعيِّن).
ق ر ق س $^{q.r.q.s}$ القِرقِس qirqis والقُرقوس qurqūs : دعاء الكلب؛ قرقس الجرو أو الكلب: دعاه. (ء ← ق، گ ← ق؛ ق ↔ س)

– **ursang** (ءُرْسَنگْ): محارب، بطل. (ur: شابّ + sang: رأس، مقدّم).
ق ر س ع $^{q.r.s.‘}$ ق ر ش ع $^{q.r.s.‘}$ المقرنسع: المنتصب المتهيّء للسّباب والمَنْع (المدافع).

– **ur-tur** (ءُرْتُرْ): جرْو. (ur: كلب + tur: صغير).
ق ر ط ب $^{q.r.ṭ.b}$ القُرْطب *qurṭub* : الجرو، ج. قراطب. (ء ← ق، ر ← ب).

– **ús** (ءُسْ): ساق، قاد.
س أ س أ $^{s.'.s'}$ سأ *sa'* : تقال للحمار ليقف أو يمضي.
س و س $^{s.w.s}$ ساس *sasa* : قام على الدواب وراضها.

– **uzu** (ءُزُ): لحم. **uzu-í**: دسم.

وزأ [w.z.'] انـصرف مثـال الفعـل وزأ *waza'* إلى اللحـم، يقـال: وزأتُ اللحـم: أيبسته أو شويته فأيبسته.

– **zàr** (زَرْ): شدّ، حزم.

زرر زرّ [zar]: شدّ وضيّق.

صرر صرّ *sar*: شدّ وحزم. الصّرار: ما يشدّ به.

– **zar_5** (زَرْ)، **$zara_5$** (زَرَ)، **sur** (سُرْ): خاطَ.

زرر [z.r.r] الزرّ *zar*: واحد أزرار القميص، أزرّه: خاط زرّه.

زور [z.w.r] الزِّير *zīr* : الكتّان.

(في التقاء الزاي والراء معان ذات دالّة. زربق الثوبَ: فصّله، الزردق: خيطٌ يُمدّ. وبإبدال الزاي صاداً: الصرّ: الحزم والشدّ. الشّصْر: ضرب من الخياطة كالشّبك. شصر: خاط).

– **zíd** (زِدْ): طعام، دقيق.

زود [z.w.d] الزّاد *zad* : طعام السفر والحضر جميعاً.

(تدلّ كلمة zíd (بالإضافة) على أنواع عديدة من الزاد، مثل: zíd-bar-si: دقيق منخّل (زادٌ برسي، البرس: شبيه القطن. اللسان: ب ر س). zíd-dub-dub: دقيق مخصص لطقوس العبادة (زادٌ دُبّي، الدُّبة: الطريقة. والدأب: العادة والملازمة، ابن منظور: الدأب والدِّينُ والديدن كلّه من العادة) . zíd-gu: دقيق صافٍ. zíd-gu-gal: دقيق من البقوليات كالبازلاء. $zíd\text{-}sig_{16}$: قمح مجروش مخلوط بالدقيق (السَّوِيق: زادٌ يتّخذ من الحنطة والشعير).

– **zi-du** (زِدُ): شخص فاضل (zi: جيّد + du: مشى).

سود [s.w.d] الـسَّوادُ *sawad* : الـشخص. الـسيّد *sayid*: يطلـق علـى الـشريف

والفاضل والكريم والحليم. **السُّؤدد** *su'dud* : الشرف. (ز ← س).

– **zi-ik-rum** (زِكْرُمْ): شيخ حكيم.

ز خ ر z.ḫ.r **زخر** *zaḫar*: امتدّ. الزاخر: الشّرف العالي.

ز ك ر z.k.r **زكريا**: من الأنبياء في القرآن، عُرف بحكمته وكبر سنّه.

أك. *zikrum*، وبحذف التمييم *zikru*: رجل، ذَكَر.

(يبدو أن اسم زكريّا مشتقّ من هذه الكلمة، إذ تدلّ قصته كما سردها القرآن على طول عمره. وكما يبدو فإن السومرية z-k-r أنتجت: زخر + زكر + ذكر).

– **zimaḫ** (زِمَخْ): نبيل، ذو نسب.

ز م خ z.l.ḫ **زَمَخ** *zamaḫ* : شَمَخ، تكبّر.

– **zum** (زُمْ): فاض، سال، نزّ.

ز م م z.m.m **زمزم** *zamzam* : ماء كثير.

– **zur** (زُرْ): قرّب، قدّم قرباناً، تعبّد.

ز و ر z.w.r **الزور** *zūr* : كلّ ما عُبد (من دون الله). الزور: الصخرة (الوثن).

الفصل السادس

نون البداية

أداة نفي سومرية في اللغة العربية!

تعني أداة النفي السومرية nu (نُ): لا، لم، ليس، وفيها أيضاً معنى الضدّيّة. وهي تُستعمل مع الأفعال، دون تحديد لأزمنتها، ومع الأسماء والصفات، على السواء. ومن صَوْرَفَتِهَا أنها تتحول أحياناً إلى la (لَ)، وقد استقرّت في العربية بنفس الصوت والدلالة، وإلى li (لِ) في أحيان أخرى، لكن هذا التحوّل، كما يشير فوزي رشيد،[1] انتشر خلال العصر السومري الحديث وما بعده. إن nu من جهة اسميّتها تعني أيضاً: شبيه، شبه، هيئة، حالة.[2]

لقد حثّتني معرفة استقرار nu في العربية على شكل la إلى المزيد من تدقيق تحولات هذه الأداة. ومعروف أن النفي في الكثير من اللغات يتصل بحرف النون. فهل العربية منها؟ أنتجت محاولتي الإجابة عن هذا السؤال فرضيّة جديدة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

في مرحلة مبكرة من نشأة وتطوّر اللغة العربية كان النفي يتم باستخدام الأداة (ن)، وقد أجريت على الأفعال والأسماء والصفات على السواء، تماماً كما كان الأمر عليه في اللغة السومرية، ثم تطوّر استخدام هذه الأداة في مرحلة تالية، فأدغمت في الجذور الثنائية لتصبح أصلاً فيها، غيرَ مزيد، ولتنشأ بذلك الجذور الثلاثية البادئة بحرف النون في اللغة العربية؛ في حين استقلت أدوات النفي نطقاً وكتابةً، وكوّنت منظومة النفي المعروفة الآن.

إن أداة النفي الأساسية في الكثير من اللغات هي النون، ففي اللغة المصرية القديمة هي *in* (إِنْ) بمعنى لا، و *nn* (نن) بمعنى لن، وكذلك *im* (إِمْ)، وهي في

1- رشيد، م. س. ص131.

2- هالوران، م. س. مادة: nu.

الأكادية *un* (ءُنْ)[1] وكذلك *ul* (ءُلْ) و *lā* (لا).[2] وفي الفارسية هي النون (ن) تـرد غالباً في أول الفعل، وأحياناً في القسم الثاني منه، وقد تكون سـابقةً أو مـسبوقةً أو مُبدَلَة بحرف الميم في بعض الحالات، كما يضاف إليها حـرف الألـف في حـالات أخرى فتتحول إلى *na*. أما في اللغات الهندأوروبية فهي in و un (ءِنْ ، ءَنْ).

ويمكننا متابعة استخدام أداة النفي القديمة هذه في بعض أدوات النفـي في اللغـة العربية الحالية، مثل: لن، التي تفيد نفي الاستقبال الخاص بالأفعال، لأن الاسـم لا يقع بعدها، وقد اختلف النحويـون في مـا إذا كانـت تفيـد التأبيـد أم لا. يقـال أن الأصل فيها هو (لا) و(أن)، حذفت الهمـزة تخفيفـاً، والألـف لالتقـاء الـساكنين.[3] الملاحظ أن هذا الحذف مختَلف فيه، وأنه بشكل عام تطبيق للتأويل النحـوي علـى الظواهر اللغوية، وهو تأويل يتبع مناهج مختلفة، الغاية منها جميعاً تسويغ التبدلات وتخصيص الألفاظ وصرفها إلى دلالات بعينها، الأمر الـذي نـشأت عنـه المنظومـة النحوية العربية، في بنائها المحكم المتصل الأجزاء.

ولكننا نـستطيع مقاربـة هـذا الحـذف في بنيـة (لـن) بـالتفكير في نـشأة اللفـظ وانصرافه بمرور الزمن إلى دلالة نفي الفعل في الاستقبال، إذ مـن غـير المنطقـي أن يكون الأصل في اللفـظ مكـوّن مـن (لا) و(أن) عـولج بتـواتر الاسـتعمال بحيـث حذفت منه الهمزة والـساكن لتكـرّره، فهـذه القـراءة تعتمـد علـى تفـسير الـسابق باللاحق، وأعتقد أن الأمر لا يعدو أن يكـون صـوْغاً لتحـول nu إلى la اسـتقرّ في العربية باقتران الحرفين (ل) و(ن) وانصرافهما إلى نفي الاستقبال.

1- خشيم، آلهة، ص 605.

2- كابليس، ص 54.

3- أبو محمد بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى، دار الفكر العربي. د. ت. ص79- 80.

ثمة ملاحظة أخرى تتصل بدلالات nu السومرية (لا، لم، ليس، ضد)، إذ يُظهر التأثيل المعجمي في هذا الفصل أنها جميعاً قد انتقلت بإلصاق حرف النون في جذر ثنائي، بلا تحديد لنوع اللفظ، اسماً كان أم فعلاً، وبلا تحديد لزمن الفعل. مع التنبيه إلى أن ما تم إدراجه هنا من جذور ثلاثية ليس نهائياً، وقد اتبعنا مبدأ التوافق ما أمكن، فلم نعمل على استظهار الكثير من المفردات المتحوّلة قلباً وإبدالاً، واكتفينا بأكثرها اتفاقاً، من باب إثبات فرضية النفي بحرف النون في أكثر صيغها صراحة ووضوحاً.

على أنني وجدت أن بعض الكلمات السومرية التي استقرّت في المعجم العربي، تؤدي المعنى نفسه حتى بإضافة النون، وهذه ظاهرة تمكن مقاربتها على وجهين: إما بما يعرف في القواعد السومرية بأداة التأكيد (نَ) na ، التي ترد مع الأفعال دون تحديد لأزمنتها، ووظيفتها تأييد حدوث الفعل[1]. أو بمعنى nu كما ورد في بداية هذا الفصل: شبيه، شبه، هيئة، حالة.

أخيراً، إن هذا المظهر الإلصاقي لمفردات العربية بحثٌ جديد، وهو في أوّله، إلا أن متابعة هذه الظاهرة والاستغراق في فهم أطوارها وصيغها وما مرّت به من تبدّلات على مرّ الزمن يكشف حيّزاً هاماً في تطوّر البنية المقطعية القديمة للغة العربية وفهم كيفية انفصالها التدريجي عن السومريّة، وانتقالها في مرحلة تالية إلى بنية جذرية مستقلّة، اصطنعت لنفسها تلك الآليات الاشتقاقية المميّزة لجميع اللغات الأفروآسيوية، كالمصرية القديمة والأمازيغية.

***

1- رشيد، م. س. ص 127.

1. **ن ب د** (ن + bad: بَدْ).

- المقطع الجذري bad: ابتعد، تحوّل، أبعد.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نبد» البقاء والاقتراب والسكون.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: ثابت، ليس بعيداً، قارٌّ.

> نَبَد: سَكَنَ ورَكَد.

2. **ن ب ر** (ن + bar ، bara: بَرْ ، بَرَ).

- المقطعان الجذريان السومريان bar ، bara يفيدان على السواء: انتشر، تبعثر، توزّع، تمدّد.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نبر» دلالة التجمّع والتكدّس.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: لا ينتشر، لا ينتثر، لا يتبعثر.

> النّبر: الهُرْي. أنبار الطعام: أكداسه.

← نَبَر: جمع وكدّس[1].

3. **ن ت ت** (ن + $tu_{5, 17}$: تُ)

- المقطع الجذري tu: اغتسل، غسل، اغتسال.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نتت» دلالة الاتساخ والتقذّر.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: لم أو لا يغتسل.

> مضاعف نت: نَتْنَت الرجل إذا تقذّر بعد نظافة.

> وبإثبات العين (ن ت ع): أنتع الرجل: إذا عرق عرقاً كثيراً.

1- ما يتبع العلامة ← الواردة في نهاية تتبع معاني المفردات هو اقتراح من الباحث بمعنى أولي لم يرد صراحةً في المعجم العربي.

4. **ن ت ح** (ن + utaḫ: ء تَخ) (خ ← ح).

- المقطع الجذري utaḫ: جافّ.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نتح» دلالة الرواء.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: ليس جافاً.

> النّتح: الرّشح.

5. **ن ت خ** (ن + taḫ: تَخ).

- المقطع الجذري taḫ: إعادة تثبيت الشيء في موضعه؛ يضيف، يعيد.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نتخ» دلالة الإزالة والإزاحة.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: لم يضف، لم يعِدْ.

> النَّتْخ: النزع والقلع والاستخراج، إزالة الشيء عن موضعه.

6. **ن ج ل** (ن + gal: جل ، گل).

- المقطع الجذري gal: كبير، كبير القوم.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نجل» دلالة الصّغر.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: ليس كبيراً.

> النّجل: الوَلَد.

7. **ن خ خ** (ن + $aḫ_5$ (أو aḫi) ءَ خ).

- المقطعان الجذريان $aḫ_5$ ، aḫi يعنيان على السواء: (1) قوّة؛ (2) قرْن.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نخخ» دلالة (1) الضعف، (2) حيوان بلا قرن.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: (1) بلا قوة، (2) بلا قرن.

> (1) النُّخّة: إذا قهر الرجل قوماً صاروا نخّة له.

النَّخّة: الرقيق من الرجال والنساء.

> (2) النُّخّة: اسم جامع للحُمُر. (جمع حمار، أهلياً كان أو وحشياً).

وقد اختلف الرواة في ما إذا كانت هذه الكلمة تطلق على الدواب من إبل وحمير (من غير ذوات القرون)، أم أن النّخّة تشمل البقر أيضاً (أي ذوات القرون). ونلاحظ أن المعنيين تواشجا في العربية فكان قَرْن القوم: سيّدهم.

8. **ن خ ش** (ن + ẖáš: خَشْ).

- المقطع الجذري ẖáš: بطنٌ، أرداف، أسفل جذع الإنسان إذا اكتَنَز.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نخش» دلالة الهُزال.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: لا بطن له، ليس بطيناً سميناً.

> النّخش: الهُزال. نُخِش: هُزِل، كأن لحمه أخذ عنه.

9. **ن د د** (ن + didi: دِدِ)

- المقطع الجذري didi: صغير، فتِيّ.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «ندد» دلالة التماثل في العمر.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: ليس صغيراً.

> النّدّ: الضدّ والشبه. النديد: المثل والشبه. وتختص في الدارجة بالعمر.

10. **ن د د** (ن + du: دُ)

- المقطع الجذري السومري du: كمال؛ اكتمل، تمّ، ثبّت.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «ندد» دلالة التفرّق وعدم الاكتمال.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: لم يكتمل، لم يثبت.
< ندّ: شَرَد، نَفَر، شذّ. إبل نَدَدٌ: متفرّقة.

11. **ن د ر** (ن + dàr: دَرْ).
- المقطع الجذري السومري dar: عالٍ، مرتفع.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «ندر» دلالة الانخفاض.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: لا يرتفع، لا يعلو.
< نَدَر الشيء: سقط. النّدور: السّقوط.

12. **ن د ر** (ن + dur: دُرْ).
- المقطع الجذري السومري dur: الْتَمّ، ربط، طوّق، قيّد.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «ندر» دلالة الفكّ والانفلات.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: ليس مقيّداً، ليس مطوّقاً.
< أندر: أخرج. ندر النبات: خرج الورق من أعراضه.

13. **ن د ل** (ن + du_6-ul: دُلْ).
- الكلمة السومرية du_6-ul المكوّنة من مقطعين: يخزن، يجمع، يكدّس.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «ندل» دلالة التفريق والتشتيت.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: غير متكدّس، غير مجموع (= منتشر، منتثر).
< النّدل: النّقل والاختلاس. نَدَل الشيء: نقله من موضع إلى آخر.

14. **ندس** (ن + du_{10}-sa: دُسَ).

- الكلمة السومرية du_{10}-sa المكوّنة من مقطعين: صديق، رفيق.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «ندس» دلالة العداء والفرقة.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: ليس صديقاً (= عدوّ).

> النّدس: الطّعن. ندسه برمح: طعنه. ندسه بكَلِمَة: أصابه. يندس: يضرب.

15. **ندم** (ن + idim: ءِدِم).

- المقطع الجذري idim : متوحّش، مجنون، عنيف، حادّ الخُلُق.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «ندم» دلالة التحضّر والتعقّل واللّطف.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعنى: ليس متوحّشاً أو مجنوناً (= لطيف المعشر).

> النّديم: الذي يجالسك على الشّراب. نادمه: جالسه (سارّه، حادثه).

16. **نزر** (ن + zar ، zur: زَرْ ، زُرْ).

- المقطعان الجذريان zar ، zur : يتدفّق، يصبّ، يغدق.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نزر» دلالة القلّة والنقص.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا تغدِق، لا تُكثِر. ليس كثيراً.

> النَّزْر: القليل التّافه.

17. **نزر** (ن + zàr: زَرْ).

- المقطع الجذري zàr : تقديم، أعطية (قربان)؛ يزوّد [بالمؤونة]، يمدّ.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نزر» دلالة الشّح وقلّة العطاء.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا تقدّم (هبةً)، لا تعطي (عطاءً).

> رجل نَزْر: قليل الخير. ناقة نزور: قليلة اللبن.

> النّزر: الإلحاح في السؤال. يقال فلان لا يعطي حتى ينزر.

18. **نزق** (ن + zaḫ: زُخ). (خ ← ق).

- المقطع الجذري السومري zaḫ: هدأ، ثبت، سَكَن. وهو متحدّر من zag: حدّ الشيء.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نزق» دلالة اللاثبات والخفّة.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس ثابتاً، ليس هادئاً.

> النّزق: الخفّة في الأمر والطيش والعجلة في حمق.

19. **نزه** (ن + zuḫ: زُخ). (خ ← ه).

- المقطع الجذري السومري zuḫ: سرق، نهب. وهو متكون من zu: سِن + متعدد، كثير ← كثير الأسنان).

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نزه» دلالة الشّرف.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا يسرق، لا ينهب.

- الأصل في النّزه والنّزاهة الابتعاد، وهي أيضاً في معنى النّزوح.

> النّزاهة: عفّة النفس والبعد عن السوء. نزيه: كريم، مترفّع، ورع.

20. **نزا** (ن + zu زُ).

- المقطع الجذري zu: حكمة، معرفة.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نقب» دلالة التسرّع والتفلّت وحدّة الخُلق، وهو نفي الحكمة والتروّي والمعرفة.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس حكيماً، لا يعرف.

> النّزو: الوثبان والتسرّع. النّزوان: التفلّت والسّورة. النَّازِيَة: حدّة الخُلُق.

> الانتزاء: تسرّع الإنسان إلى الشرّ.

21. **ن س خ** (ن + suḫ: سُخْ).

- المقطع الجذري السومري suḫ : تشوّش، فوضى، لا انتظام.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نسخ» دلالة الاستبدال والثبات.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ثابت (غير مشوّش)، منتظم.

> النّسخ: استبدال شيء بشيء. النّسخ: إبطال شيء وإقامة آخر مكانه.

> يستنسخ: يثبت شيئاً مكان شيء.

تدلّ صيغة الفعل من suḫ على معنى أزاح، استبدل؛ ويمكن اعتبار أداة التأكيد السومرية na هي البادئة (ن)، أما صيغة الأسم فهي كما أثبتنا.

22. **ن س ر** (ن + sír: سر).

- المقطع الجذري السومري sír : (1) ضعيف، (2) كثيف.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نسر» دلالة القوة والانتشار.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: (1) ليس ضعيفاً، (2) ليس كثيفاً.

> (1) النسر: الطائر المعروف .

في المثل: إن البغاث بأرضنا يستنسر، أي أن الضعيف يصير قوياً.

> (2) نسّر: نشَر.

تنسّر: انتشر.

إن معنيي القوة والإنتشار بهذا التأثيل مشتركان بين السومرية والعربية، وقد جعل العرب اسم النسر من عمله في نَسْرِه لحم فرائسه أي نَتْفه بمنقاره، كما جعلوا المنقار مَنسراً ومِنسراً، وأعتقد أن التفسير الذي يرد في المعاجم القديمة على هذا النحو ليس إلا من باب تأويل السابق باللاحق، إنما الأصل أن تكون دلالة القوّة المنسوبة إلى النسر بين الطيور مدعاةً للاشتقاق لا العكس. نلاحظ أيضاً أن اللفظ قد ولّد مادةً كاملة تتمحور دلالتها على النَّسْر بمعنى النتف والكشط. ومنه جعلوا الانتشار، أي ضدّ معنى الكثافة في sir ، لأن النسر ينسر لحم فريسته نَسْراً ، (قارن: نشر)، ثم ذهبت دلالة الاقتطاع هذه إلى حقل آخر، فقيل: المِنسر هو القطعة من الجيش تمرّ قدّام الجيش الكبير. وقيل: المنسر من الخيل ما بين الثلاثة إلى العشرة، أو ما بين الثلاثين إلى الأربعين، أو ما بين الأربعين إلى الخمسين، أو ما بين الأربعين إلى الستين، أو ما بين المائة إلى المائتين. (اللسان: نسر). إننا بالطبع دون أن نستغرب هذا الذهاب من الثلاثة إلى المائتين، نستطيع فهم الدلالة الأولى وهي التبضيع، أو الاقتطاع، أو عدّ الوحدات العسكرية، بالمعنيين: القوة والانتشار، كما وردا في نفي sir السومرية.

23. **ن ص ر** (ن + sír: سِر). (س ← ص).

- المقطع الجذري السومري sír : ضعيف.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نصر» دلالة القوّة. (راجع: نسر).
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس ضعيفاً.

> النّصر: إعانة المظلوم.

> نصر: أعان، غاث.

24. **ن ش ز** (ن + šeš: شش). (ش ← ز).

- المقطع الجذري السومري šeš : أخ، رفيق.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نشز» **دلالة الفرقة وعدم التوادّ.**

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس أخاً.

> انصرف أغلب مادة المعجم إلى النشوز بين الزوجين، أي كراهية كل منهما صاحبه، وسوء عشرته له؛ إلا أن المعنى يذهب أيضاً إلى الصلة بين الأقران، رجالا ونساء، قال الأعشى:

وَتَرْكَبُ مِنِّي، إنْ بَلَوْتَ نَكِيثَتِي   عَلَى نَشَزٍ قَدْ شَابَ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

قال ابن منظور: أي على غِلَظٍ، ذهب إلى تكبيره وتعظيمه، فذلك جعله أشيب. قد أ خذه على معنى الإنشاز، وهو تركيب العظام بعضها على بعض (في القرآن: وانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكسُوهَا لَحْماً).

وأعتقد أن المعنى لا يعدو أن يكون:

← النَّشَزُ: من ليس أخاً توأماً.

25. **ن س س** (ن + suš: سُشْ)

- المقطع الجذري السومري suš : يقعد، يحلّ، يقيم (من su: جسد + uš مكان إقامة).

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نسس» **دلالة السير والذهاب وهو نفي القعود والإقامة.**

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: **لا تقعد، لا تقيم.**

> النَّسّ: المضي في كل شيء. وسرعة الذهاب.

> النسّ: السّوْق الشديد.

وبإبدال السين شيناً.

> النشّ: السّوْق الرفيق.

> نَشْنَشٌ: خفيف في السفر.

> نَشْنَشَ: إذا عمل عملاً فأسرع فيه.

26. **ن س س** (ن + šuš: شُش). (ش ← س).

- المقطع الجذري السومري šuš : يطعم، يشبع؛ طعام، علف.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نسس» دلالة الجوع وندرة الأكل.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا يأكل، لا يشبع.

> النّسيس: الجوع الشديد.

27. **ن س س** (ن + sisi: سِسِ).

- المقطع الجذري السومري sisi : حصان. الأصل مضاعفة si: يقف منتـصباً، مستقيماً.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نسس» دلالة المضاء والسير.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا يقف.

> النَّسّ: المضاء والذهاب والسرعة في السير. نسنس الطائر: أسرع في طيرانه.

> النَّسّ: السّوْق الشديد.

إن الأصل البعيد si: يقف منتصباً ومستقيماً، أي قبل أن تستقر الكلمة في sisi بمعنى: حصان، وورود نفيه بحرف النـون في المعجـم العربـي، يـوحي لنـا بـأن الصلة السومرية- العربية، هي أقدم بكثير مما نتصوّر، أي أنها تمتـدّ إلى المقـاطع المفردة في بدايات تجمّعها وتآلفها لتوليد المقاطع الجذرية.

28. **نسق** (ن + $\text{sig}_{3,10,11,18}$: سِق، سِگ)، (ن + $\text{sag}_{2,3}$: سَق، سَگ).

– المقطعان الجذريان السومريان sig و sag: خرّب، بعثر، حطّم، دمّر.

– بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نسق» دلالة البناء والترتيب والنظام.

– الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا يخرّب، لا يبعثر، ..الخ.

> النسق: ما كان على طريقة نظام واحد عامّ في الأشياء.

> النسق: الانتظام. نسّق: نظّم.

29. **نشش** (ن + éšša: ءِ شَّ).

– المقطع الجذري السومري éšša : امتلأ؛ مملوء.

– بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نشش» دلالة الإفراغ والجفاف.

– الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: غير مملوء (= فارغ).

> نشّ: نَضِب. نشّ الغدير والحوض: يبس ماؤهما. نشّ الماء: نشف وجفّ.

30. **نشش** (ن + šeš: شِش).

– المقطع الجذري السومري šeš: غير مستساغ الطعم، كريه، مُرّ. وهو مكوّن من مضاعفة المقطع eš : مرهم، دُهن؛ دَهن بمرهم.

– بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نشش» دلالة الاستساغة والقبول.

– الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس كريهاً، ليس مراً (مستساغ، طيّب).

فإذا صرفنا المعنى إلى المرهم والدهن نجد:

> الدهن الطيّب هو المنشوش بالطّيب. المنشوش: المربّبُ بالطّيب.

وإذا صرفنا المعنى إلى الطعم نجد:

> النِّشْنِشة: المُضغة أو القطعة من اللحم. نشنش اللحم: أكل منه بعجلة وسرعة. وفي نشنش دلالة الإقبال على الطعام (قا. «نسس»). النّسيس: الجوع الشديد).

31. **نشم** (ن + šem ، šim: **شم**).

- المقطعان الجذريان السومريان šem ، šim : **شجر أو نبات عطِر**.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نشم» دلالة استعمال الشجر أو النبات لغير عطره.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: شجر ليس عطِراً، لا يُستعمل للتعطّر.

> النَّشم: شجر جبلي تتخذ منه القِسِيّ، وهو من عُتُق العيدان.

> نشَّم اللحم: تغيّر وابتدأت فيه رائحة كريهة.

32. **نظم** (ن + zum: زُم). (ز ← ظ).

- المقطع الجذري السومري zum : يتسرّب، ينساب، يفيض.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نظم» دلالة التجمّع والالتئام.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا يتسرّب، لا ينتثر، ينتظم ويتّسق.

> النّظم: الجمع والتأليف. النّظام: ما نظمت فيه الشيء. الانتظام: الاتساق.

> النظيم: الشِّعبُ ينظم الماء.

33. **نفل** (ن + pil: پِل). (پ ← ف).

- المقطع الجذري السومري pil : يُخزي، يطرد. (قارن العربية: فلّ).

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نفل» دلالة المعروف والقبول.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا يهين، لا يطرد.
> نَفَله ونفّله: أعطاه نافلة من المعروف.
> النّفل: الغنيمة والهِبة. النوفل: العطيّة، النوفل: السيد المعطاء.

34. **ن ق ب** (ن + gub قُبْ ، گُبْ)
- المقطع الجذري السومري gub : وقف، أوقف، أقام (شيئاً)، انتصب.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نقب» دلالة السير والذهاب وهو نفي الوقوف والانتصاب، ومعنى الحفر وهو نفي إقامة الشيء أو نصْبه.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا تقف، لا تنصب (تقيم) شيئاً (على الأرض).
> النَّقْب: الثّقب.
> أنْقَبَ: سار. نَقَّب في الأرض: ذهب.
> ومنه باجتماع الدلالتين: النَّقب والنُّقْب: الطريق الضيق في الجبل.

35. **ن ق ر** (ن + gir_{15}: قِر ، گِر).
- المقطع الجذري gir : رجل نبيل، وبإضافة e لهذا المقطع (egir) يؤدي معنى: أمير.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نقر» دلالة الوضاعة.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس نبيلاً (= حقير).
> النّقير: الحقير.

36. **نقم** (ن + gam: قم ، گم).

- المقطع الجذري gam : ركع (أمام شخص)، أذعن، رضخ، انحنى.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نقم» دلالة الأنفة ورفض الإذعان.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا يذعن، لا يركع.

> النِّقمة: المكافأة بالعقوبة.

> انتقم: عاقب، أنكر. نقِمَ: بالغ في الكُره.

37. **نقا** (ن + ge_4 ، gi_4: قِ ، گِ).

- المقطع الجذري ge_4 ، gi_4 : رفضَ، كرهَ.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نقا» دلالة الاختيار والاعجاب والقبول.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا ترفض، لا تكره.

> تنقّى، انتقى، أنقى: اختار. يقال: أخذت نِقَتِي من المال أي ما أعجبني منه.

ويمكن ردّ الكلمة إلى نون مضافة على أحد الجذرين المقطعيين ḫe أو ḫi (خِ، خ ̃) أي يخلط ويمزج، والصفة منه ḫá : مختلط ممتزج، مخلوط، ممزوج. بإبدال الخاء قافاً، والانتقاء ضدّ الخلط والمزج.

38. **نكأ** (ن + aka ، ak: ءَكَ ، ءَكْ).

- المقطعان الجذريان aka ، ak: غرز، أدخل شيئاً في شيء.
- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نكأ» دلالة النّزْع والإخراج.
- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا تغرز.

> نكأ: قشّر. انتكأ: أخذ.

39. **ن ك س** (ن + kas_4: كَسْ).

- المقطع الجذري السومري kas : جرى، أسرع، رحل على عجل.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نكس» دلالة الانقلاب إلى البدء والعودة والرجوع.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا يُسرع، لا يعجل، لا يرحل.

> النَّكْس: قلْب الشيء، وردّه، وجعل أعلاه أسفله، ومقدمه مؤخره. المنكِّس من الخيل: المتأخّر الذي لا يلحق بها. رجل نُكْس: مقصّر عن غاية النجدة.

40. **ن ك ش** (ن + kus: كُشْ).

- المقطع الجذري السومري kus : تعبَ، أعياه الجهد.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نكش» دلالة المضي في العمل.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا يتعب، لا يتقهقر.

> النَّكْش: الاستخراج وعدم النّزف لبعد الغاية، والأتي على الشيء والفراغ منه. يقال: هو بحرٌ لا يُنكش: عنده شجاعة ما تنكش.

41. **ن ك ل** (ن + kal: كَلْ).

- المقطع الجذري السومري kal : يحبّب، يتخذه حبيباً، ثمين، غالٍ.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نكل» دلالة الجفاء والرفض والتبخيس.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس حبيباً، رخيص، لا قيمة له، محتقَر.

> نَكَل عن الشيء: انصرف عنه. نكّل به: عاقبه. نَكَل به: إذا صنع به صنيعاً

يحذر غيره أن يراه منه.

42. **ن ل ل** (ن + lu: لُ).

– المقطع الجذري السومري lu : ذكر مكتمل الرجولة، رجل ناضج.

– بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نلل» دلالة الوهن.

– الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس رجلاً ناضجاً (= قوياً).

> النُّلنُل: الشيخ الضعيف.

43. **ن م ر** (ن + mur: مُرْ)

– المقطع الجذري mur: لبس، ارتدى، ألبس.

– بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نمر» اسم الحيوان المعروف: النمر.

من التواشجات اللغوية الأنثروبولوجية أن العرب كانت تنهى عن لبس واستعمال جلد النمر. وقد عدّه العرب ضرباً من السّباع أخبث من الأسد. الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا تلبس، لا ترتدي. وقد جعل العرب لذلك تخريجات عدّة، مختلفة الدلالات، فهم لا يستعملون جلود النمور للأسباب التالية (ابن منظور: نمر):

> سبب ديني: لأن استعمالها فيه زينة وخيلاء.

> سبب عرقي: لأنها زِيّ العجم.

> سبب عملي: لأن شعرها لا يقبل الدباغ.

> سبب طبيعي رسّخته العادة، ينص عليه ابن منظور على النحو التالي: لأن اصطيادها عسير.. وأكثر ما كانوا يأخذون جلود النمور إذا ماتت.

44. **نمر** (ن + a-ma-ru: ءَمَرُ).

– الكلمة السومرية a-ma-ru : فيضان مدمّر، طوفان. وهي مكونة من المقاطع التالية: (a: ماء + ma: مشى + ru: أرسل).

– بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نمر» دلالة وفرة الماء بلا ضرر.

– الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس فيضاناً = ماء جارٍ بلا ضرر.

> النّمير: الماء الناجع للرّيّ.

45. **نمس** (ن + muš: مُ شْ). (ش ← س).

– المقطع الجذري السومري muš : ثعبان.

– بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نمس» دلالة عدم الخوف من الثعابين.

– الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: لا ثعبان.

> النِّمس: دويبة تقتل الثعبان.

46. **نمش** (ن + muš$_5$: مُشْ).

– المقطع الجذري السومري mus : مـرٌّ، موجِـع. وأعتقـد أن اللفـظ الأصـلي ذهب إلى وصـف الكـلام لأنـه مكـوّن (مـن eme: لـسان + u: نبْـت + es: يدهن).

– بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نمش» دلالـة تـزيين الكـلام وتزويـره [فلا يكون مراً موجعاً].

– الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: ليس مرّاً، لا يُوجع.

> نَمَش الكلام: كذب فيه وزوّره. النَّمش: المساررة بالكلام.

47. **نمل** (ن + mùl: مل).

- المقطع الجذري السومري mùl : حشرة ضارّة. وهو متكوّن من mù : يطحن، يقرض + ul: زهرة، برعم.

- بإضافة نون النفي يفيد الجذر الثلاثي «نمل» دلالة انتفاء الضّرر.

- الكلمة العربية في تأثيلها السومري تعني: حشرة ليست ضارّة.

> النمل: واحدته نَمْلَة ونَمُلة.

جمعت الأنثربولوجيا الدينية بين النمل والنحل والصرد والهدهد. جاء في المادة: نهى النبيّ عن قتلهنّ لأنهن **لا يؤذين** الناس، وهي أقل الطيور والدواب ضرراً على الناس.

الفصل السابع

سومر ومصر

مقاربات أوليّة في اللغة والمعتقدات

7 – 1: أسماء مصر

نعثر على اسم «مصر» في السومرية بالعلامات المسمارية : [cuneiform] ، mu-sar-ra الدّال أساساً على «النقوش الملكية» الفرعونية، لكننا إذا حملنا «مُ» mu [cuneiform] على معناها الثاني: «ابن»، فإننا نستطيع تأويلها بـ«أبناء الكتابة»، للدلالة على المصريين، أو «بنت الكتابة» للدلالة على البلد نفسه، لأن mu تذهب إلى المذكر والمؤنث، والأساس فيها «الطفل الوليد»، فهي إذن «هبة الكتابة»، سوقا على عبارة «هبة النيل». هذه القراءات محتملةٌ جدًّا، ومتسقة تماماً مع أساليب البلاغة السومرية من تشبيه وكناية واستعارة وإضمار. كما يمكننا أن نقرأ هذه المقاطع الجذرية: مُصَرَ، أو: مُصَرْ، أو حتّى: مُصْرْ. ولا أستطيع افتراض أصل آخر نشأ عنه اسم مصر إلا من خلال اللغة السومرية، التي انتقل منها إلى الأكدية *musarû* ، ثم إلى الفينيقية والعبرية، وغيرها من اللغات. ومصر في المصرية هي *mḏr* مشر، أو مجر، وأرجح انتقالها إلى المصرية عن طريق الأكدية، فهذا الاسم يعدّ حديثاً قياساً بغيره كما سنرى، أما أكثر أسماء مصر انتشاراً بين المصريين القدامى، والمفضل لديهم بينها، فقد كان: كمت *kmt* : الأرض السوداء، أرض السواد، الذي استمر استخدامه طوال العصور القديمة، وهو في السومرية حرفياً: كِمِسْ ki-mes [cuneiform]، المتكون من كِ: أرض، ومِسْ: أسود، سواد، خشب أسود. والوثْمُ (إبدال السين تاءً) ظاهرة عرفتها اللغات الأفروآسيوية، ومع أن هذه صفة عامة للأرض لم تُخَص بها مصر، إلا إننا نجدها في الأكدية *muṣur kamu* .[1] بالمعنى نفسه أي: الأرض السوداء، دلالةً على مصر.

1- انظر: آلهة. ص 231 – 232. حيث يعرّب خشيم «كمت» بالعودة إلى الجذور العربية «كمت»، «كمد»، «كمم»، «كمي». وتدل مشتقاتها على السواد والاسوداد، وكتمة اللون وكمدته، كما في المصرية القديمة.

لقد دُوّن اسم مصر منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، على الأقل، ويرجّح انتقاله إلى العربية عن طريق الأكدية مباشرةً، عَلَماً على مصر نفسها، ثم ليؤدي دلالة البلد والقطر على التعميم، وتجمع على أمصار، وقد وردت في القرآن والتوراة، تماماً كما أن أحد أسماء سومر، وهو كَلَمْ، انتقل إلى العربية ليؤدي دلالة الأرض، وإن اختصّ بنوع واحد منها، (را. اللسان: كلم).

ومن أسماء مصر أيضاً «تء . مرى» *ta-mera* ، وعربيتها أرض المحراث، أو حرفياً «طيّة مَرّ»، في التخريج الدقيق للأستاذ خشيم، حيث تكافئ ta كلمة طيّة وطاءة بمعنى أرض، وتكافيء mer كلمة مَرّ بمعنى محراث أو مسحاة (معزقة). وهي تماماً دلالة الاسم في السومرية، حيث تَ ta : هيئة الأرض وبَرَازُها، ومَرْ mar : معزقة أو محراث. أو da-mar بمعنى تخم (حد) الحرث، أي أرض الحرث، تمييزاً لها عن الصحراء والقفر والأرض غير المزروعة.

وكما نؤثل اسم مصر في السومرية، فإن السومريين لم يطلقوا اسم سومر على بلدهم، لقد استعاروا التسمية المصرية لهم. إن سومر su-mer في المصرية القديمة تتكون من su أي الناس، وmer أي الصديق، فالمعنى إجمالاً هو الشعب الصديق أو الحلفاء.

إن هذه المقاربات أوليّةٌ في ربطها بين أهم طرفين في الفضاء الأفروآسيوي، (راجع الملاحظة الختامية في هذا الفصل) ولن نعمد إلى مثل هذه الصلات اللغوية لوضع افتراضات تاريخية جديدة، ولكن تبدو الإشارة إلى أن العلاقات التي كانت قائمة بين بلاد النيل وبلاد الرافدين إنما هي أقدم مما صورته لنا كتابات الباحثين في تاريخ البلدين (سومر ومصر). ويمكننا هنا أن نستنتج أن رسائل تل العمارنة إنما كانت إحدى الشواهد المتأخرة التي نتجت عن مثل هذه العلاقات، وأنها ليست

الوحيدة، إذ أن المصريين درجوا على استخدام الخط المسماري في مراسلاتهم مع ملوك الشرق الأدنى بدءا من 1600 ق.م. وهو الزمن الذي اشتهرت فيه مصر باسمها هذا، لكن ذلك لم يكن إلا تتويجاً للعلاقة بينهم وبين بلاد الرافدين، أي أننا بالمحصلة لم نتعرّف إلا على نزر يسير من تلك الشواهد التي ما زالت غائبة، ربما مطمورة في الرمال، وربما ضائعة إلى الأبد. إننا نكتفي – كتقديم لهذا الفصل – بالإشارة إلى أن العلاقة بين بلاد النيل وبلاد الرافدين تتجاوز التأريخ الحالي إلى منطقة أبعد من ذلك بكثير، إلى منطقة تتفاعل فيها اللغة والمعتقدات، إلى الدرجة التي يقبل فيها كل من المصريين والسومريين ما أطلقه الآخر عليه من أسماء.

يقدم هذا الفصل مقاربتين أوليتين، الأولى تتصل باللغة، وقد حاولت فيها أن أعطي بعض الأمثلة على التقارب اللغوي بين السومرية والمصرية القديمة، ولعلنا نستنتج من مطالعتها أن الصلة كانت جدّ وثيقة بين الطرفين الأكثر أثراً في الفضاء الأفروآسيوي، وأهدف من ذلك إلى فتح أفق جديد لبحثٍ أدّعي أن أدواتي تقصر عن الاضطلاع به، ولكنه يلوح لي يقيناً، أو هو في مقام اليقين.

المقاربة الثانية تتصل بالمعتقدات السومرية والمصرية. وأساس هذه المقاربة لغوي محض، وبالرغم من الإشارات التي وردت هنا وهناك في ثنايا هذا الكتاب، وهي تحذّر من اعتماد ما يمكن اعتباره حقيقة لغوية لبناء فرضيات تاريخية، إلا أنني أستأنس هنا بتصورِ أن المعتقد الديني هو أساساً فعلُ لغةٍ، أو أن اللغة مبدأٌ أساسيٌّ فيه، وما سيطالعه القارئ هنا ليس محض توافقات أو مصادفات أنشأتها اللغة في ترحالها وتفاعلاتها، فذلك قد ينطبق على عدد قليل من الأمثلة التي تفسّر التماثل في أسماء الآلهة والمعبودات، فإذا امتدّ هذا التماثل إلى هذا القدر الذي نشهده، فإننا سنعمد ولا بد إلى إعادة التفكير في المشترك المعتقدي بين السومريين

والمصريين، بغض النظر عمّا آلت إليه العبادات والطقوس وما شابهها من تطوّر لاحق على جانبي هذا الفضاء الأفروآسيوي.

**

7-2 : من سومر إلى مصر (مسرد مقارن)

أعتقد أن الإشارة واجبة هنا إلى أنه لا توجد في الهيروغليفية الحروف: e ، o ، u بتصويتاتها اللاتينية الشائعة، وحرف e المستخدم هنا هو، كما يقول بدج، لتسهيل القراءة[1]، أما u في هذا الفصل فيكافئ حرف w في أجزاء الكتاب الأخرى. إن بدج يكتب الحرف a بثلاثة أشكال: a (ءَ)، à (ءْ)، ā (ع)، وهي في هذا الكتاب: الفتحة (a َـ)، الهمزة (ʼ)، العين (ʻ). وقد قمنا بمعالجة كتابة بقية علامات الحروف بما يتوافق والمسرد الوارد في مقدمة الكتاب. مثلاً *χ* عند بدج هو حرف الخاء (ẖ)، وṭ هو حرف الدال (d)، و*θ* أو th هو حرف الثاء (ṯ)، وt' هو حرف الطاء (ṭ)، وś هو حرف الشين (š).

- (س) ab: **بقرة.** (م) *baʼ*: **عِجْل.**
- (س) ag ، ak: **أدخَلَ، جعلَ.** ku4: أدخلَ، (ig: باب). (م) *ʻaq* : **أدخَلَ.**
- (س) aẖ5 ، aẖi: **قرن، قوة.** (م) *ʼaḥ* : **ثور.**
- (س) ál ، alan: **مظهر، شكل.** (l ← n). (م) *ʼan* : **ذو مظهر حسن.**
- (س) an-ki: **الكون، جميع الأحياء.** (م) *ʻanẖ* : **الحياة.**
- (س) a-rà: **طريق، درب.** (a: أين + ra: مضى، حملَ). (م) *urit*: **عربة.**

---

[1]. EL، ص35، 38.

- (س) $aš_{(5)}$: **عنكبوت.** ($uš_{11}$: أفعى، سمّ الأفعى). (هـ) *ʿaš* : **سحليّة.**

- (س) $aša_3$: **حقل.** a-šà: **حقل.** < (a: بذور+ šà: رحِم). sa ، sa_5: مهّدَ الحقل، غمر الحقل بالماء. $ša_5$: حصدَ. (هـ) *ša*: **حقل.**

- (س) $ašte_2$: **كرسي، عرش.** ع. 'ast. (هـ) *'ast* ، *'auset* : **كرسي، عرش.** (عرش الربّة إِزِيس Isis).

- (س) ašte: **شيء مرغوب، حاجة.** < (áš: رغبَ + te: وصلَ). (هـ) *šent*: **أراد، رغبَ.**

- (س) ba: **أعطى، قدّمَ، وهبَ.** (هـ) *ʿab* : **قربان، تقدمة، هبة.**

- (س) ba: **أعطى، قدّمَ، وهبَ.** (ب ← م). (هـ) *mā*: **أعطى، قدّمَ، وهبَ.**

- (س) bana: **نخلة أو جزء منها.** (هـ) *bener*: **نخلة.**

- (س) bar: **خارجٌ؛ أبعدَ.** (هـ) *per*: **خرَجَ.**

- (س) du_3: **أمَرَ، جعَلَ.** (هـ) *ud* ، *ut*: **أمَرَ.**

- (س) dù: **ارتفع، علا، نصب شيئا على الأرض.** (هـ) *du*: **جبلٌ.**

- (س) duẖ: **قوّر القارب** (عالجه بالقار). (هـ) *ẖed*: **قارب.**

- (س) éd: **نبَتَ، تبرعمَ.** (هـ) *uad*: **نبتة، ما هو أخضر.**

- (س) $ereš_5$: **ذكي.** (هـ) *reẖit*: **ذكي.**

- (س) ésang: **أهراء، مخزن غلال.** (هـ) *šen*: **أهراء، مخزن غلال.**

- (س) eš: **كثير، وافر.** (هـ) *ʿaš* : **كثرة، وفرة.**

- (س) gu: **ثور.** (متبوعة بالمقطع gur = ra: خوار الثور). (هـ) *ka* ، *ga*: **ثور**[1].

- (س) gur: **خوار.** جذ. ḫwr. (هـ) *ḫeru*: **صوت.**

- (س) gú-šè: **إلى الجهة الأخرى** (gú: جهة). zag: جهة، جانب، حدّ، تُخُم. (هـ) qes: **جانب، جهة.**

- (س) ḫa: **سمكة.** (هـ) *ḫa*: **سمكة ميتة.**

- (س) $ḫad_2$ ، ḫáda: **أبيض، سطَعَ.** قا. ḫúd: صباح. (هـ) *ḥed*: **أبيض، ساطع، نور.**

- (س) ḫar: **طريق.** (ḫar-ra-an: طريق، درب). a-rà: طريق. (هـ) *ḥer*: **طريق.**

- (س) $ḫaš_2$ ، $ḫaš_4$: **فخذ، ظهر، أسفل البطن.** (هـ) *ḫepeš*: **فخذ، ورك.**

- (س) $ḫé-du_7$: **زخرفة (تخطيط).** (هـ) *ḫet*: **خطّطَ.**

- (س) ḫé-nun: **إثمار، وفرة الغلال.** < (ḫe: وفرة؛ وافر + nun: ممتاز، عميق). en: حزمة من الثمار، عنقود، عرجون. (هـ) *ḥen*: **حزمة نبات أو زهور.**

- (س) ḫu: **طائر**[2]. (ḫu أقدم استخداماً من mušen). (هـ) *ḫu*: **الروح المتعالية** spirit-soul.

1- يذهب الأستاذ خشيم إلى أن ka انتقلت من الدلالة على قدرة الذكورة في الأزمنة القديمة لتعني القوة الروحية والعقلية، ومن هنا اجتماع معنيين مختلفين في الكلمة: ثور، روح. وهو يقابلها لفظاً بالعربية جاه، (آلهة، 486 – 490)، ونلاحظ أن الأصل السومري: ka يعني فم، ويمكننا مقاربة ka المصريّة بها لكون الروح في الميثولوجيا الفرعونية تخرج من الفم لحظة الموت.

2- تصوّر الميثولوجيات الشرقية الروحَ على شكل طائر. س: گِدِم gidim، أك: ءِطَمُّ iṭamu، م: كَ ka وخُ ḫu (. س. ḫu: طائر)، وكذلك ع: هامة (جذ. هـ و م) . حام (جذ. ح و م).

– (س) ḫúd: **صباح**. (ud: الشمس). (هـ) *ḫu*: **إشعاع، إشراق.**

– (س) hurin:[1] **صقر.** (هـ) *ḥeru*: **صقر، طائر الحر.**

– (س) i: **ذهَبَ، خرَجَ، قادَ، نهض.** (هـ) *’i* : **ذهَبَ.**

– (س) ída: **نهر، قناة.** du$_{10}$: ماء عذب. (هـ) *’adet* : **مطر، ندى.**

– (س) idim: **متوحّش.** (أنظر: الفصل الخامس، مادة: ندم). (هـ) *nedem*: **لطيف.**

– (س) imḫur: **زَبد، رغوة.** قا. mur: **طَحَنَ، عَصَرَ،** [ḪAR] ur$_5$: **طَحَنَ،** muru$_9$: رذاذ. (هـ) *merḥu* : **مرهم.**

– (س) inda: **بطارخ السمك.** (هـ) *’an* : **سمك.**

– (س) karadin: **فأس.** (هـ) qrdn: **فأس.**

– (س) kid: **قصب، حصير من القصب.** (هـ) *ḫet*: **غصن، خشب.**

– (س) ma$_5$ ، mù: **طَحَنَ.** (هـ) *’am* : **أكلَ.**

– (س) maš: **توأم، نصف.** > (ma$_4$: غادرَ + šé: قِسْم). (هـ) *meš*: **شبيه، مثيل.**

– (س) men: **عمامة.** > (me: منصب، وظيفة + en: سيد). (هـ) *meh*: **غطاء الرأس (عمامة).**

– (س) mes ، meš: **ابن، شابّ، أمير.** (هـ) *mes*: **ابن.**

1- تكتب كلمة صقر بأشكال مختلفة، وأعتقد أن القراءة الصحيحة لحرف u هي h، را. الفصل الرابع. (mušen التي ترد في نهاية كل كلمة هي المحدّد السومري للطيور، وتفيد ḫu أيضاً) : u$_{11}$-ri$_2$-in^{mušen} ، erin^{mušen} ، u$_2$-ri-in^{mušen} ، uri$_3$ḪU^{mušen} .

- (س) $min_{(5,6)}$: **الثاني**. (قا. inim: كلمة، قول). (م) *nem*: **أعاد، كرّر القول.**

- (س) mina : **إثنان، ثانٍ.** > (mi: إمرأة + na: للأشياء البارزة = نهد). (م) *mena* : **ثدي.**

- (س) nab: **الاسم العيلامي للإله.** (من السومريّة ni: خوف + ab: بحر، بحيرة). (م) *nab*: **ربّ، سيّد.**

- (س) ner ، nir: **ضفدعة.** (م) *n'ar*: **سمكة** (من الرخويّات).

- (س) nir: **طار، ارتفع.** (م) *ner*: **نِسْر.**

- (س) ĝen ، ĝin : **ذهبَ، مشى.** (م) *ẖen*: **ترجّلَ.**

- (س) nír: **حجر ثمين بنقاط بيضاء وسوداء.** (م)*'aner* : **حجارة.**

- (س) pa: **جناح، ريشة.** (م) *pa*: **طارَ.**

- (س) paẖ: **ساق.** جذ. fẖd . (م) *ẖepd*: **فخذ.**

- (س) par: **قناة صغيرة.** (م) *mer*: **قناة، مجرى مائي.**

- (س) rà ، ar ، ara_4: **ساطع، وضّاء، تألق، لمعَ.** ér ، ír: **دموع**[1]، **نحيب؛ صلاة.** ri: **بَكَى.** (م) ‘ra: **الشمس الساطعة**[2]**، رع.**

- (س) ri = **فَتَحَ.** (م) *re* = **فتْح، فم، باب.**

- (س) saẖab ، suẖub ، **مزلاج الباب.** (م) *sba*: **باب.**

1- في أساطير الخلق المصرية «بكى» الإله رع، فخلق البشر من دموعه. آلهة: 41.

2- تطلق رع على الشمس في وضوحها، أما اسمها عند الشروق فهو حرختي، وعند الغروب أتم. آلهة: 419.

- (س) sa ، éše: **حبل، رباط.** (هـ) *ša*: **حبل، مائة.**

- (س) satu: **جبل، أجزاء عليا.** (هـ) *semt*: **أرض جبلية.**

- (س) sisi: **حصان.** < (مضاعف si: وَقَفَ، انتصب). (هـ) *sesem*: **حصان.**

- (س) su: **نشرَ، انتشرَ.** (هـ) šu: **ريشة.**

- (س) $suḫ_{2,3,5}$: **جدار دائري، سياج.** (هـ) *usḫet*: **ردهة، فناء.**

- (س) $suḫ_4$: **جذْل القصب.** < (ممتاز+ نبات+ كثير). (هـ) *seḫ(t)*: **نبات نامٍ.**

- (س) suḫur: **شَعْر، عُرْف الديك؛ مَشَطَ.** < (su_6: لحية + ḫu: غزير + ùr: سقف). ج. r ‘š. (هـ) *šere*: **خصلةُ شَعْر.** *ušer*: **شَعْر.**

- (س) sumaš: **سمك.** (هـ) *sebek*: **الإله سبك** (التمساح).

- (س) $ša_5$: **قَطَعَ، كَسَرَ.** (هـ) *ša*: **قَطَعَ، كسرَ ، نَقشَ.**

- (س) šaĝar: **جوع.** (s ← ḥ، ĝ ← q). (هـ) *ḥeqer*: **جوع.**

- (س) šennur: **شجرة مثمرة.** (ش ← ب). (هـ) *bener*: **نخلة.**

- (س) še..ús: **دوْس الحيوانات أثناء الدرْس** [في حركة متتابعة]. < (še: شعير + ús: تبع، لحق). (هـ) *šes* : **تبعَ، تابعٌ.**

- (س) šita: **صولجان، قضيب شائك.** الأصل في الكلمة هو فعلُ القتل. < (ùš: قَتَلَ+ ta: بواسطة). (هـ) sat: **قنص، اصطاد**[1].

- (س) ta ، da: **طبيعة.** (ta كإسم إشارة يدل على الأمكنة البعيدة).ki-ta: [أرض]

1- العلامة الهيروغليفة للفعل sat: سهمٌ يخترق جلد حيوان.

منخفضة. ti: جهة. (هـ) ta: **أرض.**

- (س) tab: **حَمَلَ.** (ت ← ك). (هـ) kep: **حَمَلَ.**

- (س) tir: **أَيْكة، دغل.** < (ti: سهْم + ur: قطعة خشب). tur: ضئيل، صغير، قليل. tur_5: ضعيف. قا. pa-tar: يشذّب الأغصان (pa: غصن + tar: يقطع). (هـ) ter: **غُصَيْن، برعم.**

- (س) tum: **طائر** (من فصيلة الحمام واليمام البري). (هـ) mut: **نسر.**

- (س) $u_{(3,4,8)}$ ، du_4 ، ḫum: **قتال، معركة.** < (كثير+ $u_{(3,4,8)}$: قتال + $me_{3,5,7,9}$: معركة). (هـ) *ḥu*: **قاتل، صارع.**

- (س) u_5: **ديك.** (هـ) u: **دجاجة.**

- (س) u_5: **ذكر الطير، ديك.** (هـ) 'a: **صقر.**

- (س) umun ≺ ، u_3-mu-un: **رب، سيد، حاكم، كاهن.** (هـ) amen': **الرب ءَمن.** (ع). آمين، إيمان!، مؤمن![1]

- (س) ur: **كلب.** قا. urgu: غَضَبٌ. < (ur: كلب+ gu: صوت= نباح). قا. urmaḫ: أسد. < (ur: كلب + maḫ: كبير). (هـ) *uḫer*: **كلب.**

- (س) u_5: **أبحرَ، ركب القارب.** (هـ) *u'aa*: **قارب، أبحرَ.**

- (س) ús: **أحضرَ، نقلَ، وصلَ.** (هـ) *'as* : **أحضر.**

- (س) us: **نَقَلَ.** $peš_{4,13}$: **حَمَلَت** [المرأة]. $piš_{10}$ ، $peš_{10}$: ضفة النهر. (هـ) *bes*:

1- أنظر خشيم (آلهة: 309) حول هامان وكهنة أمون، حيث يشير إلى أن الكهنة كانوا يجمعون بين السلطتين الدينية والدنيوية، أي كانوا كهنةً وحكاماً، كما في دلالة umun السومرية.

نَقَلَ.

- (س) us ، uz: **إوزة.** (م) *sa*: **إوزة.**

- (س) uzu: **قطعة لحم.** (قا. mi-us-sa: ربيب). (م) *'asu* : **وريث، ذريّة**[1].

- (س) uzu-i: **لحم دسم، شحم.** (م) *uša*: **سَمَّنَ.**

- (س) zà: **بداية، حدّ.** (م) *ḥā*: **بداية.**

- (س) zi: **حقيقي، صحيح.** (šu: قوّة، تحكّم). (م) *šu*: **حقيقي، صحيح.**

- (س) zu..ra: **لدغ، عضّ.** < (zu: شوكة، سن + ra: ضرب، هاجم). zu-ẖar: عضّ. zu-ra-aẖ: التهم. (م) *serq*: **عقرب.** (انظر: سرقت في 7- 3).

7- 3: آلهة مصر: مقاربة سومرية – مصرية – أكديّة – عربية

هذه - كما سيطالع القاريء- مقاربة تجمع بين السومرية والمصرية والأكدية والعربية، لإعادة تأويل بعض أسماء الآلهة المعبودة في مصر القديمة، واختيار اللغات الأربع ليس عفويّا أو اعتباطياً؛ لأننا بذلك نجمع شمال الجزيرة ووسطها وجنوبها، بشرق أفريقيا وشمالها، متحدّثين عن فضاء أفروآسيوي، هو حقل اشتغال وتفاعل اللغات الأفروآسيوية.

إن البيئة الحضارية (الثقافية واللغوية والإجتماعية والمعتقديّة) التي تضم هذه الأقاليم قد اشتركت وتشاركت، تأثرت وتآثرت، اقترضت وتقارضت: لغاتها وثقافاتها وعاداتها وآلهتها، ثم أن هذه التفاعلات - على تباينها - قد تجمّعت،

1- العلامة الهيروغليفة للكلمة *'asu* : قطعة لحم وعظم.

عندما أصبح الزمن تاريخاً، في العربيّة لغةً، وفي الإسلام ديناً. فالمسلمون كما نلاحظ يعدّون عشرات الصفات يلقّبون بها الله وهي أسماء وصفات آلهة أسلافهم، كما أن لغتهم، تجرّد لغات أسلافهم فتحتويها وتعتويها، ولعلّها لهذا السبب تبدو كما لو كانت الأكثر اكتنازاً وتضخّماً بين جميع لغات العالم.

أما التوصيف العرقي للغات، ونسبتها إلى الأجناس التي تحدّثت بها، فإنها أشبه بنسبة الجدّ إلى الحفيد، إذا جازت هذه المقارنة. إن مصر عربية، وسومر كذلك، وسومر مصرية، وجزيرة العرب كذلك، وجزيرة العرب سومرية، ومصر كذلك. وليس لأحد هذه الأجزاء أن يستقل بوصف يعزله عن محيطه التاريخي والثقافي واللغوي. لقد تغيرت الآلهة، لكن اللسان الذي سبّح لها بقي خالداً، ومازالت أمامه ألوفٌ أخرى من السنين ليتجدّد فيها دون أن يَمَّحي الأصل الذي نشأ عنه، وكمن في عمقه. إن «العربيّةَ اللسَانُ». ولعلَّ في هذا الأثر ما يغني عن التمحُّك والتعصّب، مهما كان إدِّعاء العلمية كبيراً. لقد ورثت العربية هذا التراث الخالد، فتجسد في لسانها لغةً، وفي عقيدتها ديناً، حتى لا يكادان يستقلان، والعربيّ هو من انتمى إلى هذا التراث بكلّه، مدركاً أثره في التاريخ وصنع الحضارة الإنسانية، دون أن يتوقف عند ظاهرة مفردة من ظاهراته، أو رمزاً منفصلاً من رموزه، لأن تلك الظاهرات وهذه الرموز ما هي إلا أجزاءٌ من أصلٍ، وبعضٌ من كلٍّ. فالفرعونية مثلاً، أو الفينيقية، أو الأمازيغية، إنما هي دعوات انتُزِعَت عن أصلها، أو هي فروع قُصِفت عن جذعها، بينما نعرف أنها لم تصر إلى الحياة إلا عندما ارتبطت بهذا الجذع، وما هذا الجذع إلا جماع ذلك التراث، تاريخاً، ولغةً، وحضارةً، وأصلاً أزلياً.

***

ءتم tm’ ، تم tm [1]

«ء ت م ، وأيضاً ت م tm ، معبود مدينة عين شمس، الخالق، الـذي صـدرت عنه جميع المخلوقات، الذي وُجد من نفسه، وكـان رب الجميـع قبـل أن تُفتَـق الـسماء عـن الأرض، يترجـم اسمـه إلى: المطلـق، التـام، الكامـل، الأقـدم، والوحيد».

نعثر على دلالات الجذر (م) tm في (س) dm. فكلمة (س) dim تعني: خلقَ، صنَعَ، بَنَى. وهي تعود إلى مقطعين جذريين أساسيين: (س) du : بَنَـى، صـنَعَ + im: طين. أي: الخلق مـن طـين، وهـو المبـدأ الـذي سـاد اللاهـوت الـشرقي القديم، مع الإشارة إلى أن هذا الإله «يظهر في نصوص الأهرام باعتباره «التـل الأول» على هيئة جُعَل يخرج من كرةٍ من الطين»[2]. أمـا في صـفة وجـوده قبـل فصل السماء عن الأرض فإننا نجد دلالة الربط والجمـع في: (س) dam: ربـاط، رابطة، صلة.

ءتن . الشمس ، tn’

«كان **ء ت ن** يمثّل الشمس، ثم اعتبر قرص الشمس المرئـي تجـسداً للإلـه رع، رفعه اخناتون إلى مرتبة الإله الأوحد، وفي الخمس سـنوات الأولى مـن عهـده كان يمثّل بشكل بشري له رأس صقر، وبعد ذلك أصبح يمثل بقـرص الـشمس الذي تنتهي أشعته بأيدٍ تمسك علامة الحياة: عنخ».

يؤدي اسم «ءتن» في القراءة المقطعية باللغة السومرية معنى: شمس السماء.

1- التعريف بأسماء الألهة الذي يرد بين مزدوجتين، بعد كل اسم، يعود غالباً إلى كتاب آلهة مصر العربية للأستاذ خشيم، ومعجم المعبودات والرموز في مصر القديمة لمانفرد لوركر.

2 - آلهة: 287 .

(س) (ud) utu : شمس.

(س) an : سماء، ءَنْ (إله السماء السومري)؛ عالٍ؛ عَلا، صار عالياً.

أخناتون . **’ẖ.n.’tn**

يتكوّن من المقاطع الجذرية التالية:

(س) aẖ: قوة. (n: أداة الإضافة في اللغة المصرية).

(س) ’tn: شمس السماء. أي: قوّة شمس السماء.

يؤوّله خشيم بعد عدّة مقاربات عربيّة إلى: قوة الشمس، أو: روح الشمس، أو: الحاكم بأمر الشمس.[1]

ءزر، ءسر . أوزيريس ، **’sr**

«إله الخصب والبعث والحياة الآخرة، وهو أكثر أسماء الآلهة المصرية إثارة للإختلاف».[2]

1- آلهة، 292.

2- تتبع د. علي فهمي خشيم هذه القراءات المختلفة، بدءا من 1750 أي قبل قراءة رموز الهيروغليفية بما يزيد عن سبعين عاماً، وهذه أبرزها: رأى جابلونسكي P. E Jablonsky أن اسم «ءس ر» استناداً إلى القبطية «ءُ شْ ءِر» os.iri هو: العامل كثيراً. وقرأ شارب S. Sharpe (1862) اسمه os.iri بمعنى: القاضي أو الحكم. وقال لوث F. J. Lauth (1868) أن اسمه هو «ءُسْ ءِر» ويعني: ابن ايزيس، أو ابن الأرض. وربطه ديفيريا T. Deveria (1872) بإله الأشوريين Assur . وكتبه بركش Brugsch «ءُسْ.رَعْ» وقال أنه يعني قوة الحدقة. أما بدج Budge فرأى أنه يعني: صانع عرشه. وقال أوريك بيتس O. Bbates أنه معبود ليبي الصل، ويعني اسمه في اللغة الليبية القديمة «وسر» wsr بمعنى: القديم، العتيق. أما مرسر Mercer فقد عاد به إلى بلاد الرافدين وقال أن اسمه «ءَس ر» هو أحد ألقاب الإله البابلي مردوخ. (آلهة: 315- 316)

نستطيع أن نقـرأ اسمـه: (سـ) a-si-ri، وهـي: (اك) asiru ، (ع) 'asīr:
أسير، لأن أخاه «ست تحايل عليه (وأسره) ووضعه في صندوق محكم الإغلاق وألقى به في النيل»[1] ، والأقرب إلى هذه الكلمات هي (هـ) إسـر isr . وإذا كـان الأسر دلالة عامة في أسطورة أوزيريس، فإن المقـاطع الجذريـة المكوّنـة لكلمـة (سـ) a-si-ri، تلخّص جزءا مهماً من هذه الأسطورة:

(سـ) a : ماء، قناة (نهر!).

(سـ) si : قوّة (عنف!)، كذلك: أصبع (يد!)، قرن، (منهـا: (سـ) si-sa: قَـوّى، متّنَ).

(سـ) ri : رمى (إلى الأسفل)، طرح أرضاً، أبعدَ، ابتعد، وضعَ.

فالمعنى إجمالاً: [الذي] أبعده النهر بقوةٍ، أو: الذي جرّه النهر. كما في أسـطورة صراعه مع أخيه ست.

إن كلمة (سـ) a-sur-ra تعني: ماء الأعماق، كما أن (اك) wašaru تعني: غَرَقَ.

ءست . إيزيس ، 'st

«عند بعض الباحثين أن اسم هـذه الربّـة الـشهيرة يعـني الكرسـي أو العـرش، ويكتب بعلامة مشابهة لتلك التي تضعها على رأسها».

إن تأويل اسم ايزيس (ء س ت) بالكرسي أو العرش يتفق تماماً مع الـسومرية «ءَشْتِ» (سـ) ašte : كرسي، عرش.[2]

1- آلهة: 314.

2- يقول و. بدج في كتابه آلهة المصريين: «اسم **ءست** ast مثل اسم **ءسر** aser قاوم كل تفسير حتى الآن. وواضح من المشتقات المعتمدة على الجناس التي كان يعود إليها المصريون أنفسهم أنهم لم يعرفوا عن معنى اسمها أكثر مما نعرف، والاحتمال هو أن **ءس** as أو **ءست** ast اسم ليبي في الأصل، وأنه يجب أن يصنّف مع أسماء المعبودات الليبية الأخرى، أعني: نث، بست، وغيرهما. وهي التي كان يعبدها مصريو ما قبل الأسرات، والتي عُبّر عن أصوات أسمائها

ءش ، aš

«معبود ليبي الأصل، ظهر على الألـواح المـصرية منـذ الأسـرة الثانيـة، أمـا في الأسرة الثانية والعشرين ذات الأصول الليبية، فقد سيطرت عبادتـه خاصـة في الواحات. قُرِنَ «ء ش» بالمعبود «سث» (رب النار وإله الجحيم)، و«ء ش» هـو **إله الرماد**، ويعتبر أحد رموز الموت».

(س) izi : نار. (اك) *išātu* : أزيز، شياظ.

(س) az : شجر الآس. (اك) *asu* .

(س) ušuš : من صفات الأرض، غير محدّد. وللمقطع uš معـان كـثيرة، إلا أن الوحيدة ذات الصلة بالأرض هي: قصب ميت. ويمكن إحالتها إلى الرماد.

ءكر . رب الأرض ، **ʾkr**

«هو رب الأرض، يصوَّر بشريط مـن الأرض ينتهـي مـن كـلا طرفيـه بـرأس بشري، أو رأس أسد».

يمكن مقاربة اسمه بالمقطعين:

(س) a : أب.

(س) kur ، (س) kir_5 : أرض، العالم الـسفلي، بلـد، جبـل. أي: أب أو رب الأرض.

ءمن . ʾmn

«يوصف بالخالق الأزلي، إله الخصوبة، تم توحيده مع إلـه الـشمس في صـورة:

بالرموز الهيروغليفية بأقرب ما يمكن حين اقترض أهل البلد، أو اخترعوا الكتابة» (آلهة 328). والآن لعلّ السومريّة تجعلنا نتجه شرق مصر، لا غربها، لتأثيل هذا الاسم الغريب، المختَلف حوله، أو لعلّها جغرافيا اللغة التي تجعل: «الشرق غرباً، والغرب شرقاً».

ءمن . رع».

(س) umun 𒌋𒅗، (س) u$_3$-mu-un 𒌋𒈬𒌦 : رب، سيد، حـاكم، كـاهن.

ومن معاني umun أيضاً: يلد، يهب الحياة، دمٌ.

ءنبو. أنوبيس ، ’npu

«ربّ الأموات والتحنيط، مُثّل بإنسان له رأس ابن آوى، حرف في اليونانية إلى أنوبيس، يكنّى: «سيّد الأرض الجوفاء»، أي المقبرة».

هذا تحديداً ما يعنيه اسمه في السومرية، وهو يتكون من مقطعين:

(س) en: سيّد، رب.

(س) pu 𒅤 : حفرة، تجويف، عُمق. (أك) *ḫupu* : تجويف، كهف).

أي: رب الأعماق، سيد الأرض الجوفاء.

أنوريس . ء ن ح ر ت ، ’nḥrt

«أحد أرباب السماء في مصر العليا، وأحد حملة السماء، يذكر كتاب الموتى أنـه حمل الإله رع على كتفيه، لُقّب «ءون.م ت. ف»: أسـطون، عِمَـاد (أو عمـود) أمَّه (= السماء)، يتكون إسمه من مقطعين: «ءِن» *in* و«ح ر ت» *ḥrt*».

(م) *in* تكافئ (س) an : سماء، أو (س) un: ظهرَ، ارتفعَ، نـشأ، نهـضَ. (قـا. (أك) *elu*).

(م) *ḥrt* : t علامة التأنيث في المصريّة. أما *ḥr* فإننا نقرؤها سـومرياً ur حيـث u تكافئ ḫu و ḥu (قا. (س) urin = (س) ḫurin = (م) ḥor = (ع) ḥur: طائر الحر).

(م) ḥr = (س) uru: دعامة. فالمعنى إجمالاً في السومرية هو: عَمَدُ السّماء.

أمـا لقبـه: «ء و ن . م ت . ف». فيتكـون مـن «ء و ن»: أسـطون (أنظرهـا في

موقعها)، ومـن «م ت»: أُمّ، وهـي (س) ama . (اك) *umu* ، وأخـيراً فـإن «التاء للتأنيث، والفاء ضمير المفرد الغائب»[1]. والمعنى اجمالاً في السومرية هـو: أسطون أمّه (السماء).

ءون (أسطون، عمود) ، **'wn**

«يعني اسمه: الأسطون (العمود). وهـو مـن آثـار عبـادة الذكوريّـة القديمـة في هليوبوليس، وكان يُرفع بطقوس بالغة التوقير ويوضع رأس ثور عادةً في قمّته، ولصلته بالمسلّة صار رمزاً للقمر، كما أطلق اسمه على أوزيـريس بـصفته إلهـاً للقمر».

(س) un_3: علا، نهض، صار عالياً. لاحـظ التـشابه في علامـتي الكلمـتين المصرية والسومرية.

(س) unu: معبد، الجزء الأقدس من المعبد. عرش. (قا. (هـ) *iwnw* : مدينة هليوبوليس). (ع) الأوان *awān*': عمودٌ. كل شيء عَمَدْتَ به شـيئاً فهـو إوان [عوْنٌ] له. نخلة عوان وعوانة: طويلة، عالية. (اللسان).

بء . نفس ، **b'**

«في أقدم النصوص وُصف كل إله بأنه «بء». وتظهر رسوم المملكـة الجديـدة علـى المقـابر وأوراق الـبردي هـذه الــ«بء» في صـورة طـائر يرفـرف فـوق مومياءات المـوتى، أو يقـف علـى الأشـجار المزروعـة حـول القـبر، فالدلالـة الأصلية هي الطيران، ويقرنها أرنولـت بالآرامية تِبْـعَ *teb'a*، والـسريانية بَـعَ *ba'a*، العربية: تَبِعَ، بغَى».

1- آلهة: 314.

bu (س) 𒁍: طار، رفرف [بجناحيه]، تَبِعَ، لاحقَ. قا. (هـ) pa 𓅮𓅭𓏤
: طارَ. Pau. قارن كذلك بين العلامتين: (س) 𒁍 و(هـ) 𓅞 .

بتاح ، ptḥ

«معبود مدينة ممفيس.. كان يخلق عن طريق قلبه ولسانه، مشكّلاً الوجود بقـوة كلمته، وكان «ب ت ح» يعتبر الإلـه العتيـق الـذي وحّـد في شخـصه وجـود «نون» nun المظهر الرجولي، و«نونت» naunet المظهر الأنثوي».

يمكننا تتبـع الكلمـة مقطعيّـاً في (س) ba 𒁀: فـتَحَ، وتُكتـب أيـضا bad. ومنهـا تحدّرت (أك) *petū*، الأقرب إلى (هـ) *ptḥ*. ومن ضمائمها ka-bad 𒁀 𒅗𒁀 الـتي تعني: فتْح الفم، ويطابق صفةً منسوبة إلى بتح، وهي: «الفاتح.. إيمـاءً إلى دوره في طقس ديني يدعى فتح الفم».[1] أي النطق أو الكـلام، إشـارة إلى قـدرة بـتح على الخلق بقوة الكلمة.

بس . القزم ، bs

«إله منزلي، قزم ذو وجه عابس، يحمي النساء والأطفال».

(س) baza 𒁀𒍝: قزمٌ.

بست . الهرّ ، bst

مأو . m'u

«معبودة مدينة بوباستيس (تـل البـسطة)، وحيوانهـا المقـدس هـو الهـر (مءو) الذي تنتسخ فيع روحها. وكانت تعتبر أمـاً للأسـد miy والـذي يلقـب بـرب

1- آلهة: 341.

الذبح».

(س) peš : فأر، جرذ.[1] (انتقل المعنى بالتضاد إلى هر).

(ع) bas البَسّ: الهرّ، السّنّور.

أما (ه) m'u فهي (س) mu : أصدر صوتاً، والمعنى على غير تعيين ولكنه ينصرف إلى ماءَ أيضاً.

(ع) *muwā'* المواء: صوت الهرة.

بنبن . حجر ، **bnbn**

«حجر مدينة هليوبوليس المقدّس باعتباره المكان الذي تجسّد عليه الإله الأزلي أمون».

مضاعف (ه) ben: حجر. وبالرغم من أن هذه الكلمة مقطع واحد، فإن السومرية تحتفظ بمقطعين جذريين للدلالة عليها، وعلى فعل البناء، هما:

(س) ba : من أدوات البنّاء.

(س) na : na_4 : حجر.

لقد عبر المقطعان إلى الأكدية بمعنى الحجر المخصص للبناء، أو الذي يتخذ وزناً يقاس به: (اك) *abnu*، (ع) بَنَى: بناء، البنيّة (الكعبة).

بنو ، bnu

«الطائر المعروف باسم أبو قردان (مالك الحزين)، عُبد كتجلٍّ لروح رع، يعني

1- لنداء القطة في اللهجة الليبية يقولون: بِش بِش، ولزجرها يقولون: كِس، ولا بد أن لذلك صلة بعيدة بالسومرية: بِشْ peš و كِشِ kiši: فأر.

اسمه عند غاردنر: سطع، شعّ، أنار».

إن الدلالات التي ترد مرافقةً لاسم «ب ن و» نعثر عليها في المقاطع السومرية بإبدال شائع بين الراء والباء.

[س] bur_2، وكذلك bu_7: ضوء، توهّج، تألّق، وقد عبرت إلى الأكدية في شكل *bānū*، وهي أقرب لفظاً إلى *benu*. كما عبر الأكديون عن النور في كلمة: *nurū* ، [ع] نورٌ. وللمقارنة في صفته كطائر فإن [س] $buru_4$ ، $buru_6$ تعني: طائر، صقر، عقاب.

جب . إله الأرض ، gb

«أب الآلهة، كان تجسيداً للأرض، صوّر وهو يحمل النباتات التي نمت على ظهره، كما نبع الماء منه أيضاً».

يمكننا مقاربة اسمه في مقطعين جذريين يجمعان صفتيه (ki-ab):

[س] ki : الأرض.

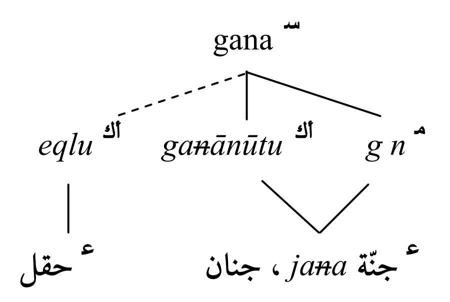
[س] ab : بحيرة (كذلك pa: ري، سقي، قناة).

ونجد أيضاً، بالاكتفاء بدلالة الأرض: [س] ki-ub : أحد أركان الأرض.

جن . الجنّة ، **gn**

«(1) حديقة تمثّل الأب السماوي للفرعون. (2) بستان أمون الذي زرعته الملكة حتشبسوت. (3) بستان هيكل هليوبوليس الذي أهداه إليه رمسيس الثالث».

[س] gán ، gána : حقل، جزء من الحقل، زرْع. (أك) *ganānūtu*. [ع] جنّة *jana*.



حب . **ḥp**

«إله فيضان النيل، وكان المعتقد أنه يقطن كهفاً كان النيل يفيض منه».

يتكون اسمه من مقطعين جذريين يجمعان بين وفرة الماء وتجويف الكهف (-ẖe pú):

(س) ẖe: وفرة، كثرة؛ وافر، كثير.

(س) pú: ينبوع، بئر، حوض؛ عمْق.

حر . حورس ، **ḥr**

«رب السماء، صورته: صقر بجناحين ممدودين، عيناه: الشمس والقمر».

(س) ẖurin = (أك) *uriȵu* = (م) *ḥor* = (ع) *ḥur* : طائر الحر.

حرختي . **ḥr – aẖti**

«رمز الكلمة المصرية «ءَخْتِ» كان جبلاً ذا قمّتين تغرب الشمس بينهما، وتترجم عادةً: أفق، ومن معانيها: مشرق الشمس. وهو موطن ربّ الشمس الذي يدعى: «ح ر ء خ ت ي».

(م) ḥr (**حر**): المادة السابقة.

(م) aẖti (ء خ ت ي): الياء للنسبة، وقد تُرجمت **ءخ ت** aẖt بمعنى: مشرق الشمس أو أفق، هي (س) utu-e 𒌓𒂊: **الشمس المشرقة**. (لاحظ أننا نقرأ (س) u على شكل ḫu = ẖu) وتتكوّن من مقطعين جذريّيْن هما:

(س) utu 𒌓: الشمس، إله الشمس.

(س) e_3 𒌓: خرجَ، نهض، أنهض. أشرق. ومن معاني e_2 𒂍 أيضاً: بيت، معبد. ذلك تيعني: (1) بيت الشمس (**الأفق**). (2) شروق الشمس، تماماً كما في «ء خ. ت ي».

حرشف . **ḥršp**

«رب إخصاب بدائي في صورة كبش، ظهر في مدينة هيرا كيلو صورةً لربّ الشمس، ثم جُعل في الأسرتين التاسعة والعشرة ندّاً للإله رع، وحصل على قرص الشمس يعلو رأسه. كان رأس الكبش رمزاً للعبادة والخشية المبجّلة».

يتكوّن الاسم من ثلاثة مقاطع: *ḥr* + *š* + *p*.

(م) *ḥr* : را. مادة حر. (م) *š* (أو *ša*) **شَ: بحيرة**. (س) sa: **غَمَرَ** (بالماء).

(م) p ف: ضمير المفرد الغائب.

وفي قراءة أخرى:

(س) ur: وافر، كثير، صار وافراً وكثيراً.

(س) sa : غمر (*p*: ضمير المفرد الغائب).

فالمعنى إجمالاً هو: [الإله] كثير الغمْر، [الغامر، الغَمور].

حض . ور ، **ḥḏ-wr**

«في العصور القديمة كان ثمة قرد يدعى في المصريّة ḥḏ-wr ومعناه: **الأبيض**

العظيم، وكان يمثّل الإله ت حُ ت thot في مدينة هرموبوليس (أشمون)».
يتكوَن الاسم من المقطعين: (م) *ḥḏ* (حض): أبيض. (م) *wr* (ور): عظيم.
وهما يكافئان المقطعين الجذريين:
(س) $\underline{h}ad_2$ ، $\underline{h}ada$: أبيض. ($\underline{h}$é: صار، أصبح + dág: لامع، متألق).
(س) uru : **عظيم**، قوي، أي **الأبيض العظيم**، تماماً كما في المصرية القديمة.
إن (م) wr تكافئ (س) ur وهي في معناها الأصلي: كلب. ولكنها استخدمت على سبيل الاستعارة بمعانٍ عدة، منها: ur-ur : ابن آوى، يُسروع، والتضعيف في ur-ur هو من صيغ المبالغة والتوكيد اللفظي؛ ur-ma$\underline{h}$: أسد، وفيه معنى العظمة (ma$\underline{h}$: عظيم). أما القرد في المصرية القديمة فهو «ق ف» *qf* أو «ق ء ف» *q'af*، وهي السومرية ugubi بتعاقب الفاء والباء. (آك) *uqūpu*. الكنعانية: *quf*.

ح ق ت . ḥqt

«كان الضفدع حيوان مقدّس لربة الولادة، يومئ إلى القوة التي أوجدت الحياة، وفي العصر المتأخر صار رمزاً للبعث».
يستحضر د. خشيم عدة دلالات للصوت والماء في العربية: عقّ، غقّ، خقّ، وهي التي حلّت بدلاً عن حلقياتها الثلاث في: نقّ، مثلما حلّت الحاء في المصرية: حق *ḥq*[1]. وبمكافأة (س) i ، e ، u مع (م)، (آك)، (ع) *$\underline{h}$u* ، *$\underline{h}$e* ، *$\underline{h}$i* ، نجد أن ثلاث مقاطع تؤدي الدلالتين معاً : (س) ik ، eg ، ek : سقى؛ صوّتَ، تكلّمَ. إذ لا أحد يدري على وجه الدقة ما إذا كان السومريون قد نطقوا هذه المقاطع: «حق»، «خق» أم لا! لأن العلامات المسمارية إنما تُقرأ عن نقل دارج

1- آلهة: 383.

روعيت فيه بيئة التلفّظ الهندوأوروبية، أكثر مما قدّرت فيه إمكانية مشابهة الحروف أو تطابقها مع البيئة الأفروآسيوية.

حكء . سحر ، **ḥk'**

«تترجم عادة إلى: سِحْر. وهناك معبودة مرتبطة بالتاج الفرعوني تدعى: ورت. ح ك ء و، أي الساحرة العظيمة».

وفقاً لأمبير Ember وخشيم فإنها تكافيء العربية ح ك ل. والحكل كلام لا يُفهم، كلام ملتبس ومشْكَلٌ. ويمكننا مقاربتها بالسومرية:

(س) akil [illegible]: طقوس النواح، العويل، شعائر رثاء الموتى. (أك) *ikilu*.

حو . أبو الهول ، **hw**

«أبو الهول (سفنكس) كائن له جسم حيوان (أسد) ورأس إنسان، كان يقصد به أن يكون حارساً وحامياً للأموات ومدافنهم، جعله المصريون القدامى مأوى لروح رب الشمس، تسكنه لتحمي موتاهم، ويُترجم اسمه، حسب بدج، بمعنى القوة أو الحماية».

(س) hu-wawa [illegible]: حُوَوَ، وحش غابة الأرز في الأساطير السومرية.

خپر . خپر ، **ẖpr**

«الجُعل أو الجعران المعبود، الذي وُجِد من نفسه. اعتبر في القديم مظهراً من مظاهر الإله ء ت م ، ثم سوي بينه وبين رع، بالربط بين كرة الروث التي يدحرجها الجعران وبين قرص الشمس، قاربه أمبير من العربية خلف (ل← ر، ف ↔ ر» لصلته بالبعث وتعاقب الوجود، وفي قراءة أخرى هو: الوليد».

(س) ḫibira 𒄩𒉈𒊏 (تُقرأ خِبِرَ): ابن، وليد. [1]

أما في مقاربة اسمه باعتبار لونه وكرة الروث التي يدحرجها فإن المقطع الجذري (س) ḫab يعني: نتِن، ذو رائحة كريهة [2]؛ تلوّث، تبقّع، اسودّ، صار معتماً. (اك) *ḫapu*.

خبس.تء . حرث الأرض ، **ḫbst’**

«مهرجان سنوي اشتهرت به مدينة أهناسيا في بداية موسم الحرث بعد موسم الفيضان. يترجم الاسم: حرث الأرض».

يتكون الاسم من كلمتين: خبس *ḫbs*: حرث + تء *t’*: أرض، وهما يكافئان: (س) aspin: حَرَثَ. وهي من الكلمات العتيقة، وتعتمد هذه المقاربة على قاعدة تحول (س) a إلى (ه) + (اك) + (ع) ḫa و ḥa . (ع) بآسنة: (انظر المعجم الاشتقاقي، الفصل الخامس).

(س) ta : هيئة، طبيعة الشيء. (قا. (ع) طاءة، طيّة: أرض، طَويّة).

خت ، **ḫt**

لقب ثلاثة من ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة (أواخر الألف الثالثة ق.م)، وهو كذلك لقب كبير حجّاب الفرعون. الأصل البعيد للكلمة (حسب معجم بدج): خشب، غصن، عصا، عكّاز، صولجان. ويبدو أنها تطوّرت عن خ ء ḫa التي تفيد أصلاً معنى: نبْت.

1- اك *ḫabbiru*: كبد، وعلى الكناية هي: ابن، كما نقول في العربية: فلذة كبدي.

2- في اللهجة الليبية يُسمّى الجُعل: (بو) دْرِنّه، وقد أحالها خشيم إلى الفصحى: دَرَن: وسخ، قذْر، وهي كذلك السومرية: دُرُنَ duruna و دُرُنْ durun: مخرج الثفل.

إن (م) *ẖt*: حربة، تكافيء (س) ẖud : رأس سهم من البرونز. (س) ẖatum : كلّ ما هو مصنوع من البرونز). أما (م) ẖa: نبْت، التي تطورت عنها الكلمة، فهي كذلك (س) ẖa [1]: نبْت، خضار، وهي (أك) *ẖaṭu* : عصا، صولجان، وقد تحدّرت منها (ع) الـخَتُّ : الطعن بالرماح، الـخطّيّ: الرمح المنسوب إلى الـخط (بلد باليمامة). [2]

خزر . خنزير ، **ẖzr** ، **ẖjr**

اعتقد المصريون القدماء أن الخنزير حيوان قذر ورجس ومنكر، وربطوا بينه وبين إله الشر ست.

(س) zeẖ : خنّوص (خنزير صغير). (أك) *ẖumsīrū* : خنزير. [3] (ع) خنزير (الثلاثي: خزر، والأصل فيها كما يبدو ثنائي: ẖz). إلا أن مقابلة الكلمتين: (أك) *ẖumsīrū* و(ع) *ẖanzīr* تظل أقرب إلى (س) ẖenzer : منبوذ (اجتماعياً)، طفل صغير، [شخص] متصابٍ، ضعيفٌ.

خنسو . **ẖnsu**

رب القمر، ينسب إلى مدينة طيبة، ومعنى اسمه: الرحّال.

(س) suen: رب القمر، ويتكون من su: معرفة، وen: وقت. أي: معرفة الوقت والتاريخ، وقد صار ربّ القمر الأكدي: *sin* سِنْ، كما عبده العرب

1- تُكتب الكلمة بإضافة محدّد الخضار وهو sar .

2- يلمح القاريء هذا التركّب الدلالي الذي بدأ بالنّبْت ثم العصا والرمح (لأن الرماح اتّخذت من أغصان الشجر والنبات)، ثم البرونز لأنه استخدم لصنع الرماح، ثم الصولجان الذي صار رمزاً للمُلك والحكم.

3- ثمة كلمة سومرية أخرى للدلالة على معنى الخنزير هي šaẖ وهي الأكدية *šaẖū*.

القدامى[1]. ورمزه الثور، أما العربية «سِنْ»، فانصرفت إلى مرور الوقت أو العمر (سنّ)، والوقت (سنة، سنين)، والنور (سنا)، كما أن سِن ترد أيضاً بمعنى: ثور وحشي، وهو رمز رب القمر.

خ ن م . ḫnm

عُبد هذا الربّ في صورة الكبش في الفترة المبكرة من المملكة الحديثة، وكان يصور آنذاك رجلاً برأس كبش.
(س) ḫabum : وهي تعني نوعاً محدداً من الأغنام يقتنى لجودة صوفه. (ب ← ن).

دب . فرس النهر ، **db**

كان الفرعون يذبح فرس النهر متمثلاً حورس وهو يذبح إله الشر ست، كما كان فرس النهر يعتبر رمزاً لخصوبة الأنثى في الربة تء.ورت.
(س) dab : دبَّ، تجوَّلَ، التفَّ، دَارَ. (س) dub_2 : دَفَعَ، سَحَقَ، نَزَلَ، أنزلَ. (س) dib : عَبَرَ. (أك) *dabū*: فرس النهر. وفيها جرى تخصيص الأفعال السابقة لهذا الحيوان. وتقابل الأخيرة بالسومرية damšaḫ: بمعنى: فرس النهر، تمساح، كما أطلقت أيضاً على الدُّب. وهي متكونة من جذرين مقطعيين (س) dam : قرين، رفيق. šaḫ : خنزير، سمكة. كما تقابل أيضاً بكلمة dimšaḫ بنفس المعنى، والمقطع الأول dim فيها يعني: استبدلَ، عوَّض. وفي الحالتين كأن كلاً من التمساح أو فرس النهر يجمع شيئاً من خلقة الخنازير

1- أطلق عليه المعينيون اسم: ود، والسبئيون اسم: ءلقه، والقتبانيون اسم: عم. أما الحضرميون فحافظوا على اسمه السومري-الأكدي: سن.

وطبائع الأسماك في السباحة. أما العربية «دب» بمعناها السومري الأصلي أي «دَبَّ» فلا شكّ أنها تطوّرت إلى: دابةٌ، دُبٌّ، دبيبٌ،.. الخ.

دوءت . dw't

يقول بدج: إن معنى دوءت صعب التفسير، إذ تعني عالم أوزيريس الآخـروي، وهي مكان (غير مرئي) فيها مهاوي الظلمة وحفر النار وكل صـور العـذاب. ويترجـم غـاردنر هـذه الكلمـة (دوء dw') إلى صـبح، صـلاة [الـصبح]، وفي معجم فولكنر:

«دوء» dw' : نهض مبكراً. «دوءو» dw'w : فجر، صباح. «دوءيت» dw'yt : صباح. «دوءت» dw't : العالم السفلي. «دوء» dw' : عَبَدَ، مَجّـدَ. «دوؤت» dw' : عبادة.[1]

إن الصلة بين الفجر والصباح والجحيم وجميعها في جذر (م) *dw* تجتمع في (س) ud : شمس، نهار، حرارة، صيف، حُمّى، شيطان العاصفة. ومن هذه الكلمة: ud-šu : أظلم، صار مظلماً معتماً.

ud-šu-a : غروب الشمس، الغرب، صفة العالم السفلي.

رشبو . ršpu

معبود كنعاني كان إلهاً للحرب والرعد، صوّر حاملاً فأساً وترساً.

يمكننا قراءة اسم هذا الإله في مقطعين جذريين سومريين:

(س) rig : سلاح، عصا (g ← š).

(س) ba : قاطع، باتر.

1- آلهة، 423- 414.

والمعنى إجمالاً هو السلاح الباتر، الذي قد يكون فأساً أو نوعاً من الفؤوس.
(أك) رَشْبُ *rašbu* : مخيف. *rašbatu* : إخافة، ترهيب؛ توقير.
(ع) رَجَبَ *rajaba* : فَزِعَ، هابَ، وقَّرَ. (ع) رَجَفَ *rajfa*: اضطرب جزعاً.

رع . r'

كان اسم رع يعني في المصرية القديمة: **الشمس**. أي الجرم السماوي ذاته. وفي أساطير الخلق المصرية **بكى** الإله رع فخلق البشر من **دموعه**.
حرف «'» في قراءتنا هو «ء» وهو غالباً لفظنا للنقحرة a . ومن اجتماعه مع حرف «ر» تفيد المقاطع الجذرية السومرية التالية معاني: شمس، بكاء، دموع.[1]
(س) ra : سَطَعَ، أَضَاءَ، لَمَعَ، صَارَ صافياً واضحاً. وقد كتبت بنفس العلامة المسمارية الدالة على ud : شمس.
(س) ar : مَجّدَ، سَبَّحَ، ابتهل.
(س) er ، ir-a : دموع، نحيب، صلاة.

سءت . s't

كانت الوزة أكثر القرابين شعبيةً في مصر، مجسدة لإله الشر: ست. وترمز صورة الوزة في الهيروغليفة إلى صوتين هما: «س s» و «ز z». أما حرف التاء في آخرها فهو علامة التأنيث.

1- تمثل العلامة ⊙ في الكتابة الكنعانيـة – الليبيـة المقطـع الـصوتي رَءْ (r') وهـي تتكـون مـن علامتين (.) الهمزة، و(○) الراء. وهي علامة قرص الشمس (رع) في الهيروغليفية.

(سو) uz : وزة، بطة برية.
(أك) *ūsu*.

س ب ء sp’

الإله الأفعى، عُبد في عين شمس، دُعي تعويذةً ضد الحيوانات الضارة، وألحقت عبادته بالمقابر.
(سو) šab 𒊺𒁍: عضَّ، شقَّ، تسلَّخ، حفرَ، حفرَ اخدوداً، أخذ شكل الأخدود، صار ليناً، اختفى.

س ب ك . sbk

كان سبك ربا من أرباب الماء، ويعني اسمه: التمساح، وقد ذهب كوهن وإمبير إلى أن كلمة سبك المصرية تكافئ العربية: سمك.
(سو) sumaš 𒆰: سمك. (ش ← ك)، (م ← ب). (أك) *sumāsu*.
أما كلمة «تمساح» فإنها تكافئ (سو) dimšaẖ . را. (م) «دب» أعلاه.

س ت . st ، **س د** . sd

كان ست معبوداً مقدساً، ثم تحول (بعد عصر الهكسوس) إلى إله الشر والظلام والنار والطوفان والريح الحرة والصحراء، يقول بدج بأنه من العسير تحديد اسمه، وذهب إلى معارضته باسم حورس (ح ر) وبذا يعني: الأسفل، وهو إله الجنوب. ورد اسمه بصيغ مختلفة: «ست» *st* ، «سد» *sd* ، «ستش» *stš* «ستح» *stḥ*.
(سو) سُدْ sud 𒋤: نأى، صار بعيداً. أرض نائية.

(م) ستي *sty* : الجنوب.

(أك) شتو *šutū* : الجنوب.

س خ ت . ءِ ءَ رو . sẖt.’’ru

حقل الغاب (البوص)، يتكون اسمه من «سخت» وهي مؤنث «سخ» بمعنى حقل، و«ءِءَرو» بمعنى غاب (قصب، بوص)، مفردها «يءر».

(س) sug : ريف، بَرَاز الأرض وانفتاحها.

(س) uru ، iru : بذَرَ، زَرَعَ.

س د ء . خ م و . sd’. ẖmu

اسم للخفاش مركب من كلمتين: سدء *sd’* : وتفيد السدّ والحجب والغلق.

خمو *ẖmu*: وتفيد الجهل وعدم المعرفة. [1]

إن «سدء.خمو» المصرية في قراءتنا ليست سوى «طير الكهف» السومرية. وهي تتكون من مقطعين جذريين:

(س) sidu(g) : كهف، تجويف في الصخور، وادٍ. (’ ← g).

(س) ẖamun : طائر. وتُكتب دائماً متبوعةً بمحدد الطيور:

إلا أن (س) sud و sudda أيضاً تعنيان: طير، أما (س) sudin فهي تحديداً: خفاش. وهي كذلك: su-te-en ، التي

1- تفيد المصرية «سدء» في تأويل خشيم معنى الحجب والختم والكنز والخزن، وبهذا المعنى قاربها من العربية سدَّ (ومثلثاتها: سدر، سدف، سدل، سدم، سدن). كما قابلها بالسدّ: ذهاب البصر. السّدود: العيون المفتوحة ولا تبصر بصراً قوياً، كما هو الأمر في الخفاش.

ستتحول إلى (أك) *sutinu* .بـنفس المعنـى، ولا تُكتـب su-te-en بإضـافة محـدّد الطيور كما في بقية الكلمات الدالـة علـى أسمـاء الطيـور لأن الخفـاش لبـون كالحيوانات لا كـالطيور. ونلاحـظ أن (س) sidu(g) تكتـب بالعلامـة ẖab التي تعني: أعتمَ، أظلم. وهي (أك) *ẖapu* ويمكن مقاربتهـا بالعربيـة خَفَـى *ẖafa*، إلا أنها كما يبدو أنتجـت أيـضاً مثلثـات الثنـائي خـف، ومنهـا: خفـد (الخفدد: الخفاش)، خفر (الخفر: التسوير، المنـع، الحجـب)، خفـش (الخفـش: ضعف البصر، الخفاش).

سرخ . srẖ

إطار مستطيل قائم الزوايا يحوي اسم الفرعـون في الكتابـة الهيروغليفيـة. كمـا يدلّ على واجهة القصر.

(س) sar : كَتَب. ومن كلمات هذا المقطـع الجـذري: mu-sar-ra. الـتي عـبرتْ أصلاً عن الكتابة بالنقش، ثم انتقلت دلالاتها لتعني اسم «مصر». ويعبر بنفس العلامة السابقة عن معنى حديقة لتربيعها وإحاطتها.

أما معنى «واجهة القصر» في كلمة (م) *saraẖ* فإننا نجدها في المقطع الجذري:

(س) šar : حسّنَ، أكمل، جعله رائعاً، أبهـر النظـر، أظهـره بمظهـر حـسن. أي: زخرف. وزخرفة البناء هي: šaraẖum. ولعلّ العربية «صَـرْحٌ» تعـود إلى هـذا المعنى، وإن انصرفت لاحقاً إلى عظمة البنـاء وعلـوه وضـخامته، إلا أننـا نجـد المعنيين منصوصاً عليهما في القرآن. ففي المعنى الأول (الزخرفة وإبهار النظر): «قيل لها ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجّة وكشفت عـن سـاقها، قـال إنـه صرح ممرد من قوارير» (النمل: 44). وفي المعنـى الثـاني (الـضخامة والعلـو): «اجعل لي صرحاً لعلّي أطَّلِعُ إلى إله موسى» (القصص: 38).

سرقت . العقرب ، srqt

إحدى الربات الأربع حاميات التوابيت وجرار الأحشاء المعلقة، كان رمزها العقرب وإليه يُترجم اسمها.

يتكون هذا الاسم من (هـ) سرق *srq* بالإضافة إلى تاء التأنيث. وهو ما يعبر عنه المقطع الجذري:

(س) زُرَءْ zura 𒍪 𒊏: لدغ، عض. (س، ق ← ز، ء). و (س) zuraẖ بنفس المعنى.

(ع) عقر *qr'*: عقرب. إلا أن «عقرب» بلفظها الكامل هي أقرب إلى (س) گرتب girtab، بنفس المعنى، والتي تتكون من مقطعين، ĝir بمعنى: عقرب أيضاً، كما تعني: شوكة. وtab بمعنى: لسعَ، لدغ، لسعة، وخزة.

سف . sf

من الكلمات التي يقولها الإنسان يوم البعث: أنا الأمس (سف *sf*) وأنا أُعرف باليوم (دوء *dwa*).

(س) سَبْ sab 𒉺: مَضَى، سَلَفَ. [1]

(ع) سلف.

أما (هـ) *dwa* فيكافئها (س) ءُدْ ud 𒌓: يوم، شمس، ضوء الشمس. [2]

1- في مقارنة المصرية «سف» بالعربية «سلف» يشير د. خشيم إلى أن اللام قد سقطت لأنها لا توجد في الهيروغليفية أصلاً . (آلهة: 459).

2- يقابلها د. خشيم بالعربية «ضوء». (آلهة: 459).

س ك ر . skr

«كان «س ك ر» يُعبَد في منف، وكانت العادة أن يُجرّ **حجرٌ** في يوم عيده عبر الحقول، وكان الحجر رمز عبادته، ثم صار أحد آلهة الموتى لقرب مركز عبادته من المقابر. لقبه: الذي فوق رماله». [1]

(م) سَكَرْ *sakar* : حجر، رمل.. تكافئ (س) سَخَرْ saẖar 𒊓𒄯: أرض، رمل، تراب، غبار. وهي تتكون من مقطعين جذريين: sa بنّي، محمرّ، وẖara : مسحوق. كما نجد معنى الأرض مجرّداً في كلمة (س) زِكُرَ zikura 𒆠𒄷𒊏.

وهاتان الكلمان تكافئان (آك) شَخَرٌ *šaẖaru* : أرض حجرية، (ع) صَحَر *saḥar*: غبار أحمر، والصحراء: البريّة.

تُرجم لقبه *s'gr* بالذي فوق رماله، مقتعد الرمل، ويمكننا تأثيل هذا اللقب في مقطعين سومريين:

(س) se 𒊺، ze 𒍢: وهي تفيد التوطّن والحياة.

(س) kur 𒆳: الأرض.

أي: الذي توطّن الأرض، مقابلاً لرع الذي في السماء.

وتعرف مقبرة منف التي كانت موطن عبادة «سكر» بما يسمّى اليوم بالسقّارة، والسقارات المصرية التي شهدت كمالها في الأهرامات الكبرى، مثل الزقورات الرافدينية التي اكتملت أيضاً في نماذج معمارية فريدة مثل معبد ءِ.ءَنَّا والبرج المعروف باسم برج بابل، كانت في بداياتها أبنية متدرّجة إلى الأعلى، أعظمها هو أوسعها قاعدةً وأعلاها قمةً، والأصل اللغوي لتسميتها هو السومرية zigara التي تعني: السماء.

1- آلهة: 460.

سمت.تءوي . smt.t’wy

مهرجان ديني كبير كان يحتفل فيه بتوحيد شطري مصر على يد مينا. يعني الاسم حرفياً: ضمّ الأرضيْن، توحيد القطرين، المِصرين، الشمال والجنوب.

(1) (هـ) سمت *smt* : توحيد، جمْع. وهي تكافئ

(س) situm 𒋛𒌅𒌝: توازن، تعادلُ (مقدارين ثابتين).

(أك) *šitum* : توازن، تعادل.

(ع) سطم *sṭm* ، السّطُمّة: معظم ومجتمع كل شيء. (ع) سمط *smṭ* ، السماط: الصف، الجانب.

(2) (هـ) تءوي *t’wy* مثنّى *ta* (*t’*) : أرض، بلاد، قطر.

(س) da 𒁕: ناحية، جانب، جهة. (قارن (س) ta : طبيعة).

(ع) طيّة: ناحية، جهة، وطن. طوى البلاك طيّاً: قطعها بلداً عن بلد.

المعنى في تأثيله السومري: تعادُل الجانبين، توازن الطبيعتين. وفي تأثيله العربي: جَمْع الوطنين.

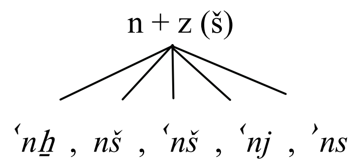
عنخ . الحياة ، ‘nḫ

«يشير رمزها الهيروغليفي إلى الوجود المقدس الأزلي الأبدي، وعندما يمسك الإله علامة عنخ لأمام أنف الملك فإنه يعطيه نفحة الحياة. ولكن المعنى الأصلي لهذه العلامة ما زال غامضاً».

(س) an-ki 𒀭𒆠: الحياة، الكون. وتتكون من المقطعين الجذريين: an السماء + ki الأرض. إن (هـ) *‘nḫ* تجمع الهواء والماء، و(س) anki تجمع السماء (الهواء) والأرض، وأعتقد أن الأصل في وظيفة هذه العلامة في النقوش الهيروغليفية هو قيام الإله بمنح الملك سلطته على السماء والأرض، ومن الجدير بالإشارة

أن المعنى الحرفي للمقطعين الجذريين: (س) an-ẖe أنخ، أو عنخ، هـو: كن عالياً، كن كالسماء، كُن [أنت] الإله. وعلامة ( ) المصرية شبيهة بعلامة ( ) التي تظهر في الرسوم الرافدينية والتي يقوم إله الشمس ءُتُو (شَمَش) وهو رب العدل والنظام، بتقديمها إلى الملك.

ومن معاني عنخ (م) *ʿnẖ* أيضاً: رجل، إنسان؛ وهي تقابل (اك) *anšu* ءَنْشُ، (ع) أنس، وكذلك (ع) عنج بمعنى: رجل.



وكما يبدو فإن الفونيم المؤسس لهذه الكلمات هو حرف النون (ن)، خاصة أن ما يرد بعده قد تعاقب فيه الإبدال بين الخاء والشين والسين والجيم، ولحرف النون صلة بالحياة والكينونة في السومرية، فالمقطع الجذري na يعني: رجل، إنسان. ومنه تتكون كلمة na-me: رجل ما، شخص ما. أما المقطع الجذري nu فيعني: الخالق، المنجب، واهب الحياة، الأنسان. (قارن كذلك ni: نفس). إلا أننا نجد أيضاً أن س za تعني كذلك: رجل، إنسان [1]. وكمثل اعتمال النون n في الكلمات السابقة، نجد أن الزاي z تكرّر بمعنى الحياة، وهو ما تعنيه تماماً س zi زِ، ولها صيغتان قريبتان هما: ši شِ، ši-i شي!.

ومن معاني عنخ (م) *ʿnẖ* أيضاً: مرآة.[2] وهي تكافيء: (س) anzaẖ: وقد قرئت هذه العلامات على أنها «نوع من الزجاج» ولا يشي ذلك إلا

1- قا. س za-e : أنت.

2- آلهة: 481.

بمعنى المرآة.[1] (اك) *anzaḫu*، (ع) عِناسٌ: مرآة، ج. عُنُسٌ.[2]

نتر . إله ، **ntr**

يتكوّن هذا الاسم، وعلامته الهيروغليفية فأسٌ حجرية، من مقطعين:
(س) nu : لا، لم، ليس.
(س) tar : تجزّأ، انقسم، تبدّد، انتشر، أو tur : صغر، صار صغيراً، نقصَ، ضعفَ؛ طفلٌ، ولد.

ويمكننا قراءة ضميمتين سومريتين من اجتماع هـذه المقـاطع: نُتَـرْ nutar ، نُتُـرْ nutur. ليكـون المعنـى: الـذي لا يتجـزأ (الواحـد، الأحـد)، الـذي لا يتبعثـر (الفرد، الصّمد)، الذي لا ولد له. (لم يلد)، الذي لم يكن طفلاً (لم يولد).

***

7- 4: سومر ومصر!

هذه ملاحظة ختامية تكشفت لي بينما كنت أهمّ بـدفع الكتـاب إلى الطباعـة، أي بعد الفراغ من تنقيح المسودات وعزل المادة المعجمية التي أشرت في المقدمـة إلى أنها ستكون نواة أول معجم سومري عربي اشتقاقي، وأرى أنهـا محفّـزة للنظـر في

1- لقد صُرف أحد معاني (س) zabar إلى نوع مـن المرايـا المعدنيّـة، ولكـن المعنـى الأصـلي هـو البرونز، وهي (اك) *siparu* ، (ع) زُبَر *zubar* ، كما ترد في سـورة الكهـف، أمـا كلمـة mušalum بمعنى مرآة، (اك) *mušalu* ، فإنها تكافيء العربية ‘*musalma* مـصلمع، أي القطعـة الملـساء، مـن: صَلْمَعَ الشّيءَ: ملّسَهُ.

2- الحياة (م) anḫ‘ تجمع الهواء والماء (آلهة: 479)، الكون anki يجمع السماء (الهواء) والأرض؛ مؤنث (م) anḫ‘ هو (م) anḫt‘ ويعني معزى (عنْز (ع) anz‘)، وهي في السومرية (س) uz وzeḫ ، ولكن الكلمة السومرية (س) an-za تعود بنا إلى المعنى الأصلي، فهي تعني: تخوم السماء.

تشميل ما سعيت هنا إلى إثباته من فرضيات، أي بالذهاب إلى أبعد من حرفية البحث اللغوي، ولربما جعلتها أساساً لبحث قادم، متى ما توفرت معطياته.

لقد قادتني المقاربات السابقة إلى التساؤل عما إذا كانت سومر هي مصر؟

إن حرفي السين والصاد، وكذلك الشين والسامخ والزاي، حروف من حيز لفظي واحد، والإبدال بينها شائع جداً في جميع اللغات الأفروآسيوية، كما أن نقحرة علامات هذه الحروف في السومرية والمصرية أمر تشوبه الكثير من الاختلافات، ولم يُتَّفق فيه على الإطلاق، ومعظم الكلمات التي تنبني على أحد أو بعض هذه الحروف قُدّر لفظها تقديراً دون حسمٍ.

لقد رأينا كيف أن اسم «مصر» قرئ: «مشر»، كما أن اسم «سُمِرْ» قرئ: «شُمِر». فإذا كان الابدال شائعاً إلى تلك الدرجة بين السين والشين، أو بين الصاد والشين، فإن القلب المكاني لحروف هذين الاسمين مسألة مقبولة تماماً. وذلك لا يتناقض مع ما قمنا به من تأثيل لاسم سومر في المصرية القديمة، ولاسم مصر في السومرية، فإذا صحّ هذا التأثيل فإن اسم مصر إنما عاد إليها عن طريق الأكديين الذين نعتوا هذه البلاد باسم «مُصَرٌّ» وفي ذلك ما يشي بدلالة عامة في أصل الاسمين بمعنى: الأرض، البلاد، الوطن، وهي من الناحية الصورفية المحضة قراءة متّسقة ولا يمكن إهمالها. إن هذه القراءة تدعمها قراءة أخرى لأهم الأسماء بعد مصر، ألا وهو النيل.

إن اسم النيل في المصرية القديمة هو *p-yor-o* [1]، ولا أرى في ذلك إلا اسم الفرات في السومرية: bu-ra الذي تطوّر buranun ، وتكونه المقاطع الجذرية التالية: bu: دفْقٌ، تدَفّق. ra: فيضان. أما النهاية nun فهي بمعنى: عظيم، أي كأننا

1- خشيم (آلهة:216) نقلا عن وادل في ترجمة تاريخ مانيثيون، نقلاً عن غرابون.

نقول حرفياً: بُرا العظيم، أو دفْق الفيضان العظيم، أو النيل العظيم، هذا هـو اسـم الفرات في السومرية الذي انتقل إلى الأكدية: *purati* ، ثم إلى العربية: فـرات. مـع الإشارة هنا إلى أن التعظيم الذي تؤديه nun قد انتقل إلى العربية في ما نعرفه باسم التنوين، ويناظره التمييم في الأكدية، وهي ظاهرة حُمِلت في أحـد وجـوه تأويلـها على معنـى التحديـد بالاسـتغناء عـن التعريـف، وكـأن التنـوين يتوسّـطُ التـنكير والتعريف، فإذا كان هذا المذهب صحيحاً لا يخالطه شـيء مـن التعـسف، فـإن في التنوين تحدّر من معاني nun المميّزة للأسماء السومرية.

لقد تعدّدت أساليب الكتابة من هيروغليفية ومسمارية، وظل اللـسان واحـداً، وما زلت أؤكد أن السومرية توطّنـت في اللغـات الأفروآسـيوية (ومنهـا المـصرية) كطبقة تحتية من خلال مقاطعها الجذرية التي لا يمكن الرجوع بفونيماتها إلى ما هـو أدنى، لأن هذه الفونيمات هي أصـوات مجـرّدة لا تظهـر إلا بإعمـال الحركـات في نهاياتها، ولا يمكن بحث نـشأة الكـلام بـأدنى مـن ذلـك، إذ لم يتبـق إلا حكايـات الأصوات، كما سماها العرب، أو تقليد أصوات الطبيعة، كما يـسميها اللـسانيون المعاصرون، وهي واحدة أو تكاد في جميع لغات العالم.

خلاصات واستشراف

1- في اللغة السومرية

- أصبح من الضروري بمكان استحداث أسلوب جديد لإعادة قراءة المقاطع الجذرية السومرية، ووصف جروسها وأبنيتها الصوتية والصرفية والمعجمية. آخذين بالاعتبار ما ظهر من معطيات جديدة، ومجمل هذا الكتاب هو نقد ضمني للطريقة التي قرأ بها علماء السومريات والأشوريات الألواح المسمارية، وأسلوبهم في النقل الحرفي الذي أفرط في الأخذ بالكتابة دون اللفظ، ولم يعد إجمالاً يفي بمتطلبات البحث.

- إن قراءة السومرية جذرياً، أي بتحويل صوامتها إلى جذور مفردة وثنائية وثلاثية، مع اعتماد الصوائت الخفيفة (الحركات الأربع الأولية) هو أقرب إلى النطق والتصويت الصحيحين الذي نتوقّع أن السومريين قد درجوا عليه، بدليل تكررهما في بقية اللغات الأفروآسيوية، ونتيجة هذه المقاربة استبدال أساليب النقحرة الحاليّة وإنشاء بديل عنها يراعي هذه التواشجات، وقد طرح هذا الكتاب أساساً يمكن البدء به لصوْغ هذا البديل.

2- في اللغات الأفروآسيوية

- أثبتت المقارنات أن تقارباً كبيراً، وقد يكون تطابقاً في أغلب الأحيان، نشأ في أزمنة متقدّمة بين السومرية واللغات الأفروآسيوية على المستويين الصّوْرَفي (الصوتي- الصرفي) والمعجمي، وأن البيئات اللغوية المحلية قد تباعدت لسببين: الأول هو الانقطاعات التاريخية الإجتماعية، والثاني هو اختلاف أنماط الإنتاج بين

أقاليم هذه البيئات، مما حتّم نشأة وانتشار تركيبات محلية من المقاطع الجذرية السومرية، جعلت لهجات تلك الأقاليم تبدو كما لو كانت لغات مستقلة، إذ أن هذه المقاطع لا تظهر في الكلام، لكنها تتوطّن الكلمات، واللغة في تداولها سياقات وأساليب بلاغية، وليست بحثاً في طبيعة المفردات التي تشكل هذه السياقات وتلك الأساليب.

3- في اللغة العربية

- اللغة السومرية كامنة كطبقة لغوية سفلى substrata في اللغة العربية (واللغات الأفروآسيوية الأخرى).

- ليست «الكلمة» هي أصغر جزء من أجزاء «المعنى» التام المستقل الذي تتحلّل إليه الجملة، بل هو «المقطع الجذري».

- للغة العربية طبيعة مقطعية تم اختزالها بتغليب الحركات وما نتج عنها من أسلوب في التصويت وتقدير الصوامت التي حلّت إلى الأبد بدلاً عن المقاطع.

- نشأت اللغة العربية، باعتبار طبيعتها المقطعية المضمرة في التركيبات الجذرية المعجمية، في الألف الثالث قبل الميلاد. وشهدت نضجها بظهور القرآن الذي امتص لهجات وثقافات العرب القديمة فحلّ بديلاً عنها دون أن ينفيها.

- اللهجات العربية المحكية صنو للهجات العربية القديمة وجميعها امتداد للغة السومرية، وما وجود ألفاظ سومرية متداولة في اللهجات المحكية حتى اليوم إلا دليل على هذه الصلة.

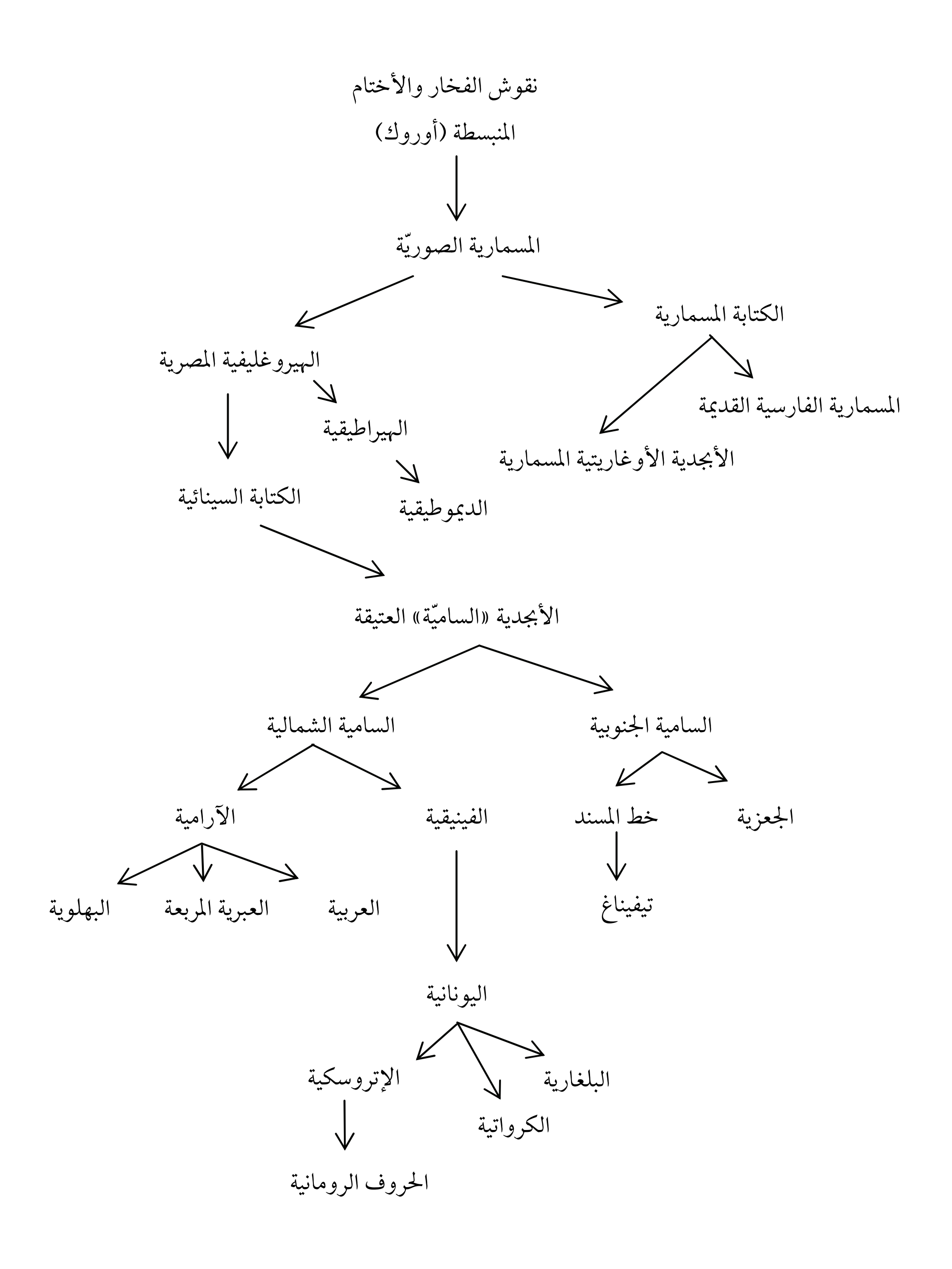
- أصبح من الضروري إعادة بحث ودراسة قواعد اللغة العربية، على ضوء قراءة السومرية (النون النافية ونون التوكيد البادئتان مثلاً).

4- في اللغات الهندوأوروبية

- لقد شكلت السومرية أهم بؤر اللقاء والتفاعل على مسار القوس العظيم الذي رسمته رحلة اللغات الهندوأوربية، وليس من شك في أن هذه اللغات قد تأثّرت بها.

إن اللغات التي انتشرت في الفضاء الهندوأوروبي (والتي يقول الباحثون أنها تفرعت عن اللغة الهندوأوربية الأم، وهذه اللغة مجرد فرضية علميّة، أي إنها لم تكن لغةً فعلية) تعود إلى المقاطع الجذرية السومرية، لهذا السبب نقرأ بين الحين والآخر مقاربة هنا وتأثيل هناك على يد باحثين غربيين يحاولون إثبات أن أصل هذه اللغة أو تلك إنما يعود إلى السومرية، وما اطلعت عليه من مقاربات لا يعتمد إلا على إحالات شكلية لا تصمد أمام النقد الفيلولوجي.

لكننا بالعودة إلى الحقيقة الجغرافية والتاريخية نرى أن حمولة أوليّة من المقاطع الجذرية السومرية قد تسربت ولا شك في هذه اللغات الهندوأوروبية، ومن هنا يطرأ ذلك التشابه في ما نجريه من مقارنات بين العربية أو الأكدية مثلاً وبين الإنجليزية والفرنسية، لأننا – ببساطة بالغة – لا نقوم في الحقيقة إلا باستدعاء المقاطع الجذرية السومرية في جميع هذه اللغات، ولعلّ مسحاً فيلولوجياً صورفياً مقارناً لهذه المقاطع يثبت هذه الفرضية ضمن لغات الشرق الأدنى وحوض المتوسط.



تطور الكتابة من المسمارية الصوريّة إلى الحروف الرومانية

أهم المراجع

1. ابن سينا، **أسباب حدوث الحروف**، تحقيق: محب الدين الخطيب، تقديم: الطيب البكوش، بيت الحكمة، قرطاج، 2002.

2. ابن منظور. **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د. ت.

3. أبو عساف، علي؛ خلوف، لوزيه. **مسار حملة تحوتمس الثالث الثامنة على بلاد الشام**، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، المجلد السادس والعشرون، الجزءان الأول والثاني، 1976.

4. أبو منصور الثعالبي. **فقه اللغة**، الدار العربية للكتاب، طرابلس- تونس، 1981.

5. الأنصاري، أبو محمد بن هشام. **شرح قطر الندى وبل الصدى**، دار الفكر العربي. د.ت.

6. بدج، والس، **آلهة المصريين**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

7. الخالدي، صلاح. **وسائل وطرق المواصلات البرية في شرقنا العربي القديم**، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلدان السابع والعشرون والثامن والعشرون، دمشق، 1977- 1978.

8. خشيم، علي فهمي. **آلهة مصر العربية**، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1990.

9. الخوري، لطفي. **معجم الأساطير**، الجزء الأول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1990.

10. دوبلهوفر، أرنست، **رموز ومعجزات، دراسات في الطرق والمناهج التي استخدمت لقراءة الكتابات واللغات القديمة**، ت: عماد حاتم، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1983.

11. رشيد، فوزي. **قواعد اللغة السومرية**، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة، بغداد، 1972.

12. روبنز، ر. هـ، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، 227، الكويت، 1997.

13. رو، جورج، **العراق القديم**، ترجمة: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، العراق.

14. زكري، انطون، **اللغة المصرية القديمة، أصولها وقواعدها**، GMT International، 1987.

15. سليمان، عامر. **التراث اللغوي**، ضمن الجزء الأول من حضارة العراق، بغداد، 1985.

16. شيفمان، إ. ش. **ثقافة اوغاريت**، الأبجدية للنشر، دمشق، ط1، 1988.

17. عبد التواب، رمضان. **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1985.

18. علي، فاضل عبد الواحد، **من سومر إلى التوراة**، سينا للنشر، القاهرة، ط2، 1996.

19. فرانكفورت، ه. أ، وآخرون. **ما قبل الفلسفة**، ت: جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط2، 1980.

20. فريحة، أنيس. **ملاحم واساطير من أوغاريت- رأس الشمرا**، دار النهار للنشر، 1980.

21. كمال، ربحي، **التضاد في ضوء اللغات الساميّة، دراسة مقارنة**، دار النهضة العربية، بيروت، 1975.

22. لوركر، مانفرد، **معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة**، ترجمة: صلاح الدين رمضان، مراجعة: د. محمود ماهر، مكتبة مدبولي، 2000.

23. المحجوب، عبدالمنعم. **اللغة السومرية** (مخطوط).

24. المحجوب، عبدالمنعم. **مجتمع اللادولة، عرض نظري لمجتمع التشاركيات البدائية**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1987.

25. المحجوب، عبدالمنعم. **مقاربات جنيالوجية في اللغة والحراك السوسيوثقافي الأفروآسيوي**. بحث ضمن كتاب: التحركات البشرية والهجرات الجماعية قبل ظهور الإسلام وبعده. تحرير: محمود أبوصوة، سعيد بنسعيد العلوي، يوسف الصواني، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط1، 2005.

26. المرصفي، ناجي زين الدين. **موسوعة الخط العربي**، الجزء الثالث، دار الشؤون الثقافية

العامة، بغداد، ط 1، 1990.

27. المسدي، عبدالسلام، **الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب**، الدار العربية للكتاب، 1977.

28. موسكاتي، سابينو (وآخرون)، **مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن**، ت: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993.

29. موني، برناديت، **المعجم الوجيز في اللغة المصرية بالخط الهيروغليفي** (مصري – عربي)، ترجمة: ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات، ط1، 1999.

30. نورالدين، عبدالحليم، **اللغة المصرية القديمة**، الخليج العربي للنشر، القاهرة، 2004.

31. Blackm, J. A. and G. Zolyomi. *The Study of Diachronic and Synchronic Variations in Sumerian*, An Introduction to the Papers Presented at the 6th Meeting of the Sumerian Grammer Discussion Group, Oxford, 17th and 18th September, 1999.

32. Budge, Wallis. *Egyptian Language*, K.E.M.T international, London.

33. Caplice, Richard. *Introduction to Akkadian*, Biblical Institute Press, Rome, 1980.

34. Halloran, John A. *Sumerian Lexicon: A Dictionary Guide to the Ancient Sumerian Language*, Logogram Pub. 2006.

35. Hilprecht, H. V. *The Earliest Version of the Babylonian Deluge Story and the Temple Library of Nippur*, Universty of Pennsylvania, 1910.

36. Kramer, Samuel Noah. *Sumerian Mythology*, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1961.

37. Langdon, Stephen. *Sumerian Grammatical Texts*, University of Pennsylvania, Philadelphia, 1917.

38. Leyew, Zelealem (and Ralph Siebert), *Sociolinguistic Survey Report of the Argoba Language of Ethiopia*, SIL international, 2001.

39. Rankm, Hermann. *Babylonian Legal and Business Documents from the First Dynasty of Babylon*, Universty of Pennsylvania, 1906.

40. Sjöberg, Ake W. (Editor). *The Sumerian Dictionary of the University Museum of the University of Pennsylvania*. University of Pennsylvania Press. October 1984